# سورة آل عمران

## مدنية وهي مائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

«م» حقها أن يوقف عليها كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ ما بعدها كما تقول: واحد اثنان: وهي قراءة عاصم، وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها حين أسقطت للتخفيف. فإن قلت: كيف جاز إلقاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لأنّ ثبات حركتها كثباتها؟ قلت: هذا ليس بدرج، لأنّ (م) في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت، وإنما حذفت تخفيفاً وألقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها، ونظيره قولهم: واحد اثنان، بإلقاء حركة الهمزة على الدال[1]. فإن قلت: هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين؟ قلت: لأنّ التقاء الساكنين لا يبالى به في باب الوقف، وذلك قولك: هذا إبراهيم وداود وإسحاق، ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمين في ألف لام ميم، لالتقاء الساكنين، ولما انتظر

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وجوابه ليس بشيء؛ لأنه ادعى أن الميم حين حركت موقوف عليها، وأن ذلك ليس بدَرْج، بل هو وقف وهذا خلاف ما أجمعت عليه العرب والنحاة من أنه لا يوقف على متحرك ألبتة، سواء كانت حركته إعرابية أم بنائية أم نقلية، أم لالتقاء الساكنين، أم للاتباع، أم للحكاية؛ فلا يجوز في «قد أفلح» إذا حذفت الهمزة ونقلت حركتها إلى دال «قد» أن تقف على دال قد بالفتحة بل تسكنها قولاً واحداً». وأما قوله: «ونظير ذلك «واحد اثنان» بإلقاء حركة الهمزة على الدال فإن سيبويه ذكر أنهم يشمون آخر واحد» لتمكنه، ولم يحك الكسر لغة، فإن صح الكسر فليس «واحد» موقوفاً عليه كما زعم الزمخشري، ولا حركته حركة نقل من همزة الوصل، ولكنه موصول بقولهم: اثنان فالتقى ساكنان: دال واحد وثاء اثنين فكسرت الدال لالتقاء الساكنين وحذفت همزة الوصل لأنها لا تثبت في الوصل. انتهى. الدر المصون.

ساكن آخر[1]. فإن قلت: إنما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم، لأنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين، فإذا جاء ساكن ثالث لم يمكن إلا التحريك فحركوا. قلت: الدليل على أن الحركة ليست لملاقاة الساكن أنه كان يمكنهم أن يقولوا: واحد اثنان، بسكون الدال مع طرح الهمزة، فيجمعوا بين ساكنين، كما قالوا: أصيم، ومديق. فلما حركوا الدال علم أن حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين[2]. فإن قلت: فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر؟ قلت: هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقولة، و﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين، وقرأ الحسن: «الأنجيل»، بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمة، لأن أفعيل ـ بفتح الهمزة ـ عديم في أوزان العرب. فإن قلت: لم قيل ﴿نزل الكتاب﴾[3]، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾؟ قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة، وقرأ الأعمش: «نزّل عليك الكتابُ» بالتخفيف ورفع الكتاب، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: أي: لقوم موسى وعيسى، ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم. فإن قلت: ما المراد بالفرقان؟ قلت: جنس الكتب السماوية[4]، لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التي ذكرها كأنه قال

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو سؤال صحيح وجواب صحيح، لكن الذي قال: «إن الحركة هي لالتقاء الساكنين» لا يتوهم أنه أراد التقاء الياء والميم من «ألم» في الوقف، وإنما عني التقاء الساكنين اللذين هما ميم ميم الأخيرة ولام التعريف كالتقاء نون «من» ولام الرجل إذا قلت: «من الرجل» قلت: هذا الوجه هو الذي قدمته عن بعضهم وهو مكي وغيره. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وفي سؤاله تعمية في قوله: «فإن قلت: لم يحركوا لالتقاء الساكنين» ويعني بالساكنين: الياء والميم وحينئذ يجيء التعليل بقوله: «أنهم أرادوا الوقف وأمكنهم النطق بساكنين» يعني الياء والميم. ثم قال: «فإذا جاء ساكن ثالث ـ يعني لام التعريف ـ لم يكن إلا التحريك ـ يعني في الميم ـ فحركوا ـ يعني الميم ـ لالتقائها ساكنة مع لام التعريف؛ إذ لو لم يحركوا لاجتمع ثلاث سواكن وهو لا يمكن». انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «فإن قلت: لم قيل في القرآن نزل... إلخ» قال أحمد: يريد لأن «فعل» صيغة سبالغة وتكثير، فلما كان نزول القرآن منجماً كان أكثر تنزيلاً من غيره لتغرقه في مرار عديدة، فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته، وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم.

(٤) (عاد كلامه) قال: والفرقان يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية لأنها تفرق بين الحق والباطل، أو الكتب التي ذكرها أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور. كما أفرده وأخر ذكره في قوله ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله والله أعلم. قال أحمد: وقد جعل الزمخشري سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة «فعل» تفريقه في التنزيل كما تقدم آنفاً، ثم حمل الفرقان على أحد تأويلاته على القرآن والتعبير عنه بأفعل كغيره، فإن يكن هذا ـ والله أعلم ـ فالوجه أنه لما عبر أولاً عن نزوله الخاص به، أتى بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية، فلما جرى ذكره ثانياً لينعت بصفة زائدة =

بعد ذكر الكتب الثلاثة: وأنزل ما يفرق بين الحق والباطل من كتبه، أو من هذه الكتب، أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور، كما قال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] وهو ظاهر. أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقاً بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس، تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: له انتقام شديد[1] لا يقدر على مثله منتقم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾: في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض، فهو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن، وهو مجازيهم عليه، ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾: من الصور المختلفة المتفاوتة، وقرأ طاوس: «تصوّركم»، أي: صوّركم لنفسه ولتعبده، كقولك: أثلت مالاً، إذا جعلته أثلة، أي: أصلاً، وتأثلته، إذا أثلته لنفسك، وعن سعيد بن جبير: هذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان رباً، كأنه نبه بكونه مصوراً في الرحم، على أنه عبد كغيره، وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾﴾

﴿مُّحْكَمَـٰتٌ﴾: أحكمت عبارتها[2] بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه، ﴿مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾:

---

= على اسم الجنس، عبر عن نزوله من حيث الإطلاق اكتفاء بتميُزه أولاً وإجمالاً لذلك في غير مقصوده، ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى: الكلام يجمل في غير مقصوده، ويفصل في مقصوده.

(١) قال محمود: «معناه له انتقام شديد... إلخ». قال أحمد: وإنما يلقى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله في قوله ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾.

(٢) قال محمود: «المحكمات التي أحكمت عبارتها... إلخ». قال أحمد: هذا كما قدمته عنه من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده، وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعاً للرأي. وذلك أن معتقده إحالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة، فإذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ مالوا إلى جعله من المتشابه حتى يردوه بزعمهم إلى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم. والآية قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق، فنقول: محمل قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ في دار الدنيا. ومحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعاً بين الأدلة. أو نقول: =

مشتبهات محتملات، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها، ومثال ذلك ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]. ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]. فإن قلت: فهلا كان القرآن كله محكماً؟ قلت: لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال، ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده إلا به، ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله. ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره، وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد، ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه، ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: هم أهل البدع، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق، ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: وطلب أن يأوّلوه التأويل الذي يشتهونه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى

---

= الأبصار وإن كانت ظاهرة العموم إلا أن المراد بها الخصوص، أي لا تدركه أبصار الكفار كقوله ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ ونقول: لا تعارض بين الآيتين. فنقر كل واحدة منها في نصابها. وبيان ذلك: أن الأبصار عام بالألف واللام الجنسيتين، ولا يتم غرض القدرية على زعمهم إلا بالموافقة على عمومها، وحينئذٍ يكون في العموم مرادفة لدخول كل، لأن كليهما أعني المعروف والجنسي، وكلا يفيد الشمول والإحاطة، وإذا أثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية. والقواعد مستقرة على أن سلب الكلية جزئي لغة وتعقلاً. ألا ترى أن القائل إذا قال: لا تنفق كل الدراهم، كان المفهوم من ذلك الإذن في إنفاق البعض والنهي عن إنفاق البعض، ومن حيث المعقول أن الكلية تسلب بسلب بعض الأفراد ولو واحداً، وحينئذٍ يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الأبصار وثبوتها لبعض الأبصار، وهذا عين مذهب أهل السنّة، لأنهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما أنبأ عنه قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ فقد ثبت أن هذه الآية إما محمولة على إثبات الرؤية، وإما باقية على ظاهرها، دليلاً على ثبوتها على وفق السنة. ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها. ألا ترى أنهم يقولون إن قولنا: «الإنسان كاتب» مهمل في قوة الجزئية، وإن قولنا «كل إنسان حيوان» كلي لا جزئي. لأنا نقول إنما جارينا القدرية على ما يلزمهم الموافقة فيه، وهم قد وافقوا على تناول الأبصار لكل واحد واحد من أفراد الجنس، ولولا ذلك لما تم لهم مرام، ولكفونا مؤنة البحث في ذلك، وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه أهل ذلك الفن مهملاً، بل هذا هو الكلي عندهم والله الموفق. وأما الآيتان الأخريان اللتان إحداهما قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ والأخرى التي هو قوله تعالى ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ فلا ينازع الزمخشري في تمثيل المحكم والمتشابه بهما.

﴿ٱلْعِلْمِ﴾: أي: لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله[1] وعباده الذين رسخوا في العلم، أي: ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع، ومنهم من يقف على قوله (إلا الله)، ويبتدىء ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾ ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه، وبمعرفة الحكمة فيه من آياته، كعدد الزبانية ونحوه، والأوّل هو الوجه، ويقولون: كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: أي: كل واحد منه ومن المحكم من عنده، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمّل ويجوز أن يكون، ﴿يَقُولُونَ﴾: حالا من الراسخين، وقرأ عبد الله: «إن تأويله إلا عند الله»، وقرأ أبيّ: «ويقول الراسخون».

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا[2]، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: وأرشدتنا لدينك. أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا، ﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة، وقرىء «لا تزغ قلوبنا»، بالتاء والياء ورفع القلوب، ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾: أي: تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]

---

(١) قال محمود: «معناه لا يهتدي إلى تأويله... إلخ» قال أحمد رحمه الله: وقوله «لا يهتدي إليه إلا الله» عبارة قلقة، ولم يرد إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى، مع أن في هذه اللفظة إيهاماً إذ الاهتداء لا يكون في الإطلاق إلا عن جهل وضلال ـ جل الله وعز ـ حتى إن الكافر إذا أسلم أطلق أهل العرف عليه: فلان المهتدي، ذلك مقتضى اللغة فيه فإنه مطاوع هدى. يقال: هديته فاهتدى، والإجماع منعقد على أن ما لم يرد إطلاقه وكان موهماً لا يجوز إطلاقه على الله عز وجل. ولذا أنكر على القاضي إطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بأنه معرفة المعلوم على ما هو عليه. فلأن ينكر على الزمخشري إطلاق الاهتداء على علم الله تعالى أجدر. وما أراها صدرت منه إلا وهما حيث أضاف العلم إلى الله تعالى وإلى الراسخين في العلم، فأطلق الاهتداء على الراسخين، أو عقل عن كونه ذكرهم مضائين إلى الله تعالى في الفعل المذكور والله أعلم.

(٢) قال محمود: «معناه ربنا لا تبلنا ببلايا... إلخ» قال أحمد: أما أهل السنّة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة، لأنهم يوحدون حق التوحيد، فيعتقدون أن كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى. وأما القدرية فعندهم أن الزيغ لا يخلقه الله تعالى وإنما يخلقه العبد لنفسه، فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة إلا محرفة إلى غير المراد بها كما أولها المصنف به، وإن كنا ندعو الله تعالى مضافاً إلى هذه الدعوة بأن لا يبتلينا ولا يمنعنا لطفه آمين، لأن الكل فعله وخلقه، ولا موجود إلا هو وأفعاله، التي نحن وأفعالنا منها.

وقرىء: «جامع الناس»، على الأصل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: معناه أنّ الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك:

إن الجواد لا يخيب سائله

والميعاد: الموعد. قرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «لن تغني» بسكون الياء، وهذا من الجدّ في استثقال الحركة على حروف اللين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

﴿مِّنَ﴾: في قوله: ، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مثله في قوله: ﴿وإنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً﴾ [النجم: ٢٨] والمعنى: لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله، ﴿شَيْـًٔا﴾: أي: بدل رحمته وطاعته وبدل الحق: ومنه: «ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ» أي: لا ينفعه جدّه وحظه من الدنيا بذلك، أي: بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧] وقرىء: «وقود»، بالضم بمعنى أهل وقودها، والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله ﷺ، وعن ابن عباس: هم قريظة والنضير. الدأب: مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله، والكاف مرفوع المحل تقديره: دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم، ويجوز أن ينتصب محل الكاف بـ «لن تغني»، أو بالوقود. أي: لن تغني عنهم مثل ما لم تُغْنِ عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم، تقول: إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم، وإنّ فلاناً لمحارف كدأب[1] أبيه، تريد كما حورف أبوه ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ تفسير لدأبهم مافعلوا وفعل بهم، على أنه جواب سؤال مقدّر عن حالهم، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: هم مشركو مكة، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾: يعني يوم بدر. وقيل: هم اليهود. لما غلب رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: هذا والله النبي الأميّ الذي بشرنا به موسى، وهموا باتباعه. فقال بعضهم: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى، فلما كان يوم أحد شَكُّوا، وقيل جمعهم رسول الله ﷺ بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أني نبي مرسل، فقالوا: لا يغرّنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم

---

(١) قوله «وإن فلاناً لمحارف كدأب أبيه» في الصحاح: رجل محارف ـ بفتح الراء ـ أي محدود محروم، وهو خلاف قولك: مبارك. (ع)

بالحرب فأصبت منهم فرصة، لثن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس، (٢٢١) فنزلت، وقرىء: «سيغلبون ويحشرون»، بالياء، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٣٨] على قل لهم قولي لك سيغلبون. فإن قلت: أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى؟ قلت: معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم. فهو إخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه. كأنه قال: أدّ إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: الخطاب لمشركي قريش، ﴿فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾: يوم بدر، ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾: يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين[1] قريباً من ألفين. أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم، وكان ذلك مدداً لهم من الله كما أمدّهم بالملائكة، والدليل عليه قراءة نافع: «ترونهم»، بالتاء أي: ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة، أو مثلي أنفسهم. فإن قلت: فهذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤]. قلت: قللوا أوّلا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين، ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] وقوله تعالى:

---

٢٢١ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٥٤): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، حديث (٣٠٠١).
والطبري (٦/ ٢٢٨)، حديث (٦٦٦٨).
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه أبو داود والطبري من رواية ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال «لما أصاب رسول الله ـ ﷺ ـ قريشاً يوم بدر وقدم المدينة جمع اليهود ـ الحديث... انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين... إلخ» قال أحمد: وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأي أهل السنّة.

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤] وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية، وقيل: يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين[1] على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦] بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] ولذلك وصف ضعفهم[2] بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم، وقراءة نافع لا تساعد عليه، وقرأ ابن مصرِّف: «يرونهم»، على البناء للمفعول بالياء والتاء، أي: يريهم الله ذلك بقدرته، وقرىء: «فئة تقاتل وأخرى كافرة»، بالجرّ على البدل من فئتين، وبالنصب على الاختصاص. أو على الحال من الضمير في «التقتا». ﴿رَأْىَ الْعَيْنِ﴾: يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها، معاينة كسائر المعاينات، ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ﴾: كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدوّ.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: المزين هو الله سبحانه وتعالى[3] للابتلاء، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى

---

(١) (عاد كلامه) قال: «وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين... إلخ» قال أحمد: إنما قال ذلك لأن الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين، أي ترونهم يا مسلمون، ويكون ضمير المثلين أيضاً للمسلمين. وقد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج في جملة واحدة من الحضور إلى الغيبة والالتفات وإن كان سائغاً فصيحاً، إلا أنه إنما يأتي في الأغلب في جملتين. وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة، لأن مثلهم مفعول ثان للرؤية، ولو قال القائل: ظننتك يقوم، على لفظ الغيبة بعد الخطاب، لم يكن بذاك، فهذا هو الوجه الذي أعد الزمخشري به بين قراءة نافع وبين هذا التأويل، إلا أنه يلزم مثله على أحد وجهيه المتقدمين آنفاً، لأنه قال: معناه على قراءة نافع: ترون يا مشركون المسلمين مثلي عددهم أو مثلي فئتكم الكافرة، فعلى هذا الوجه الثاني يلزم الخروج من الخطاب إلى الغيبة في الجملة بعينها، كما ألزمه هو على ذلك الوجه والله أعلم.

(٢) قوله «ولذلك وصف ضعفهم» لعل هذا في قوله تعالى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ أي وصف ضعف المسلمين وهو الستمائة بالقلة، مع أن ضعف الشيء أكثر منه، فتدبر. (ع)

(٣) قال محمود: «المزين هو الله تعالى... إلخ» قال أحمد: التزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها =

﴿ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧] ويدل عليه قراءة مجاهد: «زَيَّنَ للناس»، على تسمية الفاعل، وعن الحسن: الشيطان، والله زينها لهم، لأنا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها، ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: جعل الأعيان التي ذكرها شهوات[1] مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها، والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات، لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال: ، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ثم جاء بالتفسير، ليقرر أوّلا في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسها، وأدلّ على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله، والقنطار: المال الكثير. قيل: ملء مسك ثور، وعن سعيد بن جبير: مائة ألف دينار، ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا، و﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم: ألف مؤلفة، وبدرة مبدرة، و ﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: المعلمة، من السومة وهي العلامة. أو المطهمة أو المرعية[2] من أسام الدابة وسوّمها، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الأزواج الثمانية، ﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور، ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾: كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم، كما تقول: هل أدلك على رجل عالم؟ عندي رجل صفته كيت وكيت، ويجوز أن يتعلق اللام بـ «خير»، واختص المتقين، لأنهم هم المنتفعون به، وترتفع، ﴿جَنَّٰتٌ﴾: على: هو جنات، وتنصره قراءة من قرأ «جنات» بالجرّ على البدل من خير، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: يثيب ويعاقب على الاستحقاق، أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم، فلذلك أعدّ لهم الجنات.

---

= في القلوب، وهو بهذا المعنى مضاف إلى الله تعالى حقيقة، لأنه لا خالق إلا هو خالق كل شيء، من جوهر، ومن عرض قائم بالجوهر، حب أو غيره. محمود في الشرع أولا. ويطلق التزيين ويراد به الحض على تعاطي الشهوات والأمر بها، فهو بهذا الاعتبار لا يضاف إلى الله تعالى منه إلا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعاً كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجري مجراه. وأما الشهوات المحظورة فتزيينها بهذا المعنى الثاني مضاف إلى الشيطان، تنزيلاً لوسوسته وتحسينه سنزلة الأمر بها والحض على تعاطيها. وكلام الحسن رضيَ الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول، فإنه يحاشي أن ينسب خلق الله إلى غير الله. وإنما الزمخشري كثيراً ما يورد أمثال هذه العبارة الملتبسة تنزيلاً لها على قواعد القدرية الفاسدة، فتفطن لها وبرىء قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشري النقل عنه، والله الموفق.

(١) (عاد كلامه) قال: «جعل الأعيان التي ذكرها شهوات... إلخ» قال أحمد: يريد إلحاقها بباب: رجل صوم وفطر، مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة.

(٢) قوله «أو المطهمة أو المرعية» عبارة أبي السعود. أو المطهمة التامة الخلق اهـ. وفي الفخر: قال القفال: المطهمة المرأة الجميلة المرتبة اهـ. (ع)

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: نصب على المدح، أو رفع، ويجوز الجرّ صفة للمتقين أو للعباد، والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كما لهم في كل واحدة منها، وقد مرّ الكلام في ذلك، وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدّمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وعن الحسن: كانوا يصلون في أوّل الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار، هذا نهارهم، وهذا ليلهم.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾

شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف، وكذلك إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم، وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[1] [فاطر: ٣١]. فإن قلت: لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه؟ ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكباً لم يجز؟ قلت: إنما جاز هذا لعدم الإلباس كما جاز في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] إن انتصب

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليس من بابِ الحالِ المؤكدةِ؛ لأنه ليس من باب: ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ولا من باب: «أنا عبدُ الله شجاعاً» فليس: «قائماً بالقسط» بمعنى شَهِد، وليس مؤكداً لمضونِ الجملةِ السابقةِ في نحو: أنا عبدُ الله شجاعاً وهو زيدٌ شجاعاً، لكنْ في هذا التخريجِ قَلَقٌ في التركيبِ؛ إذ يصير كقولك: «أكلَ زيدٌ طعاماً وعائشةُ وفاطمةُ جائعاً» فَيُفْصِل بين المعطوفِ عليه والمَعطوفِ بالمفعول، وبين الحالِ وذي الحال بالمفعول والمعطوفِ، لكنْ بمشيئةِ كونِها كلِّها معمولةً لعاملٍ واحدٍ.» انتهى.
قلت: مؤاخَذَتُهُ له في قولِهِ: «مؤكدةٌ» غيرُ ظاهرٍ؛ وذلك أنَّ الحالَ على قسمين: إمَّا مؤكدةٌ وإمَّا مُبَيِّنة، وهي الأصلُ، فالمُبَيِّنَةُ لا جائزٌ أن تكونَ ههنا، لأنَّ المبيِّنة تكونُ منتقلةً، والانتقالُ هنا مُحالٌ؛ إذ عَدْلُ اللهِ تعالى لا يتغيَّرُ، فإنْ قيل لنا قسمٌ ثالثٌ، وهي الحالُ اللازمةُ فكانَ للزمخشري مندوحةٌ عن قوله «مؤكدة» إلى قوله «لازمةٌ» فالجوابُ أنَّ كلَّ مؤكدةٍ لازمةٌ وكلَّ لازمةٍ مؤكدةٌ فلا فرقَ بين العبارتين، وإن كان الشيخُ زَعَم أنَّ إصلاحَ العبارةِ يَحْصُل بقوله: «لازمة»، ويَدُلُّ على ما ذكرتُهُ من ملازَمَةِ التأكيدِ للحالِ اللازمةِ وبالعكس الاستقراءُ. وقولُه: «ليس معنى قائماً بالقسط معنى شهد» ممنوعٌ بل معنى «شَهِد» مع متعلَّقِهِ ـ وهو أنه لا إله إلا هو ـ مساوٍ لقولِهِ «قائماً بالقسط» لأنَّ التوحيدَ ملازمٌ للعدلِ.

«نافلة» حالا عن «يعقوب»، ولو قلت: جاءني زيد وهند راكباً جاز لتميزه بالذكورة[1]، أو على المدح. فإن قلت: أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك: الحمد لله الحميد. «إنا معشر الأنبياء لا نورث». (٢٢٢) [من البسيط]:

---

٢٢٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) كتاب فرض الخمس: باب فرض الخمس حديث (٣٠٩٤)، (٧/ ٣٨٩) كتاب المغازي: باب حديث لبني النضير حديث (٤٠٣٣)، (٩/ ٤١٢ ـ ٤١٣) كتاب النفقات: باب حبس الرجل قوت سنة على أهله حديث (٥٣٥٨)، (١٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع حديث (٧٣٠٥) ومسلم (٣/ ١٣٧٧ ـ ١٣٧٩) كتاب الجهاد: باب حكم الفيء حديث (٤٩/ ١٧٥٧) وأبو داود (٢/ ١٥٤ ـ ١٥٦) كتاب الخراج: باب في صفايا رسول الله ـ ﷺ ـ من الأموال حديث (٢٩٦٣) والترمذي (٤/ ١٥٨) كتاب السير: باب ما جاء في تركة رسول الله ـ ﷺ ـ حديث (١٦١٠) وفي «الشمائل» (٢١٦) وعبد الرزاق (٩٧٧٢) وأبو يعلى (١/ ١٢، ١٣) رقم (٢، ٤) وابن حبّان في «صحيحه» (٨/ ٢٠٧ ـ الإحسان) حديث (٦٥٧٤) والبيهقي (٦/ ٢٩٧) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٦٣١، ٦٣٢ ـ بتحقيقنا) كلّهم من طريق الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب به وفيه قصة طويلة.

وأخرجه مالك (٢/ ٩٩٣) كتاب الكلام: باب ما جاء في تركة النبي ـ ﷺ ـ حديث (٢٧) والبخاري (١٢/ ٧، ٨) كتاب الفرائض: باب قول النبي ـ ﷺ ـ لا نورّث ما تركنا صدقة حديث (٦٧٢٧، ٦٧٣٠) ومسلم (٣/ ١٣٧٩) كتاب الجهاد والسير: باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «لا نورّث ما تركنا فهو صدقة». حديث (٥١/ ١٧٥٨) وأبو داود (٢/ ١٦٠، ١٦١) كتاب الخراج والفيء والإمارة: باب في صفايا رسول الله ـ ﷺ ـ من الأموال حديث (٢٩٧٦، ٢٩٧٧) والنّسائي (٧/ ١٣٢) كتاب قسم الفيء وأحمد (٦/ ١٤٥، ٢٦٢) وعبد الرزاق (٩٧٧٤) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٩٨) وابن حبّان (٨/ ٢٩ ـ الإحسان) رقم (٦٥٧٧) والبيهقي (٦/ ٢٩٧، ٢٩٨) كلّهم من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: إنّ أزواج النبي ـ ﷺ ـ حين توفي رسول الله ـ ﷺ ـ أردن أن يبعثن عثمان بن عفّان إلى أبي بكر فيسألنه ميراثهن من النبي ـ ﷺ ـ قالت عائشة لهنّ: أليس قد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا نورّث ما تركنا فهو صدقة». =

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وما ذَكَره مِنْ قوله: «جاءني زيدٌ وعمروٌ راكباً» أنه لا يجوزُ ـ ليس كما ذَكَر، بل هذا جائزٌ؛ لأنَّ الحالَ قَيْدٌ فيمن وَقَعَ منه أو به الفعلُ أو ماأ شبه ذلك، وإذا كان قيداً فإنه يُحْمَل على أقرب مذكورٍ، ويكون «راكباً حالاً مِمَّا يَليه، ولا فرقَ في ذلك بين الحالِ والصفةِ، لو قلت: «جاءني زيدٌ وعمروٌ الطويلُ» كان «الطويلُ» صفةً لعمرو، ولا تقولُ: لا تجوزُ هذه المسألةُ لِلَّبْس؛ إذ لا لَبْسَ في هذا وهو جائزٌ، وكذلك الحالُ. وأمَّا قولُه: «إنَّ نافلةً» انتصَب حالاً عن يعقوب» فلا يتعيَّنُ أَنْ يكونَ حالاً عن يعقوب؛ إذ يُحتمل أَنْ يكونَ «نافلةً» مصدراً كالعاقبة والعافِية، ومعناه: «زيادة، فيكونُ ذلك شاملاً لإسحاق ويعقوب؛ لأنهما زيداً لإبراهيم بعد ابنه إسماعيل وغيره» قلت: مرادُ الزمخشري بمنع «جاءني زيد وعمرو راكباً» إذا أُريد أَنَّ الحالَ منهماً معاً، أمَّا إذا أريد أنها حالٌ من واحدٍ منهما فإنَّما تُجْعَلُ لِما تليه، لعودِ الضميرِ على أَقرب مذكور، وبعضَهم جَعَله حالاً من «هو». انتهى. الدر المصون.

إِنَّـا بَـنِـي نَـهْـشَـلٍ لاَ نَـدَّعِـي لأَبٍ ........................

قلت: قد جاء نكرة كما جاء معرفة، وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي[من المتقارب]:

وَيَـأْوِي إلـى نِـسْـوَةٍ عُـطَّـلٍ وَشُعْـثـا مَـرَاضِـيـعَ مِـثْـلَ الـسَّـعَـالِـي[1]

فإن قلت: هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل: لا إله قائماً بالقسط إلا هو؟ قلت: لا يبعد، فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف. فإن قلت: قد جعلته حالا من فاعل شهد، فهل يصح أن ينتصب حالاً عن «هو» في، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ :؟ قلت: نعم، لأنها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها، كقولك: أنا عبد الله شجاعاً، وكذلك لو قلت: لا رجل إلا عبد الله شجاعاً[2]، وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد، وكذلك انتصابه على المدح.

---

= وفي بعض طرق الحديث أنّ راوي هذا الحديث هو أبو بكر.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه أحمد. حدّثنا وكيع حدّثنا سفيان عن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا. ورواه النّسائي في الكبرى، من رواية ابن عيينة عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قال عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير «أنشدكم بالله الذي قامت له السّموات والأرض، أسمعتم النبي ـ ﷺ ـ يقول ـ فذكره، وفيه قالوا: اللّهمّ نعم» وأخرجه في الكنى في ترجمة أبي إدريس تلميذ أبي سليمان من رواية عن عبد الملك بن عمر عن أبي هريرة مثله. وأصله متفق عليه من حديث عائشة بلفظ: «لا نورّث ما تركنا صدقة». انتهى.

---

(1) للهذلي يصف رجلاً يصيد ويرجع إلى زوجته وبناته عطل عاريات من الحلي والثياب. وشعثا نصب على الذم، أي وأذم شعثاً أي مغبرات الوجوه من الجوع. والعطل: جمع عاطلة. والشعث. جمع شعثاء، كسود وسوداء. ومراضيع: جمع مرضاع قياساً، أو مرضع سماعاً، أي ترضع أولادها مثل السعالي جمع سعلاة وهي أنثى الشياطين، أي كريهات المنظر مثل الأغوال، وهي أقبح شيء عند العرب.
البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي في خزانة الأدب ٢/ ٤٢٦، ٤٣٢، ٥/ ٤٠، وشرح أبيات سيبويه ١/ ١٤٦، وشرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٠٧، وشرح التصريح ٢/ ١١٧، والكتاب ١/ ٣٩٩، ٢/ ٦٦، ولأبي أمية في المقاصد النحوية ٤/ ٦٣، وللهذلي في شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ١٨، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٢٢، وأوضح المسالك ٣/ ٣١٧، ورصف المباني ص ٤١٦، وشرح الأشموني ٢/ ٤٠٠، والمقرب ١/ ٢٢٥ وينظر الدر المصون ٢/ ٤٤.

(2) قال السمين الحلبي: يعني أنّ الحالَ المؤكِّدَة لا يَكونُ العاملُ فيها النصبَ شيئاً من الجملةِ السابقةِ قبلَها، إنما ينتصبُ بعاملٍ مضمرٍ، فإنْ كان المتكلمُ مُخْبِراً عن نفسه نحو: «أنا عبدُ الله شجاعاً» قَدَّرْتَه: أُحقُّ شجاعاً، مبنياً للمفعول، وإنْ كان مُخْبِراً عن غيره قَدَّرْتَه مبنياً للفاعل نحو: «هذا عبدُ الله شجاعاً» أي: أَحُقُّه، هذا هو المذهبُ المشهورُ في نصبِ مثلِ هذه الحالِ. وفي المسألةِ قولان =

فإن قلت: هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية؟ قلت: نعم إذا جعلته حالاً من هو، أو نصباً على المدح منه، أو صفة للمنفي، كأنه قيل: شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إلٰه إلا هو، وأنه قائم بالقسط، وقرأ عبد الله: «القائم بالقسط»، على أنه بدل من هو، أو خبر مبتدأ محذوف، وقرأ أبو حنيفة: «قيما بالقسط»، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: صفتان مقرّرتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل، يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إلٰه آخر، الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله. فإن قلت: ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله؟ قلت: هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل[1] والتوحيد، وقرىء: «أنه» بالفتح، و﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾: بالكسر على أنّ الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه، أو بأنه، وقوله: ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: توحيد، وقوله: ، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾: تعديل، فإذا أردفه قوله: ، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾: فقد آذن أن الإسلام هو العدل[2] والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدّي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، وهذا بين جلي كما ترى، وقرئا مفتوحين، على أن الثاني[3] بدل من الأوّل. كأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بياناً صريحاً، لأن دين الله هو التوحيد والعدل، وقرىء الأوّل بالكسر والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على «إنّ»[4] وما بينهما

---

= لأبي إسحاق أنّ العاملَ فيها هو خبرُ المبتدأ؛ لِما ضُمِّنَ من معنى المشتق؛ إذْ هو بمعنى المُسَمَّى. وقولٌ ثالثٌ: أنّ العاملَ فيها المبتدأ لِما ضُمِّن مِنْ معنى التنبيه، وهي مسألةٌ طويلةٌ. وبعضُهم جَعَلَه حالاً من الجميع على اعتبارِ كلِّ واحدٍ قائماً بالقسط. وهذا مناقضٌ لِما قاله الزمخشري من أنّ الحالَ مختصةٌ باللّهِ تعالى دونَ ما عُطِفَ عليه. وهذا المذهبُ مردودٌ بأنه لو جازَ ذلك لجازَ «جاء القومُ راكباً». أي كلُّ واحدٍ منهم راكباً، والعرب لا تقولُ ذلك البتّة، فَفَسَدَ هذا. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «والبراهين القاطعة وهم علماء العدل» تلميح بالمعتزلة حيث سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، لكن الإنصاف التعميم حتى يشمل أهل السنة والجماعة. (ع)

(٢) قوله «فقد آذن أن الإسلام هو العدل» تعسف لا يقتضيه النظم الكريم، لكن دعى إليه التعصب، وقوله «وفيه أن من ذهب» إلخ تورك على أهل السنة مبني على ذلك، وتحقيقه في علم التوحيد، وبالجملة فالعدل والتوحيد لم ينحصرا في مذهب المعتزلة. (ع)

(٣) قوله «وقرئا مفتوحتين على أن الثاني» الضمير عائد إلى قوله تعالى ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وقوله (إن الدين) اهـ. (ع)

(٤) قوله «واقع على إن» أي على إن الدين... إلخ. (ع)

اعتراض مؤكد، وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد، فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك، وقرأ عبد الله: «أن لا إله إلا هو»، وقرأ أبيّ: «إن الدين عند الله للإسلام»، وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية، وقرىء: «شهداء لله»، بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله، وبالرفع على هم شهداء الله. فإن قلت: فعلام عطف على هذه القراءة، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾؟ قلت: على الضمير في شهداء، وجاز لوقوع الفاصل بينهما. فإن قلت: لم كرر قوله: ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]: قلت: ذكره أوّلاً للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل، للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله: ، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أهل الكتاب من اليهود والنصارى، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل[2]، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: أنه الحق الذي لا محيد عنه، فثلثت النصارى، وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالوا: كنا أحق بأن تكون النبوّة

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت ما فائدة تكرار لا إله إلا هو... إلخ»؟ قال أحمد رحمه الله: وهذا التكرار لما قدمته في نظيره مما صدر الكلام به إذا طال عهده. وذلك أن الكلام مصدر بالتوحيد، ثم أعقب التوحيد تعداد الشاهدين به، ثم قوله (قائماً بالقسط) وهو التنزيه. فطال الكلام بذلك، فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلي قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع في الفهم مما أريد إيصاله به والله أعلم. قال: «وفيه أن من ذهب إلى تشبيه... إلخ». قال أحمد: هذا تعريض بخروج أهل السنة من ربقة الإسلام بل تصريح. ولا ينقم منهم إلا أن صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلّى الله تعالى عليه وعلى آله وسلّم بأنهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، ولأنهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا أن لا إله إلا هو ولا خالق لهم ولأفعالهم إلا هو. واقتصروا على أن نسبوا لأنفسهم قدرة تقارن فعلهم لا خلق لها ولا تأثير غير التمييز بين أفعالهم الاختيارية والاضطرارية. وتلك المعبر عنها شرعاً بالكسب في مثل قوله تعالى ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ هذا إيمان القوم وتوحيدهم، لا كقوم يغيرون في وجه النصوص فيجحدون الرؤية التي يظهر أن جحدهم لها سبب في حرمانهم إياها. ويجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله في مخلوقاته، فيزعمون أنهم يخلقون لأنفسهم ما شاءوا من الأفعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله في ملكه. ثم بعد ذلك يستترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد، والله أعلم بمن اتقى. ولجبر خير من إشراك، إن كان أهل السنة مجبرة فأنا أول المجبرين. ولو نظرت أيها الزمخشري بعين الإنصاف إلى جهالة القدرية وضلالها، لانبعثت إلى حدائق السنة وظلالها، ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها، ولكن كره الله انبعاثهم. ولعلمت أي الفريقين أحق بالأمن وأولى بالدخول في أولي العلم المقرونين في التوحيد بالملائكة المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل. اللهم ألهمنا على اقتفاء السنة شكرك. ولا تؤسنا مكرك إنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون، فليس ينجي من الخوف إلا الخوف. والله ولي التوفيق.

(٢) قوله «تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل» مبني على ما قاله آنفاً. (ع)

فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب، وهذا تجوير لله، ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾: أي: ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسداً بينهم وطلباً منهم للرياسة وحظوظ الدنيا، واستتباع كل فريق ناساً يطؤن أعقابهم، لاشبهة في الإسلام، وقيل: هو اختلافهم في نبوّة محمد ﷺ، حيث آمن به بعض وكفر به بعض، وقيل: هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء، فمنهم من آمن بموسى، ومنهم من آمن بعيسى، وقيل هم اليهود، واختلافهم أن موسى ـ عليه السلام ـ حين احتضر استودع التوراة سبعين حبراً من بني إسرائيل، وجعلهم أمناء عليها، واستخلف يوشع، فلما مضى قرن بعد قرن واختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدوا على حظوظ الدنيا والرياسة، وقيل: هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله.

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: فإن جادلوك في الدين، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعوه إلها معه؛ يعني أن ديني التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي، وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه، ونحوه ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ٦٤] فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه؛ فما معنى المحاجة فيه؟، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾: عطف على التاء في «أسلمت» وحسن للفاصل، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولاً معه، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: من اليهود والنصارى، ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾: والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب، ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾: يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة؛ فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقاً إلا سلكته: هل فهمتها لا أم لك، ومنه قوله عزّ وعلا ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر، وفي هذا الاستفهام استقصار[1] وتعيير بالمعاند وقلة الإنصاف، لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق، وللمعاندة بعد تجلي الحجة ما يضرب أسداد بينه وبين الإذعان[2]، وكذلك في: هل فهمتها؟ توبيخ بالبلادة وكلة القريحة، وفي

(١) قوله «وفي هذا الاستفهام استقصار» أي عد المخاطب قاصراً. (ع)
(٢) قوله «يضرب أسداد بينه وبين الأذعان» لعله أسداداً، أي حجباً. (ع)

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾: فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور، ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: لم يضروك فإنك رسول منبه عليك أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قرأ الحسن: «يقتلون النبيين»، وقرأ حمزة: «ويقاتلون الذين يأمرون» وقرأ عبد الله: «وقاتلوا» وقرأ أبيّ. «يقتلون النبيين والذين يأمرون»، وهم أهل الكتاب. قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا، وكانوا حول قتل رسول الله ﷺ والمؤمنين لولا عصمة الله، وعن أبي عبيدة بن الجراح: قلت يا رسول الله، أي: الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجل قتل نبياً؛ أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر» ثم قرأها ثم قال: «يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار»، (٢٢٣) ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: لأنّ لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة. فإن قلت: لم دخلت الفاء في خبر إن؟ قلت: لتضمن اسمها معنى الجزاء، كأنه قيل: الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم، و «إنّ» لا تغير معنى الابتداء فكأنّ دخولها كلا دخول، ولو كان مكانها «ليت» أو «لعل» لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم

---

٢٢٣ ـ أخرجه البزار (٣٣١٤ ـ كشف)، والطبري (٦/ ٢٨٥)، حديث (٦٧٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره ص (١٦١) حديث (٢٧٦).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣) وعزاه للطبري وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجرّاح قال: قلن يا رسول الله: أي الناس...

قال الحافظ ابن حجر:

أخرجه البزار والطبراني وابن أبي حاتم والثعلبي والبغوي من حديثه. وفيه أبو الحسن مولى بني أسد وهو مجهول. انتهى.

﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: يريد أحبار اليهود، وأنهم حصلوا نصيباً وافراً من التوراة، و «من»: إما للتبعيض وإما للبيان، أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوارة وهي نصيب عظيم، ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: وهو التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: وذلك أنّ رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ قال: على ملة إبراهيم. قالا: إنّ إبراهيم كان يهودياً. قال لهما: إنّ بيننا وبينكم التوارة، فهلموا إليها» (٢٢٤) فأبيا، وقيل نزلت في الرجم، وقد اختلفوا فيه، وعن الحسن وقتادة: كتاب الله القرآن؛ لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب، ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم، وقرىء «لِيُحْكَمَ» على البناء للمفعول، والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم، ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا، وذلك أنّ قوله: ، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: يقتضي أن يكون اختلافاً واقعاً فيما بينهم، لا فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ، ﴿ذَٰلِكَ﴾: التولي والإعراض بسبب تسهيلهم[1] على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من

---

٢٢٤ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٢٨٨)، حديث (٦٧٨١) عن عكرمة عن ابن عباس وابن أبي حاتم (٢/ ١٦٦)، حديث (٢٧٧) عن عكرمة... به. وابن إسحاق (٦٣٢ ـ سيرة بن هشام).
وذكره السيوطي (٢/ ٢٤) وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس... به.
وذكره الزيلعي (١/ ١٧٩)، حديث (١٨٦) وزاد نسبته إلى الواحدي في أسباب النزول.
قال الحافظ:
أخرجه الطبري من رواية إسحاق عن محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما به. انتهى.

---

(١) قال محمود: «ذلك التولي والإعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون» قال أحمد رحمه الله: هذا أيضاً تعريض بأهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد إلى مشيئة الله تعالى وإن مات مصراً عليها إيماناً بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وتصديقاً بالشفاعة لأهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلاً يقيس عليهم اليهود القائلين ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ فانظر إليه كيف أشحن قلبه بغضاً لأهل السنة وشقاقاً، وكيف ملأ الأرض من هذه النزعَات نفاقاً، فالحمد لله الذي أهل عبيده الفقير إلى التورك عليه، لأن آخذ من أهل البدعة بثأر السنة، فأصمي أفئدتهم من قواطع البراهين بمقومات الأسنة.

النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية[1]، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من أنّ آباءهم هم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله ﷺ في كبائرهم، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾: فكيف يصنعون فكيف[2] تكون حالهم، وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل لهم، وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والمخلص منه، وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون، وروي أنّ أوّل راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود، فيفضحهم الله على رءوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يرجع إلى كل نفس على المعنى، لأنه في معنى كل الناس كما تقول: ثلاثة أنفس، تريد ثلاثة أناسي.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾:

الميم في، ﴿اللَّهُمَّ﴾: عوض من يا، ولذلك لا يجتمعان، وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه، وفيه لام التعريف، وبقطع همزته في يا أَلله، وبغير ذلك، ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾: أي: تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرّف الملاك فيما يملكون، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾: تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك، ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾: النصيب الذي أعطيته منه، فالملك الأوّل عام شامل، والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل. روى. (٢٢٥) أنّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون

---

٢٢٥ ـ ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٢٨٩، ٢٩٠) عن ابن عباس، وأنس ابن مالك عن قول قتادة.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٨٠)، حديث (١٨٧) وقال: غريب.
وعزاه للواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس، وأنس.
قال الحافظ:
ذكره الواحدي في أسبابه عن ابن عباس وأنس ـ رضي الله عنهم ـ ولم أجد له إسناداً. انتهى.

---

(١) قوله «كما طمعت المجبرة والحشوية» تورك على أهل السنة، حيث ذهبوا إلى أن من دخل النار من أهل الكبائر المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بعفو الله، كما نطقت به الأحاديث. (ع)

(٢) قوله «فكيف تكون» لعله أو فكيف. (ع)

واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ هم أعز وأمنع من ذلك، وروي أنّ رسول الله ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرون، خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول، فوجهوا سلمان إلى رسول الله ﷺ يخبره، فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدّعتها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، وكبر وكبر المسلمون وقال: أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب، ثم ضرب الثانية فقال: أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم، ثم ضرب الثالثة فقال: أضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل ـ عليه السلام ـ أن أمّتي ظاهرة على كلها، فأبشروا. فقال المنافقون: ألا تعجبون، يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزلت. (٢٢٦) فإن قلت: كيف قال: ، ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: فذكر الخير دون الشر؟ قلت: لأنّ الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، ولأن كل أفعال الله تعالى من نافع وضارّ صادر عن الحكمة والمصلحة، فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه.

---

٢٢٦ ـ أخرجه النّسائي (٥/ ٢٦٩ كبرى): كتاب السير: باب حفر الخندق، حديث (٨٨٥٨) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٤٤) حديث (١٦٨٥) وأحمد (٤/ ٣٠٣)، وأبو نعيم (١/ ٣٧٦، ٣٧٧)، من الأخبار في غزوة الخندق، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤٢١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٨)، حديث (٣٦٨٢٠)، وذكره الزيلعي (١/ ١٨١) وزاد في نسبته إلى إسحاق بن راهويه من حديث البراء بن عازب.

ـ وأخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٣٧٧).

والبيهقي في الدلائل (٣/ ٤١٩) باب ما ظهر في حفر الخندق من دلائل... وابن سعد في الطبقات (٤/ ٦٢) من حديث عمرو بن عوف.

وذكره الزيلعي (١/ ١٨٢، ١٨٣)، وزاد نسبته إلى الواحدي في أسباب النزول، والثعلبي والبغوي من حديث عمرو بن عوف.

قال الحافظ: أخرجه البيهقي. وأبو نعيم في دلائل النبوة لهما؛ من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه. قال «خط رسول الله ـ ﷺ ـ الخندق عام الأحزاب، ثم قطع أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة» قال عمرو بن عوف، فكنت أنا وسليمان وحذيفة والنّعمان بن مقرن وستة نفر من الأنصار في أربعين ذراعاً فذكره مطوّلاً من هذا الوجه. ذكره الواحدي في أسباب النزول والطبري والثعلبي والبغوي. ورواه ابن سعد في الطبقات في ترجمة سلمان. قال: أخبرنا ابن أبي فديك عن كثير بن عبد الله به. وقال الواقدي في المغازي: حدّثني عاصم ابن عبد الله الحكمي عن عمر بن الحكم قال «كان عمر بن الخطّاب يومئذ يضرب بالمعول، إذ صادف حجراً أصلد فضرب ضربة ـ فذكره بنحوه، ورواه النّسائي وأحمد وإسحاق وابن أبي شيبة وأبو يعلى كلّهم من رواية ميمون أبي عبد الله عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ مختصراً وإسناده حسن. انتهى.

ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحيّ والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أنّ من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب دلالة من يشاء من عباده، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «كما تكونوا يولى عليكم» (٢٢٧).

﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر، وقد كرّر ذلك في القرآن ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ . . .﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان، ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول فإنّ موالاة الوليّ وموالاة عدوّه متنافيان، قال [من الطويل]:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... صَدِيقُكَ لَيْسَ النَّوْكُ عَنْكَ بِعَازِبِ[1]

---

٢٢٧ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث (٧٣٩٢) وذكره السيوطي في تفسيره (٣/ ٨٦) وعزاه للحاكم في التاريخ والبيهقي في شعب الإيمان. عن أبي إسحاق.
قال الحافظ: رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية المبارك بن فضالة عن الحسن عن أبي بكرة وفي إسناده إلى مبارك مجاهيل. انتهى.

---

(١) تود عدوي ثم تزعم أنني ... صديقك ليس النوك عنك بعازب
فليس أخي من ودني رأى عينه ... ولكن أخي من ودني في المغايب
النوك: الحمق. والعازب: البعيد. يقول: إن الصديق من لا يصادق بغيض صديقه، ومن يراعي الأخوة بظهر الغيب، لا برأي العين. ويجوز أن تود على تقدير الاستفهام التوبيخي، وأبرزه في صورة الخبر للتشنيع. ورأي عينه: نصب على الظرف أي حين رأي عينه: والمغايب: أزمان الغياب.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه، وقرىء: «تقية». قيل للمتقي تقاة وتقية، كقولهم: ضرب الأمير لمضروبه. رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعدواة والبغضاء، وانتظار زوال المانع من قشر العصا، كقول عيسى صلوات الله عليه: «كن وسطاً وامش جانباً»، (٢٢٨) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه، وهذا وعيد شديد، ويجوز أن يضمن، ﴿تَتَّقُوا۟﴾: معنى تحذروا وتخافوا، فيعدى بمن وينتصب، ﴿تُقَىٰةً﴾: أو تقية على المصدر، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾: من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله، ﴿يَعْلَمْهُ﴾: ولم يخف عليه وهو الذي، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه من شيء قط. فلا يخفى عليه سركم وعلنكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو قادر على عقوبتكم، وهذا بيان لقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] لأنّ نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات، متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم، فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور، فهي قادرة على المقدورات كلها، فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب، فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب، ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله، فوكل همه بما يورد ويصدر، ونصب عليه عيوناً، وبث من يتجسس عن بواطن أموره، لأخذ حذره وتيقظ في أمره، واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به، فما بال من علم أنّ العالم الذات[1] الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

---

٢٢٨ ـ وذكره علي بن محمد الملاّ في الأسرار ص (١٨٠)، حديث (٦٩٩) ولم ينسبه إلى عيسى عليه السّلام ولكن قال: قال بعضهم: كن وسطاً.

---

(١) قوله «فما بال من علم أن العالم الذات» من إضافة الوصف إلى مرفوعه كالحسن الوجه، يعني أن علمه بذاته، لا بعلم زائد على ذاته كعلم الحوادث، وهذا عند المعتزلة. (ع)

﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾: منصوب بتودّ، والضمير في بينه لليوم، أي: يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين، تتمنى لو أنّ بينها وبين ذلك اليوم[1] وهوله أمداً بعيداً، ويجوز أن ينتصب، ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾: بمضمر نحو: اذكر، ويقع على «ما عملت» وحده[2]، ويرتفع، ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾: على الابتداء، و﴿تَوَدُّ﴾: خبره، أي: والذي عملته من سوء تودّ هي لو تباعد ما بينها وبينه، ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تودّ. فإن قلت: فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودّت؟ قلت: لا كلام في صحته، ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامّة، ويجوز أن يعطف، ﴿وَمَا عَمِلَتْ﴾: على، ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾: ويكون، ﴿تَوَدُّ﴾: حالاً، أي: يوم تجد عملها محضراً وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضراً، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] يعني مكتوباً في صحفهم يقرؤنه ونحوه ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، والأمد المسافة كقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف: ٣٨] وكرّر قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه، وعن الحسن: من رأفته بهم أن حذرهم نفسه، ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لعلمه وقدرته، مرجوّ لسعة رحمته كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم، والمعنى: إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة، ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾: حتى يصحّ ما تدعونه من إرادة عبادته، يرض عنكم ويغفر لكم،

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وأَبْعَدَ الزمخشري في عودِه على «اليوم»؛ لأنَّ أحدَ القِسْمين اللذين أُحضِرا في ذلك له هو الخيرُ الذي عمله، ولا يُطلب تباعُدُ وقتِ إحضارِ الخير إلا بتجوُّز؛ إذ كان يشتمل على إحضار الخير والشر فتودُّ تباعدَه لتسلم من الشر، ودَعْه لا يحصُل له الخيرُ، والأَوْلى عَوْده إلى ما عملت من السوء لأنه أقرب مذكور. ولأن المعنى: أن السوء يُتَمَنَّى في ذلك اليوم التباعُدُ منه» انتهى. الدر المصون

(٢) قوله «ويقع على ما عملت وحده» أي يقع فعل الوجدان على ما عملت من خير وحده. (ع)

وعن الحسن: زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل (٢٢٩)، فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه، وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق[١] فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا أنه تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته، ثم صفق وطرب ونعر وصعق تصوّرها، وربما رأيت المنيَّ قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته، وحمقى العامة على حواليه قد ملئوا أدرانهم بالدموع لما رققهم من حاله، وقرىء: «تحبون»، و«يحببكم» و«يحبكم»، من حبه يحبه. قال [من الطويل]:

أُحِبُّ أَبَا ثَرْوَانَ مِنْ حُبِّ تَمْرِهِ ... وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّفْقَ بِالْجَارِ أَرْفَقُ

وَوَاللَّهِ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ ... وَلاَ كَانَ أَدْنَى مِنْ عُبَيْدٍ وَمُشْرِقُ[٢]

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: يحتمل أن يكون ماضياً، وأن يكون مضارعاً بمعنى: فإن تتولوا، ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ

---

٢٢٩ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٢٣)، حديث (٦٨٤٨) عن الحسن: «إنّ أقواماً كانوا على عهد...».
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٠) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

---

(١) قوله «وينعر ويصعق» في الصحاح: النعرة صوت في الخيشوم. ويقال: ما كانت فتنة إلا نعر فيها فلان، أي نهض. (ع)

(٢) لغيلان بن شجاع النهشلي. يقول: أحب هذا الرجل من أجل حب تمره. ويروى: أبا مروان، وأعلم أن الرفق بالجار أرفق منه بغيره، أي أشد رفقاً، وأسند الرفق إلى نفسه مبالغة كجد جده. ويجوز أن المعنى أن الرفق بالجار أحق أو أكمل منه بغيره. وأمالو قرىء «أوفق» بالواو فظاهر. وفيه استعطاف لأبي مروان، وطلب الرفق منه بالشاعر. واللغة الغالية أحب الرباعي. وحبه يحبه بكسر فاء المضارع من باب ضرب نادر من جهة مجيئه ثلاثياً ومن جهة كسر فاء مضارعه. وقياس مضارع الثلاثي المضاعف المتعدي ضم فائه كيشد ويرد. وقد يجيء حب يحب من باب علم يعلم. ولا كان أدني: أي أقرب إلي من عبيد ومشرق، وهما ابناه. وفي القافية الإقواء. وروى أبو العباس المبرد بدل الشطر الأخير: وكان عياض منه أدنى ومشرق، أي أقرب إلي من أبي مروان. وعليه فلا إقواء فيها.
ينظر: لسان العرب (حبب)، الأشباه والنظائر (٢/ ٤١٠)، خزانة الأدب (٩/ ٤٢٩)، شرح شواهد المغني (٢/ ٧٨٠)، شرح المفصل لابن يعيش (٧/ ١٣٨)، الخصائص (٢/ ٢٢٠)، مغني اللبيب (١/ ٣٦١).

مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إسماعيل وإسحاق وأولادهما، و﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: موسى وهرون[1] ابنا عمران بن يصهر، وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة، و﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾: بدل من آل إبراهيم وآل عمران، ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾: يعني أنّ الآلين ذرّية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض: موسى وهرون من عمران، وعمران من يصهر، ويصهر من فاهث، وفاهث من لاوى، ولاوى من يعقوب، ويعقوب من إسحاق، وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود[2] بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله ﷺ، وقيل: «بعضها من بعض» في الدين، كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: يعلم من يصلح للاصطفاء، أو يعلم أنّ بعضهم من بعض في الدين. أو «سميع عليم» لقول امرأة عمران ونيتها، و﴿إِذْ﴾: منصوب به، وقيل: بإضمار اذكر، وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان، أم مريم البتول. جدّة عيسى ـ عليه السلام ـ، وهي حنة بنت فاقوذ، وقوله: ، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: على أثر قوله: ، ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: مما يرجح أنّ عمران هو عمران بن ماثان جدّ عيسى، والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيراً في الذكر. فإن قلت: كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون، ولعمران بن ماثان مريم البتول، فما أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى وهرون؟ قلت: كفى بكفالة زكريا دليلاً على أنه عمران أبو البتول، لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد، وقد تزوّج

---

(١) قال محمود رحمه الله: «آل عمران وموسى وهرون... إلخ» قال أحمد رحمه الله: ومما يرجح هذا القول الثاني أن السورة تسمى آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة. وأما موسى وهارون فلم يذكر قصتهما في هذه السورة، فيدل ذلك على أن عمران المذكور ههنا هو أبو مريم والله أعلم.

(٢) قوله «ابن ماثان بن سليمان بن داود» قوله: ابن سليمان، أي من نسله. وقوله: ابن يهوذا، أي من نسله، كما صرح به الفخر الرازي. وذكر أبو السعود بين ماثان وسليمان نحو خمسة عشر جداً، وبين إيشا ويهوذا تسعة جدود. (ع)

زكريا بنته إيشاع أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة. روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت، فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحرّكت نفسها للولد وتمنته، فقالت: اللهم إن لك عليّ نذراً شكراً إن رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه، (٢٣٠) فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل، ﴿مُحَرَّرًا﴾: معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يدَ لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء، وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم، وروي: أنهم كانوا ينذرون هذا النذر، فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل، وعن الشعبي، ﴿مُحَرَّرًا﴾: : مخلصاً للعبادة، (٢٣١) وما كان التحرير إلا للغلمان، وإنما بنت الأمر على التقدير، أو طلبت أن ترزق ذكراً، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: الضمير لـ «ما في بطني»[(١)] وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان أنثى في علم الله، أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة. فإن قلت: كيف جاز انتصاب، ﴿أُنثَىٰ﴾: حالا من الضمير في وضعتها[(٢)] وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى؟ قلت: الأصل: وضعته أنثى، وإنما أنّث لتأنيث الحال؛ لأن الحال وذا الحال لشيء واحد، كما أنث الاسم في ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١٧٦] وأمّا على تأويل الحبلة أو النسمة فهو ظاهر، كأنه قيل: إني وضعت

---

٢٣٠ ـ ذكر السيوطي في الدر (٢/ ٣٢) وعزاه لإسحاق بن بشير وابن عساكر عن ابن عباس بمعناه وذكره في (٢/ ٣٣، ٣٤) وعزاه للطبري وابن المنذر عن عكرمة.

٢٣١ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٣١)، حديث (٦٨٦٢).

---

(١) قال محمود: «الضمير عائد إلى ما في بطني... إلخ» قال أحمد: الضمير في قوله «وضعتها» يتناول إذاً ما نسب إليها الوضع والأنوثة، فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيئاً وضع لا لخصوص نسبة الأنوثة إليها. وقد مر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾.

(٢) قال السمين الحلبي: ناقشه في الجواب الأول فقال: «وآل قَولُه ـ يعني الزمخشري ـ إلى أنها حال مؤكّدة، ولا يُخرِجُه تأنيثُه لتأنيث الحال عن أن تكون حالاً مؤكّدة. وأمّا تشبيهُه ذلك بقوله: «مَنْ كانت أمُّك» حيث عادَ الضميرُ على معنى «مَنْ» فليس ذلك نظيرَ «وضَعَتُها أنثى» لأن ذلك حُمِل على معنى «مَنْ» إذا المعنى: أيةُ امرأة كانَتْ أمّك، أي: كانت هي أي امّك، فالتأنيثُ ليس لتأنيث الخبر، وإنما هو من باب الحَمل على معنى مَنْ، ولو فرضنا أنه من تأنيث الاسم لتأنيث الخبر، لم يكن نظيرَ «وضَعَتْها أنثى» لأنَّ الخبرَ تخصّص بالإضافة إلى الضميرِ، فاستُفيد من الخبرِ ما لا يُستَفاد من الاسم، بخلاف «أنثى» فإنه لمجردِ التوكيدِ. وأمّا تنظيرهُ بقولِه: «فإنْ كانتا اثنتين» فيعني أنه ثَنّى الاسم لتثنيةِ الخبرِ، والكلامُ عليه يأتي في مكانه، فإنه من المُشْكلات، فالأحسن أن يُجْعَلَ الضميرُ في «وضعَتْها أنثى» عائداً على النَّسَمَة أو النفس، فتكون الحالُ مبنيةً لا مؤكدةً».
قلت: قوله «ليس نظيرَه، لأنَّ «مَنْ كانت أمّك» حُمِل فيه على معنى «مَنْ»، وهذا أُنّث لتأنيث الخبر» =

الحبلة أو النسمة أنثى. فإن قلت: فلم قالت: إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول؟ قلت: قالته تحسراً[1] على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها. فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً، ولذلك نذرته محرّراً للسدانة، ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن[2] قال الله تعالى: ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: تعظيماً لموضوعها

---

= ـ ليس كما قال، بل هو نظيرُه؛ وذلك أنه في الآية الكريمةِ حُمِل على معنى «ما» كما حُمِل هناك على معنى «مَنْ»، وقول الزمخشري: «لتأنيث الخبرِ» أي: لأن المراد بـ «مَنْ» التأنيثُ بدليل تأنيثِ الخبرِ، فتأنيثُ الخبرِ بيّن لنا أن المراد بـ «مَنْ» المؤنثُ، كذلك تأنيثُ الحال ـ وهي أنثى ـ بيّن لنا أن المراد بـ «ما» في قوله: «ما في بطني» أنه شيء مؤنث، وهذا واضح لا يَحتاج إلى فكر. وأما قوله: «فقد استُفيد من الخبر ما لا يُستفاد من الاسم بخلاف «وضَعَتْها أنثى» فإنه لمجرد التوكيد» فليس بظاهرٍ أيضاً؛ وذلك لأنَّ الزمخشري إنما أراد بكونه نظيرَه من حيث إنَّ التأنيث في كلٍّ من المثالَيْنِ مفهومٌ قبلَ مجيءِ الحال في الآية، وقبلَ مجيءِ الخبرِ في النظير المذكور. أمّا كونهُ يفارقه في شيء آخرَ لعارضٍ فلا يَضُرُّ ذلك في التنظير، ولا يُخرِجُه عن كونه يُشْبِهُه من هذه الجهة. انتهى. الدر المصون.

(١) (عاد كلامه) قال: «وإنما أرادت بقولها: وضعتها أنثى التحسُّر والتأسُّف... إلخ» قال أحمد: هذا التأويل على أنه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها. وقد ذكر أهل التفسير تأويلاً آخر، وهو أن يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها، أعني قوله ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ ويرشد إليه عطف كلامها عليه وهو قوله ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾... إلخ ويوردون على هذا الوجه أن قياس كونه من قولها أن يكون: وليست الأنثى كالذكر، فإن مقصودها تنقيص الأنثى بالنسبة إلى الذكر، والعادة في مثله أن ينفي عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس، وقد وجد الأمر في ذلك مختلفاً فلم يثبت لي عين ما قالوه. ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فنفى عن الكامل شبه الناقص، مع أن الكمال لأزواج النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة إلى عموم النساء. وعلى ذلك جاءت عبارة امرأة عمران والله أعلم. ومنه أيضاً ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

(٢) في قوله ـ تعالى ـ «فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى» ترى في هذا الخبر تحسراً وتحزناً، وهذا ما عرفه المفسر العلامة بهذا العنوان.

بهذا الفهم البلاغي يفتح المفسر العلامة باباً واسعاً من أبواب البلاغة في الخبر والغرض منه وخلاصة ذلك:

١ ـ أن الخبر الذي يلقيه المتكلم يفيد أحد أمرين:

(أ) الفائدة إذا لم يكن المخاطب يعلم شيئاً عن الخبر فنقول له حضر محمد، وأكرم إخوانه.

(ب) لازم الفائدة، وذلك إذا كان المخاطب يعلم الخبر وأنت تريد إفادته أنك تعلم هذا الخبر، فنقول له «أنت محمد».

٢ ـ وقد يخرج الخبر عن الفائدة ولازم الفائدة إلى معانٍ أخرى تدرك بمعونة المقام وسياق الكلام، فمنه ما ورد هنا في الآية الشريفة:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ لم تقله راضية بما وضعت، وإنما تحسرت وحزنت أن ولدت ما كانت تتوقع غيره، إذ كانت تريد ذكراً لتحرره عابداً لربه، ولكن أراد أن يعدل موازين البشر فقال ـ سبحانه ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لأن الأنثى ستكون عابدة على ما أرادت ثم تكون هذه الأنثى «مريم» أما لنبية عيسى عليه السلام، وبهذا لا يكون الذكر كالأنثى، بل الأنثى في هذا المقام أفضل يقول سعد الدين التفتازاني:

وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئاً. فلذلك تحسرت، وفي قراءة ابن عباس «والله أعلم بما وَضَعْتِ» على خطاب الله تعالى لها أي: إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلوّ قدره، وقرىء: «وضعت». بمعنى: ولعلّ لله تعالى فيه سراً وحكمة، ولعلّ هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها. فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: ؟ قلت: هو بيان لما في قوله: ، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾: من التعظيم للموضوع والرفع منه، ومعناه: وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها، واللام فيهما للعهد. فإن قلت: علام عطف قوله: ، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: ؟ قلت: هو عطف على إني وضعتها أنثى، وما بينهما جملتان معترضتان، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: ٧٦] فإن قلت: فلم ذكرت تسميتها مريم لربها؟ قلت: لأن مريم في لغتهم بمعنى العابدة[1]، فأرادت بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها، وأن يصدق فيها ظنها بها. ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه، وما يروى من الحديث. «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس

---

= «لا شك أن قصد المخبر أي من يكون بصدد الإخبار والإعلام لا من يتلفظ بالجملة الخبرية فإنه كثيراً ما تورد الجملة الخبرية لأغراض أخر سوى إفادة الحكم أو لازمه كقوله ـ تعالى ـ حكاية عن امرأة عمران ـ ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ ـ إظهاراً للتحسر على خيبة رجائها، وعكس تقديرها، وللتحزن إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً» وبهذا ينفتح الباب لأغراض نفسية تثور في الأنفس بلا حد ولا عد، وهذا المجال واسع، وقد حصر منه البلاغيون بعض أنماطه في آيات الكتاب العزيز، ولكن الطريق طويل، وإلى الله ـ وحده ـ المصير.

«ينظر المطول ٤٣ وما بعدها، والإيضاح ١/ ٨٦، ٨٧، عقود الجمان وشرحه للسيوطي، وحواشي المرشدي عليه ١/ ٤٠، ٤١، خصائص التراكيب لأبي موسى ٤٦، علم المعاني في تفسير فتح القدير للشوكاني ١/ ٣٨٨ وما بعدها.

(١) (عاد كلامه) قال: «وفائدة قولها (وإني سميتها مريم) أن مريم في لغتهم العابدة... إلخ» قال أحمد: أما الحديث فمذكور في الصحاح متفق على صحته، فلا محيص له إذاً عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحاً إلى اعتزال منتزع في فلسفة منتزعة في إلحاد ظلمات بعضها فوق بعض. وقد قدمت عند قوله تعالى ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ ما فيه كفاية، وما أرى الشيطان إلا طعن في خواصر القدرية حتى بقرها، ووكر في قلوبهم حتى حمل الزمخشري وأمثاله أن يقول في كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل، كما قال في هذا الحديث، ثم نظره بتخييل ابن الرومي في شعره، جراءة وسوء أدب. ولو كان معنى ما قاله صحيحاً لكانت هذه العبارة واجباً أن تجتنب، ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لأمكن على بعد أن يكون تمثيلاً. وما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل إلا الاعتقاد الضئيل وارتكاب الهوى الوبيل.

الشيطان إياه، إلا مريم وابنها» فالله أعلم بصحته. فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها» (٢٣٢) فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ونحوه من التخييل قول ابن الرومي [من الطويل]:

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا ... يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ (١)

وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخاً وعياطاً مما يبلونا به من نخسه، ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾: فرضي بها في النذر مكان الذكر، ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: فيه وجهان: أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل به الشيء كالسعوط واللدود، لما يسعط به ويلد، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر، ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك، أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة، وروي: أن حنة حين ولدت مريم، لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون، وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة، فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم، وكانت بنو ماثان رءوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، فقال لهم زكريا: أنا أحق بها،

---

٢٣٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٥٤١): كتاب الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، حديث (٣٤٣١)، وطرفه في (٤٥٤٨)، ومسلم (٨/ ١٣١ نووي): كتاب الفضائل: باب فضل عيسى عليه السلام، حديث (١٤٦/ ٢٣٦٦) وأحمد (٢/ ٢٣٣، ٢٧٤ ـ ٧٥) والطبري (٦/ ٣٣٧، ٣٣٩)، حديث (٦٨٩١، ٦٨٨٧) والبغوي في تفسيره (١/ ٢٩٥) آية (٣٦) من آل عمران، وابن حبّان في صحيحه (١٤/ ١٢٩)، حديث (٦٢٣٥).

قال الحافظ:

قال المصنف: الله أعلم بصحته هكذا قال والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة في آخره: قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. انتهى.

---

(١) لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأفسح مما كان فيه وأرغد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يهدد

لابن الرومي، يقول: إن بكاء الطفل حين ولادته لأجل ما تشعر به الدنيا من حوادثها فقط، وإن لا يكن بكاؤه لذلك، فأي شيء منها يبكيه، أو فأي شيء يبكيه منها، وإنها أي الدنيا، وروي: وإنه، أي الطفل لأفسح موضعاً مما كان فيه من ضيق الرحم وأرغد منه. وعوده على ما يبكيه بعيد، أو غير سديد. ويجوز أنه عائد على فضاء الدنيا المعلوم من المقام، ثم قال: إذا أبصرها صرخ، كأنه يخوف بما سوف يناله من أذاها قبل حصوله.

عندي خالتها فقالوا: لا حتى نقترع عليها، فانطلقوا ـ وكانوا سبعة وعشرين ـ إلى نهر، فألقوا فيه أقلامهم، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم، فتكفلها، (٢٣٣) والثاني: أن يكون مصدراً على تقدير حذف المضاف بمعنى: فتقبلها بذي قبول حسن، أي: بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص، ويجوز أن يكون معنى، ﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾: فاستقبلها، كقولك: تعجله بمعنى استعجله، وتقصاه بمعنى استقصاه، وهو كثير في كلامهم، من استقبل الأمر إذا أخذه بأوّله وعنفوانه قال القطامي [من الوافر]:

وَخَيْرُ الأَمْرِ مَا ٱسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ ... وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا[1]

ومنه المثل «خذ الأمر بقوابله». أي: فأخذها في أوّل أمرها حين ولدت بقبول حسن، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها، وقرىء: «وَكَفِلَها زكريا»، بوزن وعملها، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: بتشديد الفاء ونصب زكرياء[2]، والفعل لله تعالى بمعنى: وضمها إليه وجعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها، ويؤيدها قراءة أبيّ: وأكفلها، من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ [ص: ٢٣] وقرأ مجاهد: فتقبلها ربها، وأنبتها، وكفلها، على لفظ الأمر في الأفعال الثلاثة، ونصب ربها، تدعو بذلك، أي: فاقبلها يا ربها وُرَبِّهَا، واجعل زكريا كافلاً لها. قيل: بنى لها زكريا محراباً في المسجد، أي: غرفة يصعد إليها بسلم، وقيل: المحراب أشرف المجالس ومقدّمها، كأنها وضعت في

---

٢٣٣ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٣٥١)، حديث (٦٩٠٩) عن عكرمة.

قال الحافظ:

قوله «أنا أحق بها عندي خالتها، قوله «خالتها: يعني زوجته إيشاع أخت حنة لكن تقدم أنها أخت مريم وقال ـ ﷺ ـ في يحيى وعيسى هما ابنا خالة وفي أبي السّعود قيل في تأويل ذلك أنّ الأخت كثيراً ما تطلق على بنت الأخت فجرى الحديث على ذلك وقيل إنّ إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب. انتهى.

---

(١) يقول: خير الأمور هو الذي تستقبله وتنتظره فتأخذه أول إتيانه. وليس خبرها ما تصبر عنه حتى يفوتك ويمضي ثم تتبعه وتذهب وراءه لتدركه، فالباء زائدة في خبر ليس، وهو على تقدير مضاف، أي ذي التتبع. وتتبعه: أصله تتتبعه حذفت منه تاء المضارعة أو تاء التفعل أو التاء التي هي فاء الفعل وهو أولاها، لأن كل من الأوليين جاء لمعنى. وقال الجوهري: وضع الاتباع موضع التتبع اهـ، فهو اسم مصدر، أو مصدر حذف منه بعض الزوائد. والتفعل أبلغ من الافتعال، فيتعين إرادته هنا لأنه مؤكد.

ينظر ديوانه (٤٠)، والكتاب ٤/ ٨٢، والخصائص ٢/ ٣٠٩، وابن يعيش ١/ ١١١، وأمالي الشجري ٢/ ١٤١، والخزانة ١/ ٣٩٢، والمقتضب ٣/ ٢٠٥، وديوان الحماسة ١/ ١٣٥، والبيان ٢/ ٤٧٠، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٧١، والدر المصون ٢/ ٦٠.

(٢) قوله «ونصب زكريا الفعل لله تعالى» لعله والفعل. (ع)

أشرف موضع من بيت المقدس، وقيل: كانت مساجدهم تسمى المحاريب، وروي: أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده، وكان إذا خرج غلق عليها سبعة أبواب. ، ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والأبواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به إليك؟، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: فلا تستبعد. قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد، وعن النبي ﷺ أنه جاع في زمن قحط فأهدت له فاطمة ـ رضي الله عنها ـ رغيفين وبضعة لحم آثرته بها، فرجع بها إليها، وقال: هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً، فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله، فقال لها ﷺ: «أنّىٰ لك هذا»؟ فقالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل»، ثم جمع رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته، فأكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة على جيرانها، (٢٣٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾: من جملة كلام مريم عليها السلام، أو من كلام رب العزّة عزّ من قائل، ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير لكثرته، أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾

﴿هُنَالِكَ﴾: في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت. فقد يستعار هنا[1] وثم وحيث للزمان. لما رأى حال مريم في كرامتها على الله

---

٢٣٤ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٦) وعزاه لأبي يعلى.

---

(١) قال محمود: «فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان... إلخ» قال أحمد: لا يليق بالنبي أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله، فإن العقل يقضي بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وإن لم يقع نظيره. وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال: لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتد أمله إلى حادث يناسبه كرامة له، والله أعلم.

ومنزلتها، رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة على الله، وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أختها كذلك، وقيل: لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر، ﴿ذُرِّيَّةً﴾: ولداً، والذرية يقع على الواحد والجمع، ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: مجيبه. قرىء: «فناداه الملائكة»، وقيل: ناداه جبريل ـ عليه السلام ـ، وإنما قيل الملائكة على قولهم: فلان يركب الخيل، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: بالفتح على بأن الله، وبالكسر على إرادة القول. أو لأن النداء نوع من القول، وقرىء: «يبشرك»، «ويبشرك»، من بشره وأبشره. «ويَبْشُرك»[1] بفتح الياء من بشره، ويحيى إن كان أعجمياً وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى، وإن كان عربياً فللتعريف ووزن الفعل كيعمر، ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: مصدّقاً بعيسى مؤمناً به. قيل هو أول من آمن به، وسمي عيسى «كلمة» لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها، وهي قوله: «كن» من غير سبب آخر، وقيل: مصدّقاً بكلمة من الله، مؤمناً بكتاب منه، وسمي الكتاب كلمة، كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته، والسيد: الذي يسود قومه، أي: يفوقهم في الشرف، وكان يحيى فائقاً لقومه وفائقاً للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط، ويالها من سيادة، والحصور: الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه أي: منعاً لها من الشهوات، وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر. قال الأخطل [من البسيط]:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِي ... لاَ بِالْحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَئَّارِ[2]

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو، وقد روي أنه مرّ وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال: ما للعب خلقت، ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ناشئاً من الصالحين، لأنه كان من أصلاب الأنبياء، أو كائناً من جملة الصالحين كقوله: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠]. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾: استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: كقولهم: أدركته السنّ العالية، والمعنى أثر فيّ الكبر فأضعفني، وكانت له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: يفعل الله ما يشاء من

---

(١) قوله «ويشرك» لعل هذه بدون ضمير الخطاب، وإن كانت السابقة من بشره بفتح الباء أيضاً. (ع)

(٢) للأخطل، يقول: رب شارب مشترٍ للخمر بالثمن الربيح الزائد، نادمني بالكأس. ويجوز تعلقه بما قبله، ليس حصوراً مانعاً نفسه من الدخول على القوم في لعب الميسر، ولا سآر على صيغة «فعال» للمبالغة، أي مبقياً في الكأس سؤراً، أي بقية، من أسأر إذا أبقى، وهو شاذ كجبار من أجبر. ويروى بسوار من السورة وهي الوثبة والعربدة، ففي سببية، أي ولا متغير العقل بسببها، ولا عاطفة على مربح، والثانية توكيد، والباء زائدة بعد كل، ونادمني خبر، فيجوز الرجوع إلى الوصف بعد الإخبار.
ينظر ديوانه (١٦٨)، والمحتسب ٢/ ٢٤١، والمعاني الكبير ١/ ٤٦٤، ورغبة الآمل ٢/ ٤٩، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٢٤، والتاج ٣/ ١٤٣، ومجاز القرآن ١/ ٩٢، والدر المصون ٢/ ٨٥.

الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل، وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر، أو كذلك الله مبتدأ وخبر، أي: على نحو هذه الصفة الله، ويفعل ما يشاء بيان له، أي: يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات، ﴿ءَايَةً﴾: علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت بالشكر، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾: تقدر على تكليم الناس، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة، مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله، ولذلك قال:، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس، وهي من الآيات الباهرة. فإن قلت: لم حبس لسانه عن كلام الناس؟ قلت: ليخلص المدّة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره، توفراً منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة، وشكرها الذي طلب الآية من أجله، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له: آيتك أن تحبس لسانك[1] إلا عن الشكر، وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال، ومنتزعاً منه، ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرّك. يقال ارتمز: إذا تحرّك، ومنه قيل للبحر الراموز، وقرأ يحيى ابن وثاب «إلا رمزاً» بضمتين، جمع رموز كرسول ورسل، وقرىء: «رمزاً» بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم، وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله [من الوافر]:

مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ ... رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا[2]

---

(١) قوله «أن تحبس لسانك» لعله: يحبس. (ع)

(٢) أحولي تنفض استك مذرويها ... لتقتلني فها أنا ذا عمارا
متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا
وسيفي صارم قبضت عليه ... أصابع لا ترى فيها انتشارا

لعنترة يخاطب عمارة بن زياد العبسي، لما قال لقومه: ليتني لقيته فأرحتكم منه وأعلمتكم أنه عبد، والاست: الدبر، وهي فاعل. ومذرويها: مفعول، وكان قياسه: مذريان بالياء لأنه مقصور زائد على ثلاثة أحرف، وقياس تثنيته كذلك، فمجيئه بالواو شاذ، وسهله أن تثنيته تقديرية لأنه لم يسمع له مفرد. وحكي عن أبي عمرو «مذري» مفرداً، فيكون مثنى حقيقة، وبه قبل. وحكي عن أبي عبيدة مذري مفرداً، ومذريان مثنى بالياء على القياس، وإن نصب الاست كان مفعولاً، ومذرويها بدلاً منه. والمذروان بالكسر فرعا الأليتين وقرنا الرأس. يقال: جاء ينفض مذرويه يختال ويتبختر، وقوس هتافة المذروني، وهما موقعا الوتر من أعلى وأسفل. أي رنانتهما، وها أنا ذا أصله أنا هذا، فقدمت الهاء مبادرة إلى التنبيه، ثم قال: متى تلاقني حال كوننا منفردين عن غيرنا، تخف مني فترتعد أطراف أليتيك، فارتعادها كناية عن الخوف. وتستطارا مؤكد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً، والفاعل ضمير المخاطب كأن الخوف يطيره. ويجوز أن الضمير للروانف، أي تنتفض وتنتشر كالطائر. ويروى: روادف، والمراد واحد.

ينظر خزانة الأدب ٤/ ٢٩٧، ٧/ ٥٠٧، ٥١٤، ٥٥٣، ٨/ ٢٢، والدرر ٥/ ٩٤، وشرح التصريح ٢/ ٢٩٤، وشرح شواهد الشافية ص ٥٠٥، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٦٠، وشرح المفصل لابن =

بمعنى إلا مترامزين، كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم، والعشيّ: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، و﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: من طلوع الفجر إلى وقت الضحى، وقرىء «والأبكار»، بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار. يقال: أتيته بكراً بفتحتين. فإن قلت: الرمز ليس من جنس الكلام؛ فكيف استثنى منه؟ قلت: لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاماً، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰمَرْيَمُ﴾: روي أنهم كلموها شفاها معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوّة عيسى، ﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾: أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾: مما يستقذر من الأفعال ومما قرفك به اليهود، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾: آخراً، ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بأن وهب لك عيسى من غير أب؛ ولم يكن ذلك لأحد من النساء. أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود؛ لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها؛ ثم قيل لها، ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين أي: في الجماعة؛ أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم، ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبإ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي. فإن قلت: لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة؟ وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم؟ قلت: كان معلوماً عندهم علماً يقيناً أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة، ونحوه ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾

---

= يعيش ٢/ ٥٥، ولسان العرب (طير)؟ (ألا)، (خصا)، والمقاصد النحوية ٣/ ١٧٤، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٩١، وأمالي ابن الحاجب ١/ ٤٥١، وشرح الأشموني ٣/ ٥٧٩، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٣٠١، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١١٦، ٦/ ٨٧، ولسان العرب (رنق)، وهمع الهوامع ٢/ ٦٣. والدر المصون ٢/ ٩٠.

[القصص: ٤٤]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ﴿أَقْلَٰمَهُمْ﴾: أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين، وقيل: هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اختاروها للقرعة تبركا بها، ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: في شأنها تنافساً في التكفل بها. فإن قلت:، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: بم يتعلق؟ قلت: بمحذوف دلّ عليه «يلقون أقلامهم»، كأنه قيل: يلقونها ينظرون أيهم يكفل، أو ليعلموا، أو يقولون.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: لقب من الألقاب المشرفة، كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه المبارك، كقوله: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١] وكذلك، ﴿عِيسَى﴾: معرب من أيشوع، ومشتقهما من المسح والعيس، كالراقم في الماء[1]. فإن قلت: ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ بم يتعلق؟ قلت: هو بدل من، ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ويجوز أن يبدل من، ﴿إِذْ

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يَصِحُّ أَنْ يكون «المسيح» في هذا التركيب صفةً؛ لأن المُخْبَرَ به على هذا لُفِظَ، والمسيحُ من صفةِ المدلولِ لا من صفةِ الدالِ؛ إذ لفظُ عيسى ليس المسيح، ومَنْ قال: إنهما اسمان قال: فَقُدِّمَ المسيحُ على عيسى لشهرتِهِ. قال ابن الأنباري: «وإنَّما قُدِّمَ ـ بُدِيء بلقبه ـ لأن المسيحَ أشهرُ من عيسى؛ لأنه قَلَّ أن يقعَ على سُمَيٍّ يَشْتَبِهُ به، وعيسى قد يقع على عدد كثير فقدِّمه لشهرتِهِ، ألا ترى أن ألقاب الخلفاء أشهرُ من أسمائِهِم»، فهذا يَدُلُّ على أنَّ المسيحَ عند ابن الأنباري «لقبٌ» لا اسمٌ. وقال أبو إسحاق: «وعيسى مُعَرَّبٌ من أَيْسوع وإنْ جَعَلْتَه عربياً لم تَصْرِفْهُ في معرفةٍ ولا نكرةٍ؛ لأنَّ فيه ألفَ التأنيث، ويكون مشتقاً مِنْ عاسَه يَعُوسه إذا سَاسَه، وقام عليه». انتهى. الدر المصون.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع، كما تقول: لقيته سنة كذا. فإن قلت: لم قيل: عيسى ابن مريم والخطاب لمريم[1]؟ قلت: لأنّ الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين. فإن قلت: لم ذكر ضمير الكلمة؟ قلت: لأن المسمى بها مذكر. فإن قلت: لم قيل: اسمه المسيح عيسى ابن مريم[2]، وهذه ثلاثة أشياء: الاسم منها عيسى، وأما المسيح والابن فلقب وصفة؟ قلت: الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره، فكأنه قيل: الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة، ﴿وَجِيهًا﴾: حال من ﴿كَلِمَةٍ﴾ وكذلك قوله: «من المقربين» «ويكلم» «ومن الصالحين» أي: يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات، وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة، والوجاهة في الدنيا: النبوّة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة، وكونه ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة، والمهد: ما يمهد للصبي من مضجعه، سمي بالمصدر، و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾: في محل النصب على الحال، ﴿وَكَهْلًا﴾: عطف عليه بمعنى: ويكلم الناس طفلاً وكهلاً، ومعناه: يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء، من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء، ومن بدع التفاسير أن قولها: «رب» نداء لجبريل ـ عليه السلام ـ بمعنى يا سيدي ﴿ونعلمه﴾ عطف على يبشرك، أو على وجيها أو على يخلق، أو هو كلام مبتدأ، وقرأ عاصم ونافع: «ويعلمه»، بالياء. فإن قلت: علام تحمل: و«رسولاً»، و«مصدّقاً» من المنصوبات المتقدّمة، وقوله: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم﴾: و﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾: يأبى حمله عليها؟ قلت: هو من المضائق، وفيه وجهان: أحدهما أن يضمر له «وأرسلت» على إرادة القول؛ تقديره: ونعلمه الكتاب والحكمة، ويقول أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم،

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم... إلخ» قال أحمد: ويحقق هذا الجواب قولها ﴿أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠] فإنه لم يتقدم في وعد الله لها بالولد ما يدل على أنه من غير أب، إلا أنه لما نسبه إليها دل على أنها فهمت من ذلك كونه من غير أب، والله أعلم.

(٢) (عاد كلامه) قال: «فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم... إلخ» قال أحمد: وفي هذا التقرير خلاص من إشكال يوردونه فيقولون: المسيح في الآية إن أريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى ابن مريم؟ والتسمية لا توصف بالنبوة، وإن أريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه؟ ويجاب عن الإشكال بأن المسيح خبر عن قوله اسمه، والمراد التسمية، وأما عيسى ابن مريم فخبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عيسى ابن مريم، ويكون الضمير عائداً إلى المسمى بالتسمية المذكورة، منقطعاً عن قول المسيح. والذي قرره الزمخشري لا يرد عليه هذا الإشكال، وهو حسن جداً، والله أعلم.

ومصدقاً لما بين يدي، والثاني أن الرسول والمصدّق فيهما معنى النطق، فكأنه قيل: وناطقاً بأني قد جئتكم، وناطقاً بأني أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي: ورسول: عطفاً على كلمة، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾: أصله أرسلت بأني قد جئتكم، فحذف الجار وانتصب بالفعل، و﴿أَنِّي أَخْلُقُ﴾: نصب بدل من، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم﴾: أو جرّ بدل من آية، أو رفع على: هي أني أخلق لكم، وقرىء: «إني»، بالكسر على الاستئناف، أي: أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير، ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾: الضمير للكاف، أي: في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾: فيصير طيراً كسائر الطيور حياً طياراً، وقرأ عبد الله: «فأنفخها» قال [من البسيط]:

. . . . . كالهَبْرَقِيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الْفَحْمَا[1]

وقيل: لم يخلق غير الخفاش، ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾: الذي ولد أعمى، وقيل: هو الممسوح العين، ويقال: لم يكن في هذه الأمّة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير، وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى، من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده، (٢٣٥) وكرر، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: دفعاً لوهم من توهم فيه اللاهوتية، وروي: أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون، فقالوا هذا سحر فأرنا آية، فقال: يا فلان أكلت كذا، ويا فلان خبىء لك كذا، وقرىء «تذخرون»، بالذال والتخفيف، ﴿وَلِأُحِلَّ﴾: ردّ على قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جئتكم بآية من ربكم، ولأحل لكم ويجوز أن يكون، ﴿مُصَدِّقًا﴾: مردوداً عليه أيضاً، أي: جئتكم بآية وجئتكم مصدقاً، وما حرم الله عليهم في شريعة موسى: الشحوم والثروب[2] ولحوم الإبل، والسمك، وكل ذي ظفر، فأحل لهم عيسى بعض ذلك. قيل: أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية[3] له، واختلفوا في إحلاله لهم السبت، وقرىء «حرم عليكم» على

---

٢٣٥ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٤٣١، ٤٣٢)، حديث (٧٠٩٨).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٥٧، ٥٨) وعزاه للطبري.

---

(١) مولي الريح روْقيهِ وجبهته كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما
للنابغة، يصف ثوراً وحشياً موجهاً قرنيه وجبهته إلى الريح، فهو مستقبلها برأسه وينفخ في مقابلتها بفمه، فيسمع له صوت، فهو كالهبرقي ـ وزان جعفري وزبرجي ـ وهو الحداد والصائغ. ويروى: كالحرقي، أي الحداد، نسبة لحرق النار، شبهه به حال كونه انحاز إلى ناحية ينفخ الفحم المنقد بالنار، فينفخ: حال متداخلة.
ينظر: ديوانه (١١٠) واللسان والدر المصون (٢/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٢/ ٤٨٨).
(٢) قوله «الثروب» الشحوم الرقيقة التي تغشي الكرش والأمعاء. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) قوله «ما لا صيصية له» الصيصية شوكة كالتي في رجل الديك. أفاده الصحاح. (ع)

تسمية الفاعل، وهو ما بين يديّ من التوراة، أو الله عزّ وجلّ، أو موسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن ذكر التوراة دل عليه، ولأنه كان معلوماً عندهم، وقرىء: «حرم»، بوزن كرم ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله: ، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: لأنّ جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه، وقرىء بالفتح على البدل من ﴿آيَةٍ﴾، وقوله: ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: اعتراض، فإن قلت: كيف جعل هذا القول آية من ربه؟ قلت: لأنّ الله تعالى جعله له علامة يعرف منها أنه رسول كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال، ويجوز أن يكون تكريراً لقوله: ﴿جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم، من خلق الطير، والإبراء، والإحياء، والإنباء بالخفايا، وبغيره من ولادتي بغير أب، ومن كلامي في المهد، ومن سائر ذلك، وقرأ عبد الله. «وجئتكم بآيات من ربكم»، فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه. ثم ابتدأ فقال: ، ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: ومعنى قراءة من فتح: ولأنّ الله ربي وربكم فاعبدوه، كقوله: ، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ . . . . فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قريش: ١ ـ ٣] ويجوز أن يكون المعنى: وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض.

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٥٤﴾

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾: فلما علم منهم، ﴿الْكُفْرَ﴾: علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس، و﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾: من صلة «أنصاري» مضمناً معنى الإضافة، كأنه قيل: من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله، ينصرونني كما ينصرني، أو يتعلق بمحذوف حالاً من الياء، أي: من أنصاري، ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه، ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أنصار دينه ورسوله، وحواريّ الرجل: صفوته وخالصته، ومنه قيل للحضريات: الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال [من الطويل]:

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ: يَبْكِينَ غَيْرَنَا ... وَلاَ تَبْكِنَا إِلاَّ الْكِلاَبُ النَّوَابِحُ[1]

وفي وزنه الحوالي، وهو الكثير الحيلة، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً

---

(١) لليشكري، يقول: فقل للنساء الحضريات الصافيات البياض يبكين غيرنا، كناية عن أنه ليس من أهل التنعم، ثم نهى عن أن يبكيهم أحد إلا الكلاب التي تساق معهم للصيد، أو التي جرت عادتها بأكل قتلاهم في الحرب أو التي تنبحهم إذا أقبلوا على أصحابها، كناية عن أنه من أهل البدو والغزو.
ينظر البيت في المؤتلف والمختلف (٧٩)، ومعاني الزجاج ١/ ٤٢٣، ومجاز القرآن ١/ ٩٥، والجمهرة ١/ ٣٣٠، ٢/ ١٤٦، وجامع البيان، ٦/ ٤٥١، والبحر ٢/ ٤٩٣، والدر المصون ٢/ ١١٣.

لإيمانهم، لأنّ الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم، ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم شهداء على الناس، ﴿وَمَكَرُوا۟﴾: الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر، ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾: أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أقواهم مكراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾: ظرف لـ «خير الماكرين» أو لـ «مكر الله»، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾: أي: مستوفي أجلك. معناه: إني عاصمك[1] من أن يقتلك الكفار؛ ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتيلاً بأيدهم، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾: إلى سمائي ومقرّ ملائكتي، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من سوء جوارهم وخبث صحبتهم، وقيل «متوفيك»: قابضك من الأرض، سن توفيت مالي على فلان إذا استوفيته: وقيل: مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن: وقيل: متوفي نفسك بالنوم من قوله: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤٢] ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف، وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب، ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف، ومتبعوه هم المسلمون لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾: تفسير الحكم قوله: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾... ﴿فَنُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[2] وقرىء ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء.

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره، ﴿نَتْلُوهُ﴾: و﴿مِنَ

---

(١) قوله «أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك» مبني على أن القتيل يموت قبل استيفاء أجله، وهو مذهب المعتزلة. (ع)

(٢) قوله «فأعذبهم فنوفيهم» هذا في الذين كفروا. وقوله: فنوفيهم... إلخ، في الذين آمنوا. (ع)

﴿ٱلْآيَـٰتِ﴾: خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون «ذلك» بمعنى الذي، و«نتلوه» صلته. «ومن الآيات» الخبر، ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه، ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: القرآن، وصف بصفة من هو سببه، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم[1]، وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: جملة مفسرة لما له شبه[2] عيسى بآدم أي: خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم، وكذلك حال عيسى. فإن قلت: كيف شبه به وقد وجد هو من غير أب، ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرفين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به، لأنّ المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وجد وجوداً خارجاً عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب، فشبه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه، وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم: لِمَ تعبدون عيسى، قالوا: لأنه لا أب له. قال: فآدم أولى لأنه لا أبوين له. قالوا: كان يحيي الموتى. قال: فحزقيل أولى، لأن عيسى أحيا أربعة نفر، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص. قال: فجرجيس أولى، لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً. ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: قدّره جسداً من طين، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾: أي: أنشأه بشراً كقوله:[3] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ﴿فَيَكُونُ﴾: حكاية حال ماضية.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يَظْهَرُ لي فَرْقٌ بين كلامِه هذا وبين مَنْ جَعَلَ المَثَل بمعنى الشأن والحال وبمعنى الصفة». قلت: قد تقدَّم في أولِ البقرة أنَّ المَثَل قد يُعَبَّر به عن الصفة وقد لا يُعَبَّر به عنها؛ فدلَّ ذلك على تغايُرهما، وقد مرَّ تفسيرُه وعبارةُ الناسِ فيه، ويَدُلُّ على ذلك ما قاله صاحب «ريّ الظمآن» عن الفارسي قال: «قيل: المَثَلُ بمعنى الصفة، وقولك: صفةُ عيسى كصفةِ آدم كلامٌ مُطَّرد، على هذا جُلُّ اللغويين والمفسرين، وخالف أبو علي الفارِسي الجميعَ، وقال: المَثَلُ بمعنى الصفة لا يُمْكِنُ تصحيحُه في اللغة، إنما المَثَلُ التشبيهُ، على هذا تدورُ تصاريفُ الكلمة، ولا معنى للوصفيةِ في التشابهِ، ومعنى المثل في كلامِهم «أنها كلمةٌ يرسلها قائلُها لحكمةٍ يُشَبَّه بها الأمورَ ويقابِلُ بها الأحوالَ» قلت: فقد فَرَّق بين لفظِ المثل في الاصطلاحِ وبين الصفة. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله «لما له شبه» أي للأمر الذي لأجله كان ذلك التشبيه. (ع)

(٣) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولو كان الخَلْقُ بمعنى الإنشاء لا بمعنى التقدير، لم يأتِ بقوله «كن»؛ لأنَّ ما خُلِقَ لا يقال له: كُنْ، ولا يُنْشَأُ إلا إنْ كان معنى «ثم قال له كن» عبارةً عن نَفْخِ الروح فيه. «قلت: قد تعرَّض الواحدي لهذه المسألة فَأَتْقَنها فقال: «وهذا ـ يعني قوله خلقه من =

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الحق كقول أهل خيبر: محمد والخميس (٢٣٦) ونهيه عن الامتراء ـ وجل رسول الله ﷺ أن يكون ممتريا ـ من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة، وأن يكون لطفاً لغيره.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: من النصارى، ﴿فِيهِ﴾: في عيسى، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أي: من البينات الموجبة للعلم، ﴿تَعَالَوْا﴾: هلموا، والمراد المجيء بالرأي والعزم، كما تقول: تعالَ نفكر في هذه المسألة، ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾: أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ثم نتباهل بأن نقول: بهلة الله على الكاذب منا ومنكم، والبهلة بالفتح، والضم: اللعنة، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك: «أبهله» إذا أهمله، وناقة باهل: لاصرار عليها[1] وأصل الابتهال هذا، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا، وروي: «أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمداً نبيٌ مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكنّ فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليٌ

---

٢٣٦ ـ سيأتي تخريجه في سورة الصّافات.
قال الحافظ: هو طرف من حديث لأنس متفق عليه بلفظ «صبّح رسول الله ـ ﷺ ـ أهل خيبر وقد خرجوا بالمساحي على أعناقهم فلمّا رأوه قالوا: هذا محمد والخميس... الحديث».
وسيأتي في صورة الصّافات انتهى.

---

= تراب ـ ليس بصلةٍ لآدم ولا صفةٍ، لأنَّ الصلة للمبهمات والصفةَ للنكرات ولكنه خبرٌ مستأنفٌ على جهةِ التفسير لحالِ آدمَ عليه السلام» قال: «قال الزجاج «وهذا كما تقولُ في الكلام: «مَثَلُك كمثلِ زيد» تريد أنك تُشبهه في فِعْلٍ ثم تخبرُ بقصة زيد، فتقول: فعل كذا وكذا». انتهى. الدر المصون.

(١) قوله «وناقة باهل لاصرار عليها» في الصحاح صررت الناقة شددت عليها الصرار، وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية، لئلا يرضعها ولدها. وفيه الخلف: حلمة ضرع الناقة. وفيه التودية: خشبة تشد عليه. (ع)

خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران[1]: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا قال: «فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» فأبوا. قال: «فإني أناجزكم» فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا ترددنا عن ديننا على أنّ نؤدي إليك كل عام ألفي حلة: ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك وقال: «والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رءوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا» (٢٣٧) وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنّ رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود. فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. (٢٣٨) فإن قلت: ما كان دعاؤه

---

٢٣٧ ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١/ ٢٥٨، ٢٥٩) عن ابن عباس عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي ـ ﷺ ـ العاقب، والطيّب والطبري (٦/ ٤٧٩)، حديث (٧١٨١)، (٧١٨٣) في الأول عن محمد بن جعفر بن الزبير والثاني عن السديّ وأخرجه ابن إسحاق (٦٧٧ ـ سيرة بن هشام) وأخرجه أبو داود (٣/ ١٦٧): كتاب الخراج والإمارة والفيء: باب في أخذ الجزية، حديث (٣٠٤١) عن ابن عبّاس بنحو الأول.

قال الحافظ: أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوّة، من طريق محمد بن مروان السديّ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بطوله وابن مروان متروك متّهم بالكذب ثم أخرج أبو نعيم نحوه عن الشعبي مرسلاً، وفيه «فإن أبيتم المباهلة فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فأعطونا الجزية. كما قال الله تعالى. قالوا: ما نملك إلاّ أنفسنا قال: فإن أبيتم فإني أنبذ إليكم على سواء، فقالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب، ولكن نؤدي الجزية، فجعل عليهم في كلّ سنة ألفي حلّة: ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، فقال ـ ﷺ ـ: لقد أتاني البشير بهلكة أهل نجران لو تمّوا على الملاعنة» رواه الطبري من طريق أبي إسحاق، حدّثني محمد بن جعفر بن الزبير في قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ فذكره مرسلاً، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس «صالح النبي ـ ﷺ ـ أهل نجران على ألفي حلّة النّصف في صفر، والبقية في رجب يؤدونه إلى المسلمين» وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً، وثلاثين من كلّ صنف من أصناف السّلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردّوها عليهم، وهو طرف من هذه القصّة. انتهى.

٢٣٨ ـ أخرجه مسلم (٨/ ٢٠٨ ـ نووي): كتاب فضائل الصّحابة: باب فضائل أهل البيت، حديث (٦١/ ٢٤٢٤)، والحاكم (٣/ ١٤٧): كتاب الفضائل وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٠)، حديث (٣٢١٠٢).

---

(١) قوله «فقال أسقف نجران يا معشر النصارى» أي حبرهم عبد المسيح اهـ. (ع)

إلى المباهلة إلا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟ قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده[1] وأحب الناس إليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة، وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: الذي قص عليك من نبأ عيسى، ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: قرىء بتحريك الهاء على الأصل وبالسكون، لأن اللام تنزل من ﴿هو﴾ منزلة بعضه، فخفف كما خفف عضد، وهو إما فصل بين اسم إن وخبرها، وإما مبتدأ و«القصص الحق» خبره، والجملة خبر «إن». فإن قلت: لم جاز دخول اللام على الفصل؟ قلت: إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز، لأنه أقرب إلى المبتدأ منه، وأصلها أن تدخل على المبتدأ، و «من» في قوله: ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بمنزلة البناء على الفتح في «لا إله إلا اللّه» في إفادة معنى الاستغراق، والمراد الردّ على النصارى في تثليثهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله: ، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟

---

= وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهو واهم في ذلك فالحديث أخرجه مسلم.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٧٧) وعزاه لمسلم، وأحمد وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة.

قال الحافظ: أخرجه مسلم من طريق صفية بنت شيبة عنها. وغفل الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله «وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه» في الصحاح: الفلذ: كبد البعير. والجمع: أفلاذ. والفلذة: القطعة من الكبد واللحم والمال وغيرها، والجمع فلذ اهـ، فتدبر. (ع)

يُفْسِدُونَ﴾: [النحل: ٨٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: قيل: هم أهل الكتابين، وقيل: وفد نجران، وقيل: يهود المدينة، ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: مستوية بيننا وبينكم، لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل، وتفسير الكلمة قوله: ، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يعني تعالوا إليها حتى لا نقول: عزير ابن الله، ولا المسيح ابن الله، لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا، ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١] وعن عدي بن حاتم: «ما كنا نعبدهم يا رسول الله، قال: أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم؟ قال: نعم. قال: هو ذاك» وعن الفضيل: لا أبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق، أو صليت لغير القبلة، وقرىء «كلمة» بسكون اللام، وقرأ الحسن «سواء» بالنصب بمعنى استوت استواء، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: عن التوحيد، ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: أي: لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم، كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع أو غيرهما: اعترف بأني أنا الغالب وسلم لي الغلبة، ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره. زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم، وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقيل لهم: إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة، والنصرانية بعد نزول الإنجيل، وبين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبينه وبين عيسى ألفان، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال، ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: «ها» للتنبيه، و«أنتم» مبتدأ و«هؤلاء» خبره، و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾: جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى، يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى

وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم، ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: مما نطق به التوراة والإنجيل، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم، وعن الأخفش: ها أنتم هو آأنتم على الاستفهام. فقلبت الهمزة هاء، ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم، وقيل: ، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: بمعنى اللذين و﴿حَٰجَجْتُمْ﴾: صلته، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: علم ما حاججتم فيه، ﴿وَأَنتُمْ﴾: جاهلون به ثم أعلمهم بأنه بريء من دينكم وما كان إلا، ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: كما لم يكن منكم. أو أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح، ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾: إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب، ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: في زمانه وبعده، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾: خصوصاً، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: من أمته، وقرىء: «وهذا النبيُّ» بالنصب عطفاً على الهاء في «اتبعوه»، أي: اتبعوه واتبعوا هذا النبي، وبالجر عطفاً على إبراهيم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ﴾: هم اليهود، دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾: وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم. أو وما يقدرون على إضلال المسلمين، وإنما يضلون أمثالهم من أشياعهم، ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة والإنجيل، وكفرهم بها: أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوّة رسول الله ﷺ وغيرها، وشهادتهم: اعترافهم بأنها آيات الله. أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوّة الرسول، ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: نعته في الكتابين. أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق. قرىء «تلبسون» بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب «تلبَسُون» بفتح الباء أي: تلبسون الحق مع الباطل. كقوله: «كلابس ثوبَيْ زور»، وقوله [من الطويل]:

..... إِذَا هُوَ بِالْمَجْدِ ٱرْتَدَى وَتَأَزَّرَا[1]

---

(١) فلا أب وابناً مثل مروان وابنه إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا

للفرزدق. وابناً: نصب عطفاً على موضع الأب، ومثل بالرفع ـ خبر لا أو نصب صفة لأب وابناً، والخبر محذوف. وابنه هو عبدالملك. و «إذا هو» أي مروان، لأن مجد الابن بمجد الأب لا العكس، والمراد بالمجد هنا: الأفعال الحميدة التي تتجدد منه، ثم إنه شبهه باللباس بجامع صون كل لصاحبه على طريق المكنية، والارتداء والتأزر تخييل. ويحتمل أنه شبَّه الاتصاف به ظاهراً وباطناً بالارتداء والتأزر على طريق التصريحية. ويجوز أن المراد من «إذا» الزمن المستمر، لا المستقبل فقط. =

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوّله. قال [من الكامل]:

مَنْ كَانَ مَسْرُوراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ[1]

والمعنى: أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أوّل النهار، ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟﴾: به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون: ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد يتبين لهم فيرجعون برجوعكم، وقيل: تواطأ اثنا عشر من أحبار يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أوّل النهار من غير اعتقاد، واكفروا به آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شكّ أصحابه في دينهم، وقيل: هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة قال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها في أوّل النهار، ثم اكفروا به في آخره وصلوا إلى الصخرة، ولعلهم

---

= وهو لرجل من عبد مناة بن كنانة في تخليص الشواهد ص ٤١٣، ٤١٤؛ وخزانة الأدب ٤/ ٦٧، ٦٨؛ وشرح التصريح ١/ ٢٤٣؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٠٧، والمقاصد النحويّة ٢/ ٣٥٥، وله أو للفرزدق في الدرر ٦/ ١٧٢، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٤١٩، ٢/ ٥٩٣، ٨٤٧، وأوضح المسالك ٢/ ٢٢، وجواهر الأدب ص ٢٤١، وشرح الأشموني ١/ ١٥٣، وشرح قطر الندى ص ١٦٨، وشرح المفصّل ٢/ ١٠١، ١١٠ واللامات ص ١٠٥، واللمع ص ١٣٠، والمقتضب ٤/ ٣٧٢، همع الهوامع ٢/ ١٤٣.

(١) من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه يلطمن أوجههن بالأسحار

لربيع بن زياد. يرثي مالك بن زهير العبسي. ووجه النهار: أوله. والحواسر: كاشفات الوجوه، وصرف للوزن. والندبة: رفع الصوت بالبكاء على الميت. والأسحار: مقدم أعالي الأعناق. والباء بمعنى مع. كانت عادة العرب أن لا يندبوا القتيل إلا بعد أخذ ثأره فضمن الرثاء معنى المدح لهم والتشفي من عدوهم. وقال: من كان شامتاً بقتله فليجيء إلى نسائنا في أول النهار يجدهن كاشفات وجوههن يبكين عليه برفع أصواتهن، يضربن أوجههن مع صفاح أعناقهن. يعني أننا أخذنا ثأره فحل لنسائنا البكاء عليه، وانتقد ابن العميد قوله: فليأت نسوتنا. ولله در الإمام المرزوقي حيث أبدله بقوله: فليأت ساحتنا، لأنه فيه أيضاً الفرار من الإظهار موضع الإضمار.
ينظر البيت في ديوان الحماسة ١/ ٤٩٤، واللسان (وجه)، ومجاز القرآن ١/ ٩٧، وأمالي المرتضى ١/ ٢١١، والأشباه والنظائر ٢/ ٨٢، وتذكرة النحاة ص ١٣٩، والاستغناء في أحكام الاستثناء ص ٦٣٢، والبحر المحيط ٢/ ٥١٧، والدر المصون ٢/ ١٣٤.

يقولون: هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا﴾: متعلق بقوله: ، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾: وما بينهما اعتراض. أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم. أرادوا: أسرّوا تصديقكم بأنّ المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم، ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾: عطف على أن يؤتى[1] والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع[2]، بمعنى: ولا تؤمنوا لغير أتباعكم، أنّ المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة. فإن قلت: فما معنى الاعتراض؟ قلت: معناه أنّ الهدى هدى الله، من شاء أن يلطف به حتى يسلم، أو يزيد ثباته على الإسلام، كان ذلك، ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: يريد الهداية والتوفيق. أو يتمّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: على معنى: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار «إلا لمن تبع دينكم»: إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم، ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم، وقوله: ، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه، لا لشيء آخر، يعني أن ما بكم من الحسد والبغي ـ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب ـ دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم، والدليل عليه قراءة ابن كثير: أأن يؤتى أحد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ، بمعنى: إلا أن يؤتى أحد. فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾: على هذا؟ قلت: معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم، ويجوز أن يكون، ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: بدلاً من الهدى، و﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾: خبر إن، على معنى: قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم «أو يحاجوكم» حتى يحاجوكم «عند ربكم» فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم، وقرىء: «إن يؤتى أحد». على إن النافية، وهو متصل بكلام أهل الكتاب. أي: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم: ما يؤتى أحد مثل ما

---

(١) قال محمود: «أو يحاجوكم معطوف على أن يؤتى... إلخ» قال أحمد: وفي هذا الوجه من الإعراب إشكال، وهو وقوع أحد في الواجب، لأن الاستفهام هنا إنكار، واستفهام الإنكار في مثله إثبات، إذ حاصله أنه أنكر عليهم ووبخهم على وما وقع منهم وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تخص بني إسرائيل لأجل العلتين المذكورتين. فهو إثبات محقق. ويمكن أن يقال: روعيت صيغة الاستفهام وإن لم يكن المراد حقيقة، فحسن لذلك دخول أحد في سياقه. والله أعلم.

(٢) قال محمود: «والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع... إلخ» قال أحمد: أي حيث كان نكرة في سياق النفي، كما وصفه بالجمع في قوله ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم، يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم، ويجوز أن ينتصب، ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾: بفعل مضمر يدل عليه قوله: ، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: كأنه قيل: قل إن الهدى هدى الله، فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؛ لأن قولهم، ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾: إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا.

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

عن ابن عباس، ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾: هو عبد الله بن سلام، استودعه رجل من قريشٍ ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأدّاه إليه، و ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾: فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه، وقيل: المأمونون على الكثير النصارى، لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود، لغلبة الخيانة عليهم، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾: إلا مدّة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف، أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه، وقرىء: «يؤده» بكسر الهاء والوصل، وبكسرها بغير وصل، وبسكونها، وقرأ يحيى بن وثاب: «تئمنه»، بكسر التاء، ودمت بكسر الدال من دام يدام، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ترك الأداء الذي دلّ عليه لم يؤدّه، أي: تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم، ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾: أي: لا يتطرّق علينا عتاب وذم في شأن الأميين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم، لأنهم ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة، وقيل: بايع اليهود رجالاً من قريش، فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا: ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها: «كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدميّ، إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البرّ والفاجر» (٢٣٩) وعن ابن عباس أنه

---

٢٣٩ ـ أخرجه الطبري (٦/ ٥٢٢)، حديث (٧٢٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٣٤٩)، حديث (٨١٢) وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٧٨) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، عن سعيد بن جبير.

قال الحافظ:

أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق يعقوب بن النعمان القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير به مرسلاً. انتهى.

سأله رجل فقال: إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة. قال: فتقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا في ذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ليس علينا في الأميين سبيل. إنهم إذا أدّوا الجزية لم يحلّ لكم أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم، (٢٤٠) ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بادعائهم أن ذلك في كتابهم، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم كاذبون، ﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين، أي: «بلى» عليهم سبيل فيهم، وقوله:، ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾: جملة مستأنفة مقرّرة للجملة التي سدّت «بلى» مسدّها، والضمير في «بعهده» راجع إلى «من أوفى»، على أنّ كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإنّ الله يحبه. فإن قلت، فهذا عام يخيل أنه لو وفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله. قلت: أجل، لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول شيء بالعهد الأعظم، وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم، ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى، على أن كل من وفى بعهد الله واتقاه فإنّ الله يحبه، ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء. فإن قلت: فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من؟ قلت: عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير، وعن ابن عباس: نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة أهل الكتاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿يَشْتَرُونَ﴾: يستبدلون، ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدّق لما معهم، ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: وبما حلفوا به من قولهم، والله لنؤمنن به ولننصرنه، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك، وقيل: نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله ﷺ، وأخذوا الرشوة على ذلك، وقيل: جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم

---

٢٤٠ ـ أخرجه الطبري (٦/٥٢٣)، حديث (٧٢٧٣) وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٢٣، ١٢٤).
قال الحافظ:
أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق أبي إسحاق عن صعصعة بن معاوية أنه سأل ابن عباس ـ فذكره انتهى.

ممتارين، فقال لهم: هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: لقد هممت أن أَمِيرَكم وأكسوكم فحرمكم الله خيراً كثيراً. فقالوا: لعله شبه علينا فروبداً حتى نلقاه. فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته، ثم رجعوا إليه وقالوا: قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا، ففرح ومارَهُمْ، وعن الأشعث بن قيس: نزلت فيّ، كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر، فاختصمنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «شاهداك أو يمينه» فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال «من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان» وقيل: نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه، والوجه أن نزولها في أهل الكتاب، وقوله: ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: يقوّي رجوع الضمير في «بعهده» إلى الله، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول: فلان لا ينظر إلى فلان، تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: ولا يثني عليهم. فإن قلت: أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه؟ قلت: أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية، لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثم نظر، ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر، ﴿لَفَرِيقًا﴾: هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحييّ بن أخطب وغيرهم، ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾: يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة: «يلوّن»، بالتشديد، كقوله: ﴿لووا رؤوسهم﴾ [المنافقون: ٥]، وعن مجاهد وابن كثير: يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة، ثم خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في، ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾:؟ قلت: إلى ما دلّ عليه «يلوون ألسنتهم بالكتاب» وهو المحرف، ويجوز أن يراد: يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرىء: «ليحسبوه» بالياء، بمعنى: يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: تأكيد لقوله: هو من الكتاب، وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يعرّضون ولا يورّون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الأخرة، وعن ابن عباس: هم اليهودالذين قدموا على كعب بن الأشرف غيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله ﷺ، ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا

﴿يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى، وقيل: إنّ أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله ﷺ: أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا؟ فقال: معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بعبادة غير الله! فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني فنزلت، (٢٤١) وقيل: قال رجل: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله» (٢٤٢) ﴿وَالْحُكْمَ﴾: والحكمة وهي السنة، ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: ولكن يقول: كونوا، والربانيّ: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون؛ كما يقال: رقباني ولحياني، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته، وعن محمد ابن الحنفية: أنه قال حين مات ابن عباس: اليوم مات ربانيّ هذه الأمّة، وعن الحسن: ربانيين: علماء فقهاء، وقيل: علماء معلمين، وكانوا يقولون: الشارع الرباني: العالم العامل المعلم، ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾: بسبب كونكم عالمين[1] وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوّة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد

---

٢٤١ ـ أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٣٨٤).
والطبري (٦/ ٥٣٩)، حديث (٧٢٩٦) عن ابن عبّاس وابن إسحاق (٦٣٥ ـ سيرة ابن هشام).
وذكره السيوطي في الدر (٢/ ٨٢) وعزاه لابن إسحاق والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.
قال الحافظ ابن حجر:
أخرجه البيهقي في الدلائل والطبري من طريق ابن إسحاق: حدّثني محمد بن أبي محمد حدّثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: «اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ـ ﷺ ـ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلاّ نصرانياً. فأنزل الله فيهم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ـ الآية﴾ قال أبو رافع القرظي ورجل آخر منهم يقال له الرئيس وهو السّيد ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ وقد دعاهم للإسلام ـ أتريد منّا يا محمد ـ فذكره» وذكر الواحدي في الأسباب من طريق الكلبي وعطاء بن عياش «أنّ أبا رافع والرئيس من نصارى نجران قالا يا محمد ـ فذكره». انتهى.

٢٤٢ ـ ذكره السيوطي في الدر (٢/ ٨٢) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٩٢)، حديث ١٩٩ وقال: غريب، وعزاه للواحدي في أسباب النزول عن الحسن بلفظ السيوطي: بلغني أن رجلاً...
قال الحافظ:
لم أجد له إسناداً ونقله الواحدي في الأسباب عن الحسن البصري «أنّ رجلاً» فذكره انتهى.

---

(١) قوله «بسبب كونكم عالمين» تفسير لقراءة (تعلمون) من العلم. (ع)

نفسه وكدّ روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها: وقرىء «تعلمون»، من التعليم. «وتعلمون» من التعلم، ﴿تَدْرُسُونَ﴾: تقرءون، وقرىء «تدرسون»، من التدريس، وتدرسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزّل. «وتدرّسون»، من التدرّس، ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على الناس كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس، وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء، وأن السبب بينه وبين ربه منقطع، حيث لم يثبت النسبة إليه إلا للمتمسكين بطاعته، وقرىء «ولا يأمرَكم» بالنصب عطفاً على، ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾: وفيه وجهان: أحدهما: أن تجعل «لا» مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله: ، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾: والمعنى: ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد، ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم، ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾: كما تقول: ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي، والثاني: أن تجعل «لا» غير مزيدة، والمعنى: أن رسول الله ﷺ كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة، واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح. فلما قالوا له: أنتخذك رباً؟ قيل لهم: ما كان لبشر أن يستنبئه الله، ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء، والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، وتنصرها قراءة عبد الله «ولن يأمركم»، والضمير في، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾: و﴿أَيَأْمُرُكُم﴾: لبشر، وقيل لله، والهمزة في أيأمركم للإنكار، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين، وهم الذين أستأذنوه أن يسجدوا له.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: فيه غير وجه: أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك، والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه، كما تقول ميثاق الله وعهد الله، كأنه قيل: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم، والثالث: أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف، والرابع: أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكماً بهم، لأنهم كانوا يقولون: نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون، وتدل عليه قراءة أبيّ وابن

مسعود: «وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب» واللام في، ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾: لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف[1] وفي «لتؤمنن» لام جواب القسم، و «ما» يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط، و«لتؤمنن» سادّ مسدّجواب القسم والشرط جميعاً وأن تكون موصولة بمعنى: للذي آتيتكموه لتؤمنن به، وقريء: «لما آتيناكم» وقرأ حمزة: «لما آتيتكم». بكسر اللام ومعناه: لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة؛ ثم لمجيء رسول مصدّق لما معكم لتؤمنن به. على أن «ما» مصدرية، والفعلان معها أعني «آتيتكم» و «جاءكم» في معنى المصدرين، واللام داخلة للتعليل على معنى: أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه، لأجل أني آتيتكم الحكمة، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف، ويجوز أن تكون «ما» موصولة[2]. فإن قلت: كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله: ، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾: لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصفة، لأنك لا تقول: للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم؟ قلت: بلى[3] لأنّ ما معكم في معنى ما آتيتكم، فكأنه قيل: للذي آتيكموه وجاءكم رسول مصدق له، وقرأ سعيد بن جبير «لما» بالتشديد، بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة. ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته، وقيل: أصله لمن ما، فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم، فحذفوا إحداها فصارت لما، ومعناه: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به، وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى، ﴿إِصْرِى﴾: عهدي، وقرىء: «أصرى» بالضم، وسمي إصراً، لأنه مما يؤصر، أي: يشدّ ويعقد، ومنه الإصار، الذي يعقد به، ويجوز أن يكون المضموم لغة في أصر، كعبر وعبر، وأن يكون جمع إصار، ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾: فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ من إقراركم وتشاهدكم، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرُّجوع

---

(١) قال محمود: اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى القسم. . .الخ، قال أحمد: يريد على أن قوله (رسول) فاعل جاء، لأنه لا يخلو من الضمير وإلا فهذا القول صحيح على أن يكون الفاعل مضمراً ورسول خبر الموصول. ولم يرد الزمخشري إلا الأول، وهو ظاهر الآية.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وفيه حدسٌ لطيف جداً وحاصلُ ما ذكر أنهم إن أرادوا تفسير المعنى فيمكن أن يقال، وإن أرادوا تفسير الإعراب فلا يصح، لأن كلاً منهما ـ أعني الشرط والقسم ـ يطلبُ جواباً على حدة، ولا يمكن أن يكون هذا محمولاً عليهما؛ لأن الشرط يقتضيه على جهة العمل فيكون في موضع جزم، والقسم يطلبه من جهة التعلق المعنوي به من غير عمل فلا موضع له من الإعراب، مُحال أن يكون الشيء له موضع من الإعراب ولا موضع له من الإعراب. انتهى. الدر المصون.

(٣) عاد كلامه، قال مجيباً عن السؤال: «قلت: بلى. . .الخ» قال أحمد: يريد أن الكلام وإن خلا من العائد إلا أنه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة، والله أعلم.

إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض، وقيل: الخطاب للملائكة، ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: الميثاق والتوكيد، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أي: المتمردون من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة، والمعنى: فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون، ثم توسطت الهمزة بينهما، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره ﴿أ﴾: يتولون ﴿فغير دين الله يبغون﴾: وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل، وروي: أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا فيه من دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ؛ وكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به، فقال ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم» (٢٤٣) فقالوا: ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك. فنزلت: وقرىء: «يبغون»، بالياء: «وترجعون» بالتاء وهي قراءة أبي عمرو، لأنّ الباغين هم المتولون، والراجعون جميع الناس، وقرئا بالياء معاً، وبالتاء معاً، ﴿طَوْعًا﴾: بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه، ﴿وَكَرْهًا﴾: بالسَّيف، أو بمعاينة ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإدراك الغرق فرعون، والإشفاء على الموت[1] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] وانتصب طوعاً وكرها على الحال، بمعنى طائعين ومكرهين.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

أمر رسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان، فلذلك وحد الضمير في، ﴿قُلْ﴾: وجمع في، ﴿ءَامَنَّا﴾: ويجوز أن يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه. فإن قلت: لم عدّى «أنزل» في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعاً، لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر، ومن قال: إنما قيل،

---

٢٤٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١/ ١٩٢): غريب ونقله الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس: أنّ أهل الكتاب اختصموا. . . ا.هـ.
ذكر الحافظ ابن حجر: لم أجد له إسناداً، وذكره الواحدي في الأسباب أيضاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انتهى.

---

(١) قوله: «والاشفاء على الموت» أي الإشراف، كما في الصحاح (٤).

﴿عَيْنَا﴾: لقوله: ، ﴿قُلْ﴾: ؛ و﴿إِلَيْنَآ﴾: لقوله: ﴿قُولُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٣٦] تفرقة بين الرسول والمؤمنين، لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسف. ألا ترى إلى قوله: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٨]، و﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٠٥] وإلى قوله: ، ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتها؛ ثم قال: ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ يعني التوحيد وإسلام الوجه لله تعالى: ، ﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: من الذين وقعوا في الخسران مطلقاً من غير تقييد للشياع، وقرىء: «ومن يبتغ غير الإسلام» بالإدغام.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾: كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف، لما علم الله من تصميمهم على كفرهم، ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق، وبعدما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوّة ـ وهم اليهود ـ كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به؛ وذلك حين عاينوا ما يوجب قوّة إيمانهم من البينات، وقيل: نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، منهم طعمة بن أبيرق، وَوَحْوَحُ بن الأسلت، والحرث بن سويد بن الصامت. فإن قلت: علام عطف قوله، ﴿وَشَهِدُوٓاْ﴾؟ قلت: فيه وجهان: أن يعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون: ١٠] وقول الشاعر [من الطويل]:

... لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ... وَلاَ نَاعِبٍ[1] .....

---

(١) مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ... ولا ناعب إلا ببين غرابها

أنشده أبو المهدي. والشؤم: ضد اليمن. والناعب: الصائح، من باب ضرب ونفع، والبين: مصدر بمعنى الانفصال والبعد. وجر ناعب على توهم: ليسوا بمصلحين ولا ناعب، وجعل هذا جمهور النحاة مطرداً، ومنعه بعضهم. وروى «إلا بشؤم» وصوت الغراب كثيراً ما تتشاءم منه العرب. وهو كناية عن تشتت شمل تلك المشائيم وعدم اتفاق كلمتهم.

البيت للفرزدق وقيل للأحوص الدباحي ـ ينظر الكتاب (١/ ١٦٥)، (٩١٣) للفرزدق، والإنصاف ١/ ١٩٣، والخصائص (٢/ ٣٥٤)، والمغني ٢/ ٤٧٥، والحافظ في البيان ٢/ ٢٦١، وروح المعاني =

ويجوز أن تكون الواو للحال بإضمار «قد» بمعنى كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾: لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم أن اللطف لا ينفعهم.، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: الكفر العظيم والارتداد، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ : ما أفسدوا أو ودخلوا في الصلاح، وقيل: نزلت في الحرث بن سويد بعد أن ندم على ردّته وأرسل إلى قومه أن سلوا: هل لي من توبة، فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية. فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله ﷺ توبته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾: هم اليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن. أو كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك وطعنهم في كل وقت، وعداوتهم له، ونقضهم ميثاقه، وفتنتهم للمؤمنين، وصدهم عن الإيمان به، وسخريتهم بكل آية تنزل، وقيل: نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة، وازديادهم الكفر أن قالوا: نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون، وإن أردنا الرجعة نافقنا بإظهار التوبة. فإن قلت: قد علم أنّ المرتد كيفما ازداد كفرا فإنه مقبول التوبة إذا تاب فما معنى، ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾:؟ قلت: جعلت عبارة عن الموت على الكفر، لأنّ الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر، كأنه قيل: إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر، داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم. فإن قلت: فلم قيل في إحدى الآيتين، ﴿لَّن تُقْبَلَ﴾: بغير فاء، وفي الآخرى، ﴿فَلَن يُقْبَلَ﴾:؟ قلت: قد أوذن بالفاء أنّ الكلام بني على الشرط والجزاء، وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر، وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب. كما تقول: الذي جاءني له درهم، لم تجعل المجيء سبباً في استحقاق الدرهم، بخلاف قولك: فله درهم. فإن قلت: فحين كان المعنى، ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: بمعنى الموت على الكفر، فهلا جعل الموت على الكفر مسبباً عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجرّه إلى الموت على الكفر؟ قلت: لأنه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر. فإن

= ٩٨/١٢، والخزانة ١٥٨/٤ والأشموني ٢٣٥/٢ وابن يعيش ٥٢/٢، ورغبة الآمل ٩٣/٤ وضرائر الشعر ص ١٨٠، والدر المصون ١٦١/٢.

قلت: فأي: فائدة في هذه الكناية، أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة؟ قلت: الفائدة فيها جليلة، وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار، وإبراز حالهم في صورة حالة الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدّها، ألا ترى أنّ الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة، ﴿ذَهَبًا﴾: نصب على التمييز، وقرأ الأعمش: «ذهب»، بالرفع رداً على «ملء»، كما يقال: عندي عشرون نفساً رجال. فإن قلت: كيف موقع قوله: ، ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[1]: ؟ قلت: هو كلام محمول على

---

(١) قال محمود رحمه الله: «إن قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به. . .الخ» قال أحمد: لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذي ذهب إليه بوجه، ونحن نبين السبب الباعث له على إخراج الكلام عن ظاهره، ثم نقرر وجهاً يطابق الآية، وذلك أن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى، مثاله قولك: أكرم زيداً ولو أساء، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره: أكرم زيداً لو أحسن ولو أساء، إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه إن أساء على أن إكرامه أن أحسن بطريق الأولى. ومنه ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ معناه ـ والله أعلم: لو كان الحق على غيركم، ولو كان عليكم، ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم، فأوجبه تنبيهاً على ما هو أسهل وأولى بالوجوب، فإذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهراً، لأن قوله: ﴿ولو افتدى به﴾ يقتضي شرطاً آخر محذوفاً يكون هذا المذكور منها عليه بطريق الأولى، وهذه الحال المذكورة وهي حالة افتدائهم بملء الأرض ذهباً هي حالة أجدر الحالات بقبول الفدية، وليس وراءها حالة أخرى تكون أولى بالقبول منها، فلذلك قدر الكلام بمعنى: لن يقبل من أحد منهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء الأرض ذهباً هو أولى بالقبول منها، فإذا انتفى حيث كان أولى فلأن ينتفي فيما عدا هذه الحالة أولى، فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور. وأما تنزيل الآية عليه فعسر جداً، فالأولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ إن شاء الله فنقول: قبول الفدية التي هي ملء الأرض ذهباً يكون على أحوال: منها أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهراً من مال القاتل على قول. ومنها أن يقول المقتدي في التقدير: أفدي نفسي بكذا، وقد لا يفعل. ومنها أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذي يفدي به نفسه ويجعله حاضراً عتيداً، وقد يسلمه مثلاً لمن يأمن منه قبول فديته. وإذا تعددت الأحوال فالمراد في الآية أبلغ الأحوال وأجدرها بالقبول، وهو أن يفتدي بملى الأرض ذهباً افتداء محققاً بأن يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختياراً، ومع ذلك لا يقبل منه؛ فمجرد قوله أبذل المال وأقدر عليه أو ما يجري هذا المجرى بطريق الأولى، فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها، تنبيهاً على أن ثم أحوالاً أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الأولى بالنسبة إلى الحالة المذكورة. وقد ورد هذا المعنى مكشوفاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ والله أعلم. وهذا كله تسجيل بأنه لا محيص ولا مخلص لهم من الوعيد، وإلا فمن المعلوم أنهم أعجز عن الفلس في ذلك اليوم. ونظير هذا التقدير من الأمثلة أن يقول القائل: لا أبيعك هذا الثوب بألف دينار ولو سلمتها إلي في يدي هذه، فتأمل هذا النظر فإنه من السهل الممتنع. والله ولي التوفيق.

المعنى. كأنه قيل: فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً، ويجوز أن يراد: ولو افتدى بمثله[1]، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ [الزمر: ٤٧] والمثل يحذف كثيراً في كلامهم، كقولك: ضربته ضرب زيد، تريد مثل ضربه، وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله «ولا هيثم الليلة للمطيّ» و«قضية ولا أبا حسن لها»، تريد: ولا مثل هيثم، ولا مثل أبي حسن، كما أنه يراد في نحو قولهم: مثلك لا يفعل كذا، تريد أنت، وذلك أنّ المثلين يسدّ أحدهما مسدّ الآخر فكانا في حكم شيء واحد، وأن يراد: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً كان قد تصدق به، ولو افتدى به أيضاً لم يقبل منه، وقرىء: «فلن يَقْبَلَ من أحدهم ملء الأرض ذهباً» على البناء للفاعل وهو الله عزّ وعلا، ونصب «ملء»، ومل كـ «رض» بتخفيف الهمزتين.

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾:

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾: لن تبلغوا حقيقة البرّ، ولن تكونوا أبراراً، وقيل: لن تنالوا بر الله وهو ثوابه، ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها، وتؤثرونها كقوله: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله، وروي: أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال: يا رسو الله. إن أحبّ أموالي إليّ بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ «بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رائح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه. (٢٤٤) وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال: هذه

---

٢٤٤ ـ أخرجه مالك (٢/ ٩٩٥) كتاب الصّدقة، باب: الترغيب في الصّدقة حديث (٢).
ـ والبخاري (٤/ ٨٤) كتاب الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب حديث (١٤٦١)، (٥/ ٢٦٣)، كتاب الوكالة، باب: «إذا قال الرّجل لوكيله: ضعه...» حديث (٢٣١٨)، (٦/ ٣٣) كتاب الوصايا، باب: إذا أوصى الرجل لأقاربه، حديث (٢٧٥٢)، (٦/ ٥٣)، باب: إذا وقف أرضاً ولم يبيّن الحدود فهو جائز...، حديث (٢٧٦٩)، (٨/ ٧١) كتاب التفسير، باب: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ إلى ـ ﴿عَلِيمٌ﴾ حديث (٤٥٥٤)، (١١/ ٢٠٣) باب: استعذاب الماء، حديث (٥٦١١).
ـ ومسلم (٢/ ٦٩٣) كتاب الزكاة، باب: فضل النفقة والصّدقة على الأقربين والزوج والأولاد، حديث (٩٩٨).
ـ والترمذي (٥/ ٢٢٤) كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، حديث (٢٩٩٧). =

---

(١) (عاد كلامه) قال: «ويجوز أن يكون معنى الكلام ولو افتدي بمثله...الخ» قال أحمد: وعلى هذا النمط يجري الكلام على التأويل المتقدم لأنه نبه بعدم قبول مثلي ملء الأرض ذهباً على عدم قبول ملئها مرة واحدة بطريق الأولى.

في سبيل الله، فحمل عليها رسول الله أسامة بن زيد، فكأنّ زيداً وجد في نفسه وقال: إنما أردت أن أتصدق به. فقال رسول الله ﷺ: أما إن الله تعالى قد قبلها منك،(٢٤٥) وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى، فلما جاءت أعجبته فقال: إن الله تعالى يقول: ، ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: فأعتقها، ونزل بأبي ذرّ ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة. فقال: خنتني، قال: وجدت خير الإبل فحلها، فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال: إنّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي، (٢٤٦) وقرأ عبد الله: «حتى تنفقوا بعض ما تحبون»، وهذا دليل على أنّ «مِن» في، ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: للتبعيض، ونحوه: أخذت من المال، و«من» في، ﴿مِن شَىْءٍ﴾: لتبيين ما تنفقوا، أي: من أي شيء كان طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ

---

= ـ وأحمد (٣/٢٥٦، ١١٥، ١٧٤، ٢٦٢).
ـ والدارمي (١/ ٣٩٠) كتاب الزكاة، باب: أيُّ الصّدقة أفضل.
ـ والبيهقي في سننه (٦/ ١٦٤) كتاب الوقف، باب: الصدقة في الأقربين.
ـ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٨٩) وعزاه لمالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أنس، وذكر الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

٢٤٥ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦، ٥٩٢)، حديث (٧٣٩٧)، من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عمرو بن دينار قال: فذكره.
قال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث مرسل، لأن عمرو بن دينار تابعي. داود بن عبد الرحمن العطار المكي: ثقة من شيوخ الشافعي ووثّقه ابن معين، وأبو داود، وغيرهما، عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث، المكي النّوفلي: ثقة. أخرج له الجماعة. ا.هـ.
وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ومن طريقه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٩٢)، بنحو حديث عمرو بن دينار، وهذا الحديث معضل، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والطبري من طريقه: أخبرنا معمر عن أيوب وغيره «أنه لمّا نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة بفرس له ـ فذكره) وهو معضل ـ وأخرجه الطبري من رواية عمرو بن دينار نحوه مرسلاً، ورجاله ثقات. انتهى.

٢٤٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨٨)، رقم (٧٣٩٢) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.
وأخرجه الواحدي في الوسيط (١/ ٤٦٣) من حديث ابن أبي نجيح عن مجاهد به، وقال الحافظ ابن حجر: رواه الطبراني من رواية أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال: «كتب عمر إلى أبي موسى ـ فذكره» انتهى.

﴿ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾: كل المطعومات أو كل أنواع الطعام، والحل مصدر. يقال: حل الشيء حلا كقولك: ذلت الدابة ذلاً، وعزّ الرجل عزاً، وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كنت أطيبه لحله وحرمه، (٢٤٧) ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث

---

٢٤٧ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٣٩٦): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام، وما يلبس إذا أراد أن يحرم ويترجّل ويدّهن، حديث (١٥٣٩)، ومسلم (٢/ ٨٤٦): كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام، حديث (٣٣/ ١١٨٩)، وأبو داود (٢/ ٣٥٨، ٣٥٩): كتاب المناسك (الحج): باب الطيب عند الإحرام، حديث (١٧٤٥)، والترمذي (٣/ ٢٥٩): كتاب الحج: باب ما جاء في الطيب عند الإحلال قبل الزيارة، حديث (٩١٧)، والنسائي (٥/ ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام، وابن ماجه (٢/ ٩٧٦): كتاب المناسك: باب الطيب عند الإحرام، حديث (٢٩٢٦)، ومالك (١/ ٣٢٨): كتاب الحج: باب ما جاء في الطيب في الحج، حديث (١٧)، وابن الجارود (٤١٤)، والشافعي في «المسند» (ص: ١٢٠)، والحميدي (١/ ١٠٤)، رقم (٢١٠)، والدارمي (٢/ ٣٣): كتاب الحج: باب الطيب عند الإحرام وأحمد (٦/ ١٨١، ١٨٦، ١٩٢، ٢٠٠) وابن خزيمة (٤/ ١٥٥).

والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٣٠): باب الطيب للمحرم والبيهقي (٥/ ٣٤) وابن طهمان في مشيخته (٢٠، ١٦٠، ١٦٣) والدارقطني (٢/ ٢٧٤) من طرق عن القاسم عن عائشة به.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٢/ ٨٤٦) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام حديث (٣١/ ١١٨٩)، والنسائي (٥/ ١٣٦ ـ ١٣٧) كتاب المناسك: باب إباحة الطيب عند الإحرام والشافعي في «المسند» (ص ـ ١٢٠) والحميدي (١/ ١٠٥) رقم (٢١١) والبيهقي (٥/ ٣٤) وأبو يعلى (٧/ ٣٥٣) رقم (٤٣٩١) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت: طيّبت رسول الله ـ ﷺ ـ لإحرامه وطيّبته لإحلاله قبل أن يطوف بالبيت.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٣٨٢) كتاب اللباس: باب ما يستحب من الطيب حديث (٥٩٢٨) ومسلم (٢/ ٨٤٧) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام (٣٦، ٣٧/ ١١٨٩) والنسائي (٥/ ١٣٧ ـ ١٣٨) كتاب المناسك باب إباحة الطيب عند الإحرام والدارمي (٢/ ٣٣) كتاب المناسك: باب الطيب عند الإحرام وأحمد (٦/ ١٣٠، ١٦٢) والحميدي (١/ ١٠٦) رقم (٢١٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٣٠) والبيهقي (٥/ ٣٤) من طريق عثمان بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أطيّب النبيَّ ـ ﷺ ـ عند إحرامه بأطيب ما أجد وهذا لفظ البخاري.

وأخرجه البخاري (٣/ ٣٩٦) ومسلم (٢/ ٨٤٧) كتاب الحج: باب الطيب للمحرم عند الإحرام (٣٩/ ١١٩٠) وأبو داود (١/ ٥٤٤) كتاب المناسك: باب الطيب عِند الإحرام (١٧٤٦) والنسائي (٥/ ١٤٠) وابن ماجه (٢/ ٩٧٧) كتاب المناسك: باب الطيب عن الإحرام (٢٩٢٨) وأحمد (٦/ ٣٨، ٢٤٥) وابن الجارود (٤١٥) وابن خزيمة (٤/ ١٥٧) رقم (٢٥٨٧) والطيالسي (١٣٧٨) والحميدي (١/ ١٠٦) رقم (٢١٥) والبيهقي (٥/ ٣٤) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠) من طريق الأسود عن عائشة قالت: كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله ـ ﷺ ـ وهو محرم. =

والواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿لاهنَّ حلٌ لهم﴾ [الممتحنة: ١٠] والذي حرم إسرائيل وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ على نفسه لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق. كان به عرق النسا، فنذر إن شفي أن يحرّم على نفسه أحب الطعام إليه، وكان ذلك أحبه إليه فحرّمه، وقيل: أشارت عليه الأطباء باجتنابه، ففعل ذلك بإذن من الله، فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه، وهو رد على اليهود وتكذيب لهم، حيث أرادو براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦١] وفي قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا[1] مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم، فقالوا: لسنا بأوّل من حرّمت عليه، وما هو إلا تحريم قديم، كانت محرّمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا، إلى أن انتهى التحريم إلينا، فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا، وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله وأكل الربا وأخذ أموال الناس بالباطل، وما عدّد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حُرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم، ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾: أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من أن تحريم ما حرّم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم، لا تحريم قديم كما يدعونه، فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين، وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي ﷺ، وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه، ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: بزعمه أن ذلك كان محرماً على بني إسرائيل قبل إنزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ﴾: تعريض بكذبهم كقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي: ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون، ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾: وهي

---

= قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديثها. انتهى.

---

(١) قوله: «واشمأزوا منه وامتعضوا» أي غضبوا منه وشق عليهم، أفاده الصحاح (ع).

ملة الإسلام التي عليها محمد ومن آمن معه، حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم، حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: صفة لـ «بيت»، والواضع هو الله عز وجلّ، تدل عليه قراءة من قرأ «وضع للناس» بتسمية الفاعل وهو الله، ومعنى وضع الله بيتا للناس، أنه جعله متعبداً لهم، فكأنه قال: إن أوّل متعبد للناس الكعبة، وعن رسول الله ﷺ: أنه سئل عن أوّل مسجد وضع للناس فقال: «المسجد الحرام. ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة»، (٢٤٨) وعن عليّ رضي الله عنه أن رجلاً قال له: أهو أوّل بيت؟ قال: لا، قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة، وأوّل من بناه إبراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش، (٢٤٩) وعن ابن عباس: هو أوّل بيت حُجَّ بعد الطوفان، (٢٥٠) وقيل: هو أوّل بيت ظهر

---

٢٤٨ ـ أخرجه البخاري (٦/٤٦٩) كتاب أحاديث الأنبياء باب (١٠) حديث (٣٣٦٦) ومسلم (٣/ ٥ ـ نووي) كتاب المساجد: حديث (١، ٢/ ٥٢٠) والنسائي (٢/ ٣٢) كتاب المساجد: باب ذكر أيّ مسجد وضع أوّلاً وابن ماجه (١/ ٢٤٨) كتاب المساجد باب أيّ مسجد وضع أوّلاً حديث (٧٥٣) وأبو عوانة (١/ ٣٩١، ٣٩٢) وأحمد (٥/ ١٦٠، ١٦٦) وعبد الرزاق (١٥٧٨) والحميدي (١٣٤) وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠٢) وابن خزيمة (١٢٩٠) وابن حبّان (١٥٩٨، ٦٢٢٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٣) وفي «دلائل النبوة» (٢/ ٤٣) كلّهم من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به.
قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ قال: «سألت رسول الله ـ ﷺ ـ عن أول مسجد وضع للناس، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: بيت المقدس. قلت: كم بينهما؟ قال أربعون عاماً. ثمّ الأرض لك مسجد فحيث أدركتك الصّلاة فصلّ» انتهى.

٢٤٩ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٠٢)، رقم (٩٦٢) من طريق مجالد عن الشعبي عن عليّ به.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ١٩) رقم (٧٤٢٢)، من طريق شعبة عن سماك عن خالد بن عرعرة قال: قام رجل إلى عليّ فقال: بنحوه.

٢٥٠ ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٣١)، رقم (٣٩٨٤) من طريق عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ أوّل بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ثم مدت منه الأرض، وإن أول جبل وضعه الله عزّ وجلّ في الأرض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال.

على وجه الماء عند خلق السماء والأرض، خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض تحته، وقيل: هو أوّل بيت بناه آدم في الأرض، وقيل: لما هبط آدم قالت له الملائكة: طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بألفي عام، وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له: الضراح، فرفع في الطوفان إلى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات، ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾: البيت الذي ببكة، وهي عَلَمٌ للبلد الحرام، ومكة وبكة لغتان فيه، نحو قولهم: النبيط والنميط، في اسم موضع بالدهناء، ونحوه من الاعتقاب: أمر راتب وراتم، وحمى مغمطة ومغبطة[1] وقيل: مكة، البلد، وبكة: موضع المسجد، وقيل اشتقاقها من «بكه» إذا زحمه لازدحام الناس فيها، وعن قتادة: يَبُكُّ الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء، يصلي بعضهم بين يدي بعض، لا يصلح ذلك إلا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة. قال [من الزجر]:

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ الأَكَّهْ فَخَلِّهِ حَتَّى يَبُكَّ بَكَّهْ[2]

وقيل: تبك أعناق الجبابرة أي: تدقها. لم يقصدها جبار إلا قصمه الله تعالى.، ﴿مُبَارَكًا﴾: كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب، وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف، لأن التقدير للذي ببكة هو، والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنه قبلتهم ومتعبدهم، ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾: عطف بيان لقوله: ، ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾: . فإن قلت: كيف صح بيان الجماعة بالواحد[3]؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم من تأثير قدمه في حجر صلد، كقوله

---

(١) قوله: «وحمي مغمطة ومغبطة» في الصحاح: أغمطت عليه الحمى لغة في أغبطت، أي دامت اهـ.

(٢) يقول إذا أخذت «الأكة» وهي سوء الخلق «الشريب» الذي يشرب معك، أو الذي يسقي بإبله معك، كأنها ملكته واستولت عليه «فخله» أي اتركه حتى يقتطع من الماء قطعة، أو حتى يزدحم بإبله على الماء مرة، من الازدحام. وهذا وصية بمكارم الأخلاق، والحلم عند الغضب، والسماحة.
البيت لعامان بن كعب، ينظر تاج العروس (بكك)، لسان العرب: (شرب)، (أكك)، (بكك)، وجمهرة اللغة ٥٨، ٧٤، ٣١١، ومقاييس اللغة: ١/ ١٨، ١٨٦، ومجمل اللغة: ١/ ١٤٩ وديوان الأدب: ٣/ ١٢٩.

(٣) قال محمود: إن قلت: كيف صح بيان الجماعة بالواحد. . .الخ»؟ قال أحمد: ونظير هذا التأويل ما تقدم لي عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ قال محمود فيما تقدم «والذي صدر منهم أمنية واحدة، فما وجه جمعها» وبينت فيها هذا بعينه، وهو أن الشيء الواحد متى أريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع، أفاد الجمع فيه ذلك، وقد لاح لي الآن في جمع الأماني، ثم وجه آخر، وذلك أن كل واحد منهم صدرت منه هذه الأمنية، فجمعها بهذا الاعتبار تنبيهاً على تعددها بتعددهم، والعجب أن الجمع في مثل هذا هو الأصل، وأن الإفراد إنما يقع فيه على نوع ما من الاختصار. ومنه: كلوا في بعض بطنكم تصحوا.

تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] والثاني: اشتماله على آيات[١] لأنّ أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنّة آية، ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، لأنّ الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة[٢]، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما. دلالة على تكاثر الآيات، كأنه قيل: فيه آيات بينات مقام إبراهيم، وأمن من دخله، وكثير سواهما، ونحوه في طيّ الذكر قول جرير [من الكامل]:

كَانَتْ حَنِيفَةُ أَثْلاَثاً فَثُلُثُهُمُ ... مِنَ الْعَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا[٣]

ومنه قوله عليه الصلاة: والسلام: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني في الصلاة» (٢٥١) وقرأ ابن عباس وأبيّ ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية

---

٢٥١ ـ أخرجه النّسائي (٧/ ٦١ ـ ٦٢) في عشرة النساء، باب حبّ النّساء وأحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ـ ﷺ ـ وآدابه ص (٢٢٩ ـ ٢٣٠)، وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٦٢) من حديث أنس مرفوعاً، حُبّب إليّ النّساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصّلاة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: قد تقدّم أنه أورده عند قوله تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ مختصراً. وقد تقدم أن النّسائي أخرجه من طريق سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان ومن طريق سلام بن مسكين، كلاهما عن ثابت عن أنس. ومن طريق سيار. رواه أحمد في الزهد =

---

(١) عاد كلامه. قال: الوجه الثاني اشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء آية، وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية، ويجوز أن يريد مقام إبراهيم وأمن من دخله، وكثيراً سواهما والله أعلم.

(٢) قال السمين الحلبي: وردّ عليه الشيخ هذا من جهة تخالفهما تعريفاً فيتبعون النكرة النكرة والمعرفة المعرفة، وتبعهم في ذلك أبو علي الفارسي، وأما البصريون فلا يجوز عندهم إلا أن يكونا معرفتين، ولا يجوز أن يكونا نكرتين، وكل شيء أورده الكوفيون مما يوهم جواز كونه عطفاً جعله البصريون بدلاً، ولم يقم دليلاً للكوفيين». انتهى. الدر المصون.

(٣) الجرير يقول: كانت [هذه القبيلة منقسمة أثلاثاً، فثلثها من العبيد الأرقاء، وثلثها من عتقي القبيلة أو من عتقي العبيد. وعليه فالإضافة على معنى «من» ولم يذكر الثلث الثالث، لأنه من المعلوم أنه لم يبق إلا السادة الأشراف، بدليل الحصر في الأثلاث، والترقي من العبيد إلى العتقي. وهذا يحتمل الذم، وأن ثلث القبيلة فقط كرام والباقي لئام. ويحتمل المدح وأن خدمهم من العبيد كثير].
ينظر: البيت في ديوانه ص ٧٠٧، والبحر المحيط ٣/ ١٠، وروح المعاني ٤/ ٦، وحاشية الشهاب ٣/ ٤٨، والدر المصون ٢/ ١٧٠.

قتيبة: «آية بينة»، على التوحيد، وفيها دليل على أنّ مقام إبراهيم واقع وحده عطف بيان. فإن قلت: كيف أجزت أن يكون مقام إبراهيم والأمن عطف بيان للآيات؟ وقوله: ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: جملة مستأنفة إما ابتدائية وإما شرطية؟ قلت: أجزت ذلك من حيث المعنى، لأن قوله: ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: دلّ على أمن داخله، فكأنه قيل: فيه آيات بينات: مقام إبراهيم، وأمن داخله. ألا ترى أنك لو قلت: فيه آية بينة، من دخله كان آمناً صحّ، لأنه في معنى قولك: فيه آية بينة، أمن من دخله. فإن قلت: كيف كان سبب هذا الأثر؟ قلت: فيه قولان: أحدهما: أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه، وقيل: إنه جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل: انزل حتى يغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه، ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر، فبقي أثر قدميه عليه، ومعنى، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: معنى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] وذلك بدعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب، وعن عمر رضي الله عنه «لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه» (٢٥٢) وعند أبي حنيفة: من لزمه القتل في الحل بقصاص

---

= والحاكم في المستدرك. ومن طريق سلام أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن سعد والبزّار وأبو يعلى، وابن عديّ في الكامل، وأعلّه به، والعقيلي في الضعفاء كذلك. وقال الدارقطني في علله. رواه أبو المنذر سلام. وسلام بن أبي الصهباء وجعفر بن سليمان، فرووه عن ثابت عن أنس، وخالفهم حمّاد بن زيد عن ثابت مرسلاً. وكذا رواه محمد بن ثابت البصري. والمرسل أشبه بالصّواب. وقد رواه عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد عن غير أبيه من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت مرسلاً أيضاً. ويوسف ضعيف. وله طريق أخرى معلولة عند الطبراني في الأوسط عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن يحيى بن عثمان الحربي عن المقل بن زياد عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مثله قلت: ليس في شيء من طرقه لفظ «ثلاث» بل أوّله عند الجميع «حُبّب إليّ من دنياكم النّساء ـ الحديث» وزيادة «ثلاث» تفسد المعنى، على أنّ الإمام أبا بكر بن فورك شرحه في جزء مفرد بإثباتها، وكذلك أورده الغزالي في الإحياء واشتهر على الألسنة. انتهى.

٢٥٢ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/١٥٣)، كتاب الحج، باب: ما يبلغ الإلحاد ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ رقم (٩٢٢٨)، من طريق ابن أبي حسين يحدّث عن عكرمة بن خالد قال: قال عمر... وذكره.

وعزاه الزيلعي لأبي الوليد الأزرقي في تاريخ مكة، عن ابن جريج به. قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق في كتاب الحج من مصنّفه وأبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة من طريقه عن ابن جريج سمعت ابن أبي حسين عن عكرمة بن خالد قال: قال عمر بهذا وهذا منقطع. انتهى.

أوردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له، إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج، وقيل: آمنا من النار، وعن النبي ﷺ «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا» (٢٥٣) وعنه عليه الصلاة والسلام «الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة» (٢٥٤) وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود: وقف

---

٢٥٣ ـ جاء من حديث جابر، وأنس وسلمان وعمر وحاطب، أما حديث جابر: ذكره المتقى الهندي في الكنز (١٢/ ٢٧١)، حديث (٣٥٠٠٥) وعزاه للطيالسي وابن عديّ (٤/ ١٤٥٥) وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٩٨) لابن عديّ في الكامل وأعلّه بعبد الله بن المؤمل.

ـ وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه موسى بن عبد الرحمن المسروقي وقد ذكره ابن حبان في الثقات، عبد الله بن المؤمل وثقه ابن حبّان وغيره وضعّفه أحمد وغيره وإسناده حسن.

ـ وأما حديث أنس فرواه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٩٠) حديث (٤١٥٨)، ولفظه (من مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة).

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ١٩٨) لإسحاق بن راهويه في مسنده.

ـ وأما حديث سلمان، فرواه البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير، كما في الكنز (١٢/ ٢٧١) رقم (٣٥٠٠٦).

ـ وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٣٢٢) باب: فيمن مات في أحد الحرمين: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الغفور بن سعيد، وهو متروك.

ـ وأما حديث عمر، فرواه البيهقي في الشعب (٣/ ٤٨٨)، حديث (٤١٥٣).

ـ وأما حديث حاطب: فرواه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) كتاب الحج، باب: المواقيت، من طريق هارون بن أبي قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب قال: بنحوه.

ـ وعبد الرزاق في مصنّفه (٩/ ٢٦٧)، حديث (١٧١٦٦) من طريق غالب بن عبيد الله، رفع الحديث بنحوه، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف:

قال إسحاق: أخبرنا عيسى بن يونس حدّثنا ثور بن يزيد حدّثني شيخ عن أنس به. ورواه البيهقي في الشعب من طريق ابن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس به وزاد: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة» وأخرجه أبو داود الطيالسي تاماً من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ بإسناد فيه ضعف، وهو مجهول، وقال عبد الرزاق في مصنّفه، أخبرنا يحيى بن العلاء وغيره، وغالب بن عبيد الله يرفعه، فذكره، ويحيى وغالب ضعيفان جداً وأخرجه الدارقطني من رواية هارون بن أبي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب بتمامه، وهو معلول «ورواه الطبراني في الأوسط والصغير، من وجهين عن عبد الله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر دون الزيادة، وأورده ابن عديّ في ترجمة عبد الله بن المؤمل: وأخرجه البيهقي في الشعب والطبراني من حديث عبد الغفور بن سعيد الأنصاري عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان قال البيهقي: عبد الغفور ضعيف، وقد رُوي بإسناد أحسن من هذا، ثم ذكر طريق عبد الله بن المؤمل، وقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الغفور ونقل عن ابن حبّان أنه قال: كان يضع الحديث. قلت: وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرّفه فإنه لم يختص بعبد الغفور. انتهى.

٢٥٤ ـ ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٥١)، حديث (١١١٢) وقال: ذكره في «الكشاف» وبيّض له =

رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة، فقال: «يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر، (٢٥٥) يدخلون الجنة بغير حساب، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر» وعن النبي ﷺ: «من صبر على حرّ مكة ساعة من نهار، تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام»، (٢٥٦) ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾: بدل من الناس، وروي: أنّ رسول الله ﷺ فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة، (٢٥٧) وكذا عن ابن عباس وابن عمر

---

= الزيلعي في تخريجه وتبعه الحافظ ابن حجر وسكت عليه السّخاوي، وقال القاري: لا يعرف له أصل. أ.هـ.

وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ١٩٩): غريب جداً.

وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٥٥ ـ ذكره المتقي الهندي في الكنز (١٢/ ٢٦٢)، حديث (٣٤٩٦٠) وعزاه للديلمي عن ابن مسعود.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم أجده. انتهى.

٢٥٦ ـ أخرجه الديلمي في الفردوس (٤/ ١١٩)، حديث (٥٨٧١) من طريق أنس بن مالك.

وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٢٦)، من طريق عطاء عن ابن عباس، وقال العقيلي: هذا حديث باطل، لا أصل له.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هكذا ذكره أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة، لكن بغير إسناد وقد أخرجه العقيلي في ترجمته الحسن بن رشيد عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رفعه «من صبر في حرّ مكة ساعة باعد الله منه جهنم سبعين خريفاً، وقال هذا باطل، لا أصل له، والحسن بن رشيد يُحدّث بالمناكير. وأورده أبو شجاع في الفرودس من حديث أنس، بلفظ «تباعدت عنه جهنّم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنّة مائة عام». انتهى.

٢٥٧ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصّحابة وهم أنس بن مالك وابن عمر وابن عباس وعائشة وجابر وابن مسعود وابن عمرو بن العاص والحسن مرسلاً.

**حديث أنس:**

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٦) كتاب الحج حديث (٦، ٧) والحاكم (١/ ٤٤٢) من طريق علي بن سعيد بن مسروق الكندي ثنا ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: قيل: يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد تابع حمّاد بن سلمة سعيداً على روايته عن قتادة ووافقه الذهبي.

ثم أخرجه من طريق حمّاد بن سلمة عن قتادة عن أنس به.

وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره البيهقي معلّقاً من طريق سعيد بن أبي عروبة (٤/ ٢٣٠).

وقال: ولا أراه إلاّ وهماً.

ثم أخرجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن به مرسلاً.

وقال: هذا هو المحفوظ عن قتادة عن الحسن عن النبي ـ ﷺ ـ مرسلاً رواه يونس بن عبيد عن =

وعليه أكثر العلماء، وعن ابن الزبير: هو على .... .... ..... ..... ..... ....

---

= الحسن، أما الطريق الثاني الذي خرجه الحاكم وصحّحه على شرط مسلم ذكره الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ٢٢١) وقال: إلاّ أن الراوي عن حمّاد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث.

**حديث ابن عمر:**

أخرجه الترمذي (٣/ ١٧٧) كتاب الحج: باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة (٨١٣) وابن ماجه (٢/ ٩٦٧) كتاب المناسك: باب ما يوجب الحج (٢٨٩٦) والشافعي في «المسند» (١/ ٢٨٤) كتاب الحج: باب فيما جاء في فرض الحج وشروطه (٧٤٤) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) والدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج حديث (٩، ١٠) وابن عديّ في «الكامل» (١/ ٢٢٦) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٤٢٨) رقم (٣٩٧٤) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عمر به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه.

وقال البيهقي: ضعّفه أهل العلم بالحديث.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٨): وإبراهيم بن يزيد قال في «الإمام» قال فيه أحمد والنّسائي وعلي بن الجنيد: متروك.

وقال ابن معين: ليس بثقة وقال مرة: ليس بشيء وقال الدارقطني: منكر الحديث.

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» (٢/ ٢٢١): وهو من رواية إبراهيم الخوزي وقد قال فيه أحمد والنّسائي: متروك الحديث.

وقال في «التقريب» (١/ ٤٦) رقم (٣٠٣) إبراهيم بن يزيد الخوزي متروك الحديث.

وقد توبع إبراهيم على هذا الحديث تابعه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي.

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٧) كتاب الحج رقم (٩) من طريقه عن محمد بن عباد عن ابن عمر به.

قال البيهقي (٤/ ٣٣٠): وقد تابعه ـ أي إبراهيم الخوزي ـ محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي إلاّ أنه أضعف من إبراهيم بن يزيد.

وللحديث طريق آخر عن ابن عمر:

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٢٩٧) رقم (٨٩١): سألت علي بن الحسين بن الجنيد عن حديث رواه سعيد بن سلام العطار عن عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.

قال الزاد والراحلة قال: هذا حديث باطل. ا.هـ.

وعلّته سعيد بن سلام العطار.

قال أحمد كذّاب وكذّبه ابن نمير، وقال البخاري: يذكر بوضع الحديث وقال النّسائي: ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً. ينظر المغني (١/ ٢٦٠) واللسان (٣/ ٣١ ـ ٣٢) فيظهر مما سبق أن طرق الحديث عن ابن عمر كلّها ضعيفة والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩٩) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

**حديث ابن عباس:**

أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٧) كتاب المناسك: باب ما يوجب الحج حديث (٢٨٩٧) ثنا سويد بن سعيد ثنا هشام بن سليمان القرشي عن ابن جريج قال: وأخبرنيه أيضاً عن عطاء عن عكرمة عن ابن =

= عباس أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الزاد والراحلة» يعني قوله: من استطاع إليه سبيلاً.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٩): قال في «الإمام»: وهشام بن سليمان بن عكرمة قال أبو حاتم: مضطرب الحديث ومحلّه الصّدق ما أرى به بأساً. ا.هـ.
قلت: وابن عطاء هو عمر بن عطاء بن وراز روى له أبو داود وابن ماجه.
وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٦١): ضعيف.
وله طريق آخر عن ابن عباس:
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٨) كتاب الحج رقم (١٤) من طريق حصين بن مخارق عن محمد بن خالد عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس به.
قال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني»: (٢/ ٢١٨): حصين بن مخارق قال الدارقطني: يضع الحديث ونقل ابن الجوزي أن ابن حبّان قال: لا يجوز الاحتجاج به.
وله أيضاً طريق ثالث.
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٨) من طريق داود بن الزبرقان عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس به.
قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٩): وأخرجه الدارقطني في «سننه» عن داود بن الزبرقان عن عبد الملك عن عطاء عن ابن عباس وأخرجه أيضاً عن حصين بن المخارق عن محمد بن خالد عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس... وداود وحصين كلاهما ضعيف.
**حديث عائشة:**
أخرجه العقيلي (٣/ ٣٣٢) والدارقطني (٢/ ٢١٧) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) من طريق عتاب بن أعين عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أمّه عن عائشة في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. قال: سأل رجل رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك فقال: السّبيل الزاد والراحلة.
قال العقيلي: عتاب في حديثه وهم.
ثم أخرجه من طريق سفيان عن إبراهيم الخوزي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابن عمر به.
وقال: هذا أولى على ضعفه أيضاً.
قال البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٣/ ٤٧٨):
ورُوي عن الثوري عن يونس عن الحسن عن أمه عن عائشة موصولاً وليس بمحفوظ.
**حديث جابر:**
أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) كتاب الحج حديث (١) من طريق عبد الملك بن زياد النصيبي ثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبي الزبير أو عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال رجل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال الزاد والراحلة.
وذكره الغسّاني في «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» (ص ـ ٢٥٦) وقال: محمد بن عبد الله بن عبيد ضعيف.
وبه ضعفه الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ١٠) فقال: ومحمد بن عبد الله بن عبيد أجمعوا على ضعفه وتركه.
**حديث ابن مسعود:** =

قدر القوّة، (٢٥٨) ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه، وعنه: ذلك على قدر

---

= أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٦) من طريق بهلول بن عبيد عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي ـ ﷺ ـ في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.

قال الغسّاني: بهلول متروك.

وقال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٢/ ٢١٦): بهلول بن عبيد قال أبو حاتم: ضعيف الحديث ذاهب وقال أبو زرعة ليس بشيء وقال ابن حبّان: يسرق الحديث ا.هـ.

وذكره برهان الدين الحلبي في كتابه «الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث» (ص ـ ١١٥) وقال: ذكر شيخنا الحافظ العراقي في شرح الألفية له في المقلوب فيما قرأته عليه أنه من الوضّاعين.

وذكره أيضاً ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٤٣) في ذكر أسماء الوضّاعين والكذّابين فقال: بهلول بن عبيد الكندي الكوفي قال الحاكم وأبو سعيد البقال: روى موضوعات.

**حديث عبد الله بن عمرو:**

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) من طريق عبد الله بن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ـ ﷺ ـ قال: السّبيل إلى البيت الزاد والراحلة.

قال الحافظ الغسّاني في «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدارقطني» (ص ـ ٢٥٦): ابن لهيعة ضعيف. ا.هـ.

وقد تابعه محمد بن عبيد الله العرزمي.

أخرجه الدارقطني (٢/ ٢١٥) من طريقه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه.

قال أبو الطيب آبادي في «التعليق المغني» (٢/ ٢١٦): محمد بن عبيد الله هو محمد بن عبيد الله بن ميسرة العرزمي الكوفي قال أحمد بن حنبل: ترك الناس حديثه وقال ابن معين: لا يكتب حديثه وقال الفلاس: متروك.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ١٠): قال الشيخ في «الإمام»: وقد خرّج الدارقطني هذا الحديث عن جابر وأنس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود وعائشة وليس فيها إسناد يُحتجّ به.

وقال الحافظ في «التلخيص» (٢/ ٢٢١): قال عبد الحق: إن طرقه كلّها ضعيفة وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً والصّحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة.

**مرسل الحسن:**

أخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ٩٠) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤) رقم (٧٤٨٤) والدارقطني (٢/ ٢١٨) والبيهقي (٤/ ٣٢٧) وأبو داود في «المراسيل» (ص ـ ١٤٣ ـ ١٤٤) من طريق يونس عن الحسن قال: لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: قيل يا رسول الله ما السّبيل قال: الزاد والراحلة.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٩٩) وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

وقد روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣٦١، ٣٦٢) هذا موقوفاً على عمر بن الخطاب وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وأخرجه ابن أبي شيبة عن مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وعطاء كما في «الدر المنثور» / ٢/ ١٠٠). =

الطاقة، وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر، وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة، وعن الضحاك: إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع، وقيل له في ذلك فقال: إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه؟ (٢٥٩) بل كان ينطلق إليه ولو حبواً فكذلك يجب عليه الحج، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾: للبيت أو للحج، وكلُّ مأتيّ إلى الشيء فهو سبيل إليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد[1]، ومنها قوله: ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ

---

= وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي وابن ماجه، من حديث عمر، بلفظ السّبيل الزاد والراحلة، فيه إبراهيم بن يزيد الجوزي. وهو ضعيف والحاكم من حديث أنس، وهو معلول. وأخرجه الدارقطني والحاكم من رواية قتادة عن أنس، لكن قال البيهقي: الصّواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، والصّحيح عنه قوله. كما أخرجه ابن المنذر. وقال: لا يثبت مرفوعاً. وفي الباب عن علي وابن مسعود. وعائشة وجابر وعبد الله بن عمر. وأخرجها الدارقطني بأسانيد ضعيفة. انتهى.

٢٥٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٣)، رقم (٧٤٩٢) من طريق رجل عن ابن الزبير.

٢٥٩ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٢٦)، رقم (١٠٢٨) من طريق جويبر عن الضحّاك بلفظ (إن كان فقيراً وهو صحيح شاب فليؤاجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج).

ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٤٣)، رقم (٧٤٩٣)، من طريق جويبر عن الضحّاك، ولفظه ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قال: الزاد والراحلة فإن كان شاباً صحيحاً ليس له مال، فعليه أن يؤاجر نفسه بأكمله وغُفْتِهِ حتى يقضي حجته به، فقال له قائل: كلّف الله الناس أنْ يمشوا إلى البيت؟ فقال: لو أن لبعضهم ميراثاً بمكة، أكان تاركه؟ والله لانطلق إليه ولو حبواً!! كذلك يجبُ عليه الحج.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فيه عناصر توكيد وتشديد، وقد بين العلامة المفسر هذا

قلنا: عناصر التوكيد في القرآن الكريم كثيرة، ولا يمكن الإحاطة بها، فيأتي من يقبل بناء الكلام، وأدوات التوكيد، فالذكر فيه توكيد، وكذا الحذف قد يفيده، والفصل والوصل وكثير من ألوان الإطناب البلاغي، والالتفات، وكل ألوان البيان، وكل ذلك لتثبيت المعني أو نفيه، بل قد تدل الكلمة بخصوص دلالتها على المعنى مع التوكيد كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٧] فكلمة العلو أفادت معناها مع التوكيد عليه، وقد لحظ الزمخشري هذا وبين أن في هذه الكلمة «الأعلى» تقرير لغلبته، وقهره، ومعه توكيد بالاستئناف وبالحرف «إن» المشددة، وبتكرير الضمير «إنك أنت» وتعريف الخبر «الأعلى» واختصاص هذه المادة بالعلو مما يفيد الغلبة والتفضيل. الكشاف ٢/ ٥٤٤

هذا كله يدخل من باب التوكيد والتقرير لحالة نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ حتى ينتفي عنه الخوف «لا تخف».

وهكذا، وتلاحظ أن الجملة الاسمية تفيد التوكيد بطريق الثبوت والاستمرار كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣].

والواجب أن ندرك أن توكيد الإسمية لا يكون بها وحدها وإنما يكون بضميمة توكيد آخر بالحرف «إن» أو بالمقام المساعد على ذلك، هذا ما قرره أهل البلاغة من سياق النصوص وقد يكون التوكيد =

﴿ٱلْبَيْتِ﴾:[1] يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته، ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع إليه سبيلاً، وفيه ضربان من التأكيد: أحدهما: أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له، والثاني: أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين، ومنها قوله: ، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: مكان ومن لم يحج تغليظاً على تارك الحج؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» (٢٦٠) ونحوه من التغليظ «من ترك الصلاة متعمداً فقد

---

٢٦٠ ـ رُوي من حديث عليّ، ومن حديث أبي أمامة، ومن حديث أبي هريرة.
أما حديث عليّ:
أخرجه الترمذي (٣/ ١٦٧)، كتاب الحج، باب: ما جاء في التغليظ في ترك الحج، حديث (٨١٢)، من طريق الحارث عن عليّ، ولفظه (من ملك زاداً وراحلة تُبلغه إلى بيت الله ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً. وذلك أنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.
ـ وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٢)، حديث (٧٤٨٩)، من طريق الحارث عن عليّ. =

---

= بترتيب عناصر الجملة ترتيباً خاصاً يؤكد المعنى المراد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣].
فقد بيّن المفسر العلامة هذه التوكيدات الواردة في نظم الآية، والنظم نفسه توكيد للمعنى وقد يرى حرف ينضم إلى الجملة يسميه النحاة زائداً، ولكنه في القرآن من عناصر النظم فلا زيادة في كتاب الله إطلاقاً كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ وتقدير الكلام ما منعك أن تسجد أي من أن تسجد، فـ «لا» كما قال المفسر صلة أي مؤكدة.
والموضوع فيه ذيول كثيرة، وآيات عديدة، ولو قلنا بالتوكيد بهذا الاتساع لشمل جل موضوعات البلاغة من معان، وبيان، وبديع، فجميع ما في حديثهم جلة يقوم على البيان والتوكيد وتعميق المقاصد، وفي هذا القدر إشارة لمن أراد الغاية.
«ينظر البلاغة القرآنية لابن موسى ٤١٧ وما بعدها. وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٦٢، علم المعاني في تفسير فتح القدير ١/ ٢٩١ فتحي حجازي وتعليقات خفاجي على الإيضاح ١/ ٩١ وما بعدها والمطول ٤٧، وروح المعاني ١١/ ١٣٦، ومفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٣٨٠، ٣٨١ ط. دار الغد العربي وأبو السعود ١/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(١) قال محمود: «وفي الكلام أنواع من التوكيد منها قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي في رقابهم لا ينفكون عنه.. الخ» قال أحمد: قوله: «إن المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظاً عليه» فيه نظر، فإن قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولاً واحداً، فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحداً لوجوبه، وحينئذ يكون الكفر راجعاً إلى الاعتقاد لا إلى مجرد الترك.
وأما الزمخشري فيستحل ذلك لأن تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الإيمان ومن اسمه ومن حكمه، لأنه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار، وعلى قاعدة أهل السنة يتعين المصير إلى ما ذكرناه، هذا إن كان المراد بمن كفر من ترك الحج. ويحتمل أن يكون استئناف وعيد للكافر، فيبقى على ظاهره والله أعلم.

كفر» (٢٦١) ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان،

---

= وكذا العقيلي في الضعفاء، (٤/٣٤٨) حديث (١٩٥٥)، من طريق الحارث عن علي.
وأما حديث أبي أمامة:
فرواه الدارمي في سننه (٢/٢٨)، كتاب المناسك، باب: من مات ولم يحج، عن أبي أمامة مرفوعاً (من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً).
وأما حديث أبي هريرة:
فرواه ابن عديّ في الكامل (٧/ ٢٥٨٠)، من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة، وفي إسناده عبد الرحمن القطامي وأبو المهزم وهما متروكان. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من رواية هلال بن عبد الله الباهلي: حدّثنا أبو إسحاق عن الحارث عن علي رفعه «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً» وقال: غريب وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله مجهول. والحارث يضعف. وأخرجه البزّار من هذا الوجه. وقال: لا نعلمه عن علي إلاّ من هذا الوجه وأخرجه ابن عديّ والعقيلي في ترجمة هلال ونقلا عن البخاري أنه منكر الحديث. وقال البيهقي في الشعب: تفرّد به هلال. وله شاهد من حديث أبي أمامة، أخرجه الدارمي بلفظ «من لم يمنعه عن الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً. وإن شاء نصرانياً» أخرجه من رواية شريك عن لبيد ابن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عنه. ومن هذا الوجه أخرجه البيهقي في الشعب. وقد أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن ليث عن عبد الرحمن مرسلاً، لم يذكر أبا أمامة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق ابن عديّ. وابن عديّ أورده في الكامل في ترجمة أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة مرفوعاً ونحوه. ونقل عن الفلاس أنه كذّب أبا المهزم وهذا من غلط ابن الجوزي في تصرّفه. لأن الطريق إلى أبي أمامة ليس فيه من اتهم بالكذب. فضلاً عمن كذب. انتهى.

٢٦١ ـ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٠٠)، بلفظ «من ترك الصّلاة متعمّداً فقد حبط عمله».
وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصّحيح.
ـ وأخرجه البزّار كما في تخريج الزيلعي (١/٢٠٣)، من حديث راشد الحماني: عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: أوصاني أبو القاسم ـ ﷺ ـ ألاّ أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمّداً؛ فمن تركها متعمّداً فقد كفر، ولا أشرب الخمر؛ فإنها مفتاح كلّ شر. قال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الدارقطني في العلل. من رواية أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس قال: رواه علي بن الجعد عن أبي جعفر عن الربيع مرسلاً. وهو أشبه بالصّواب. ورواه البزّار من حديث أبي الدرداء قال «أوصاني أبو القاسم ـ ﷺ ـ ألاّ أشرك بالله شيئاً وإن حرقت، ولا أترك صلاة مكتوبة متعمداً. فمن تركها متعمّداً فقد كفر، ولا أشرب الخمر، فإنها مفتاح كلّ شر» أخرجه من رواية راشد الحناني عن شهر بن حوشب. وقال: راشد بصري ليس به بأس. وشهر مشهور. والحديث عند الترمذي والنّسائي وأحمد وابن حبّان والحاكم من حديث بريدة دون قوله «متعمّداً» ولفظه «العهد الذي بيننا وبينهم الصّلاة، فمن تركها فقد كفر» قد تقدم في البقرة حديث جابر عند مسلم «بين العبد والكفر ترك الصّلاة» وروى الترمذي من طريق عبد الله بن شقيق قال «كان أصحاب محمد النبي ـ ﷺ ـ لا =

ومنها قوله: ، ﴿عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وإن لم يقل عنه، وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان، لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدلّ على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه، وعن سعيد بن المسيب: نزلت في اليهود، فإنهم قالوا: الحج إلى مكة غير واجب وروى: أنه لما نزل قوله تعالى: ، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال: إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا: لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه، فنزل، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾:(٢٦٢) وعن النبي ﷺ، «حجوا قبل أن لا تحجوا، فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة» (٢٦٣) وروي. «حجوا قبل أن لا تحجوا، حجوا قبل أن يمنع البرجانبه» (٢٦٤) وعن ابن مسعود: حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت، (٢٦٥) وعن عمر رضي الله عنه: لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نوظروا (٢٦٦) وقرىء «حج البيت» بالكسر.

---

= يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلاّ الصلاة» وإسناده صحيح. الحاكم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٢٦٢ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩)، حديث (٧٥١٥) من طريق جويبر عن الضحّاك مرسلاً، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري من حديث جويبر عن الضحّاك قال: «لما نزلت: فذكره» وهو معضل وجويبر متروك الحديث ساقط. انتهى.

٢٦٣ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (١٥/ ١٥٣)، كتاب التاريخ، باب إخباره ـ ﷺ ـ عمّا يكون. . . ، حديث (٦٧٥٣) من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر بنحوه.
وأخرجه ابن خزيمة (٢٥٠٦) والبزّار (١٠٧٢) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/ ٢٠٢).
وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٠٩): رواه البزّار والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. أخبرنا يزيد بن هارون عن حميد عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن عمر قال: (تمتعوا من هذا البيت، فإنه ـ فذكره موقوفاً) وقد رُوي مرفوعاً: أخرجه ابن حبّان والحاكم والبزّار والطبراني من طريق سفيان بن حبيب عن حميد بهذا. انتهى.

٢٦٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف» (١/ ٢٠٦) هو هكذا في الفائق لابن غانم التنسيسي. قال الحافظ ابن حجر: لم أره هكذا. والذي في الدارقطني في آخر كتاب الحج من السنن من رواية عبد الله بن عيسى الجندي عن محمد بن أبي محمد عن أبيه عن أبي هريرة ـ رفعه «حجّوا قبل أن لا تحجّوا. قال: وما شأن الحج يا رسول الله، قال: يفعله أعرابها على أذناب أوديتها، فلا يصل إلى الحج أحد» وعبد الله ومحمد مجهولان. قاله العقيلي. ا.هـ.

٢٦٥ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٠٧) غريب. وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

٢٦٦ ـ قال الحافظ ابن حجر: لم أجده.
وفي مصنّف عبد الرزاق (٥/ ١٣) من طريق سالم بن أبي حفصة أن ابن عباس [قال]: «لو ترك =

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: الواو للحال، والمعنى: لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد ﷺ والحال أن الله شهيد على أعمالكم فمجازيكم عليها، وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته. قرأ الحسن: «تصدّون»، من أصدّه، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام، وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدّهم عنه، ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل: أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله، ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لها أعوجاجاً[1] وميلاً عن القصد والاستقامة. فإن قلت: كيف تبغونها عوجاً[2] وهو محال؟ قلت فيه معنيان: أحدهما: أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنّ فيها عوجاً بقولكم: إن شريعة موسى لا تنسخ، وبتغييركم صفة رسول الله ﷺ عن وجهها ونحو ذلك، والثاني: أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أنها سبيل الله التي لا يصدّ عنها إلا ضال مضلّ، أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم، عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم، وهم الأحبار، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾: وعيد، ومحل تبغونها نصب على الحال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

قيل: مرّ شاس بن قيس اليهودي ـ وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم ـ على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون،

---

= الناس زيارة هذا البيت عاماً واحداً ما مُطروا» وهو منقطع. انتهى.

---

(١) قال محمود: «أي تطلبون لها اعوجاجاً. . .الخ» قال أحمد: وفي تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال: تطلبون لها اعوجاجاً، تنقيص من المعنى، وأتم من إعرابه معنى أن تجعل الهاء هي المفعول به وعوجاً حال وقع فيها المصدر الذي هو عوجاً موقع الاسم. وفي هذا الاعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم، وتوبيخهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «فإن قلت كيف تبغونها عوجا» لعله: كيف قال تبغونها. أو لعله: كيف يبغونها (ع).

فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، وقال: ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار، فأمر شاباً من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث[1] وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس. ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا: السلاح السلاح، فبلغ النبي ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال: أتدعون الجاهلية[2] وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم. فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوّهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، فما كان يوم أقبح أوّلاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم (٢٦٧).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب، والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: على لسان الرسول غضة طرية[3] وبين أظهركم رسول الله ﷺ ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم

---

٢٦٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٥٥)، حديث (٧٥٢٤) من طريق زيد بن أسلم.
ـ وذكره ابن هشام في السيرة (٢/ ١٩٧ ـ ١٩٩) حديث (٦٣٧، ٦٣٨) من قول ابن إسحاق لم يجاوزه، وزاد في آخره: وكان يومئذ على الأوس حضير بن سماك الأشهلي، وهو أبو أسيد بن الحضير وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً، قال: وأنزل الله في شاس بن قيس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٠٨) للثعلبي في تفسيره عن زيد بن أسلم من غير سند، وكذلك للواحدي في أسباب النزول.
وكلّهم قالوا فيه: «أبدعوى الجاهلية» ليس عند أحد منهم «أتدعون» قال الحافظ: أخرجه الطبري عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه بلفظه وأخرجه ابن إسحاق في المغازي، من طريق الطبري أيضاً قال: حدّثنا الثقة عن زيد بن أسلم مطوّلاً. وذكره ابن هشام فلم يذكر إسناد إسحاق. وزاد في آخره «وكان يومئذ على الأوس حضير بن سماك والد =

---

(١) قوله: «يوم بعاث» بعاث بالضم يوم وقعة للأوس والخزرج (ع).
(٢) قوله: «فقال أتدعون الجاهلية» في الشهاب على البيضاوي أنه محرف والرواية أبدعوى الجاهلية أي أتأخذون بها (ع).
(٣) قوله: «على لسان الرسول غضة طرية» في الصحاح: شيء غض، أي طرى، وكل ناضر غض، =

بِٱللَّهِ﴾: ومن يتمسك بدينه، ويجوز أن يكون حثاً لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم، ﴿فَقَدْ هُدِىَ﴾: فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول: إذا جئت فلاناً فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلاً، ومعنى التوقع في ﴿قَدْ﴾ ظاهر لأنّ المعتصم بالله متوقع للهدى، كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: واجب تقواه وما يحق منها، وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم، ونحوه ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً، وعن عبد الله: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى» (٢٦٨) وروي مرفوعاً، وقيل: هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويقوم بالقسط

---

= أُسيد، وكان على الخزرج عمرو بن النعمان البياضي. فقتلا جميعاً. وأنزل الله في شاس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ـ الآية﴾ وذكره الثعلبي والواحدي في أسبابه عن زيد بن أسلم بغير إسناد. انتهى.

٢٦٨ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٢٩٤)، كتاب التفسير وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وليس فيه ويشكر فلا يكفر.
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٦)، رقم (١٠٧٩) وهذان من طريق مرّة عن عبد الله موقوفاً.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٥٧)، رقم (٧٥٣٦).
ـ والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٩٣)، رقم (٨٥٠١ ـ ٨٥٠٢).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٩): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصّحيح والآخر ضعيف.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٠) لابن مردويه في تفسيره من طريق مرة عن ابن مسعود مرفوعاً.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
قال المصنّف ورُوي مرفوعاً انتهى. فأما الموقوف فأخرجه الحاكم من طريق مسعر عن زيد عن مرة عنه، وكذلك أخرجه عبد الرزاق ومن طريقه الطبري وابن أبي حاتم والطبراني، وقال أبو نعيم في ترجمة مسعر من الحلية:
حدّثنا سليمان بن أحمد، وهو الطبراني ـ فذكره. ثم قال: هكذا رواه النامس عن زيد موقوفاً. ورفعه النضر عن محمد بن طلحة عن زيد ثم ساقه مرفوعاً. وأخرجه ابن مردويه من طريق ابن وهب عن =

---

= نحو الشباب وغيره، وفيه شيء طري، أي غض بين الطراوة. (ع)

ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه (٢٦٩)، وقيل: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه (٢٧٠)، والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾: معناه: ولا تكوننّ على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدوّ: لا تأتني إلا وأنت على حصان، فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان. قولهم اعتصمت بحبله: يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمايته، بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه، وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد، أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه، والمعنى: واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه. أو واجتمعوا على التمسك بعهده إلى عباده وهو الإيمان والطاعة؛ أو بكتابه لقول النبي ﷺ: «القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الردّ، من قال به صدق؛ ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم» (٢٧١)، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضاً ويحاربه ـ أو ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم، وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام. كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة، فألف الله بين

---

= سفيان الثوري عن زيد مرفوعاً أيضاً. وله شاهد عن ابن عباس مرفوعاً. أخرجه البيهقي في الشعب من رواية ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس. لكنه من نسخة عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني. وهي ساقطة. انتهى.

٢٦٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٦٧)، رقم (٧٥٥٢)، من طريق علي عن ابن عباس بلفظ «أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا يأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم».
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٤٩)، رقم (١٠٩٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وزاد فيه عن رواية الطبري «فإنها لم تنسخ».
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٦) لابن المنذر.

٢٧٠ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٨) رقم (١٠٨٩) من طريق عطاء الواسطي عن أنس به وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم فقط.

٢٧١ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٢) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل القرآن حديث (٢٩٠٦) والدارمي (٢/ ٤٣٥) كتاب فضائل القرآن: باب فضل من قرأ القرآن من طريق الحارث الأعور عن علي مرفوعاً به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول وفي الحارث مقال:
وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه =

قلوبهم بالإسلام، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا، ﴿إِخْوَٰنًا﴾: متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف، وهو الأخوة في الله، وقيل: هم الأوس والخزرج، كانا أخوين لأب وأم، فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول الله ﷺ (٢٧٢)، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: وكنتم مشفين[1] على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: بالإسلام، والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا[2]

---

= والبزّار من طريق الحارث عن علي.

وقال البزّار: ولا نعلم رواه عن علي إلاّ الحارث، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود.
أخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) من طريق صالح بن عمر عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً بنحو حديث علي.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: صالح خرّج له مسلم لكن إبراهيم الهجري ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، من حديث الحارث الأعور عن علي ـ رضي الله عنه ـ مطوّلاً. وفيه قصّة وقال: غريب لا نعرفه إلاّ من حديث حمزة الزيات. وإسناده مجهول انتهى. وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والدارمي والبزّار من طريق الحارث. قال البزّار: لا نعلمه إلاّ من طريق علي. ولا نعلمه رواه عنه إلاّ الحارث انتهى. وله شاهد عن معاذ بن جبل. أخرجه الطبراني من رواية عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة عن ابن إدريس بلفظ «ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ الفتن فشددها. قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه: ما المخرج منها؟ قال: كتاب الله ـ فذكر الحديث بطوله. ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود مرفوعاً أيضاً «إنّ هذا القرآن حبل الله والنور المبين، والشافع، عصمة لمن تمسك به... الحديث» أخرجه من طريق صالح بن عمر عن إبراهيم البحري عن أبي الأحوص عنه. وإبراهيم ضعيف. انتهى.
٢٧٢ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٨٧) رقم (٧٥٨٤).

---

(١) قوله: «وكنتم مشفين» أي مشرفين. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «الضمير للشفا وهو مذكر وإنما أنّثه للإضافة... الخ» قال أحمد: ويجوز عود الضمير إلى الحفرة فلا يحتاج إلى تأويله المذكور، كما تقول: أكرمت غلام هند، وأحسنت إليها. والمعنى على عوده إلى الحفرة أتم، لأنها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة. وأما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالباً، ومن الهوى إلى الحفرة، فيكون الانقاذ من الشفا إنقاذاً من الحفرة التي يتوقع الهوى فيها، فإضافة المنة إلى الإنقاذ من الحفرة تكون أبلغ وأوقع، مع أن اكتساب التأنيث من المضاف إليه قد عده أبو علي في التعاليق من ضرورة الشعر. خلاف رأيه في الإيضاح. نقله ابن يسعون. وما حمل الزمخشري على إعادة الضمير إلى الشفا إلا أنه هو الذي كانوا عليه، ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها، وقد بينا في أدراج هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة، لأنهم كانوا صائرين إليها غالباً لولا الانقاذ الرباني. ألا ترى إلى قوله عليه السلام «المرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وإلى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سبباً مؤدياً =

وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال [من الطويل]:

. . . . . كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[1]

وشفا الحفرة وشفتها: حرفها، بالتذكير والتأنيث، ولامها واو، إلا أنها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة، ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة. فإن قلت: كيف جعلوا على حرف حفرة من النار؟ قلت: لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار، فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها، ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك البيان البليغ، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إرادة أن تزدادوا هدى.

---

= إلى انهياره في نار جهنم، مع تأكيد ذلك بقوله (هار) والله أعلم.

(١) فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عندكم غير مفحم
وتشرق بالقول الذي قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

للأعشى ميمون بن قيس وفيه وجهان: الأول أنه يصف رجلاً بإفشاء السر، وأنه لو تحيل لكتمه لم يقدر، أي لو بالغت في الكتمان حتى كأنك كنت في بئر عميق، فالعدد كناية عن ذلك، ثم رقيت من قعره وبلغت أسباب السماء، أي أبوابها. وقوله «بسلم» مبالغة في التشبيه، كأنه صعد حقيقة على سلم «ليستدرجنك» بالنون المخففة، أي ليستنزلنك «القول» من السماء درجة درجة إلى قعر البئر كما كنت ويفسد تحيلك، فتهره أي تقوله. ودرج الصبي: إذا قارب بين خطاه. ودرج القوم: مات بعضهم إثر بعض. وهر الكلب هريراً إذا صوت. وفيه إشعار بتشبيهه بالكلب النابح. وتعلم، أي وأجيب أنا عن قولك فتعلم أني غير عاجز عن الجواب فيما بينكم. وروى «عنكم» بدل «عندكم» وهي هي. ورجع إلى بيان استدراج القول له فقال: وتشرق بالقول الذي قد أذعته ونشرته عني. وشرق: إذا غص بريقه أو نحوه. وذاع الخبر ذيعاً وذيوعاً: انتشر. وأذاعه: نشره. أي لم تقدر على ابتلاعه وكتمانه كما لم يبلغ صدر القناة أي الرمح الدم الذي يكون عليه من القتيل. وشبه القول الذي لم يقدر على كتمانه بالشيء الذي لم يقدر على ابتلاعه، فاستعار الشرق للعجز عن الكتمان على طريق التصريحية. وشبه الشرق الأول بالثاني ليفيد ضمناً أن قوله كالدم للمبالغة في عدم إمكان الكتمان. الوجه الثاني أن معناه لو كنت متباعداً عني كأنك في قعر البئر ورقيت منه إلى السماء ليقربنك القول إلي شيئاً فشيئاً حتى تهره، أي تكرهه وتبغضه، وتعلم أني عندكم غير عاجز عن الكلام الذي يقربك إلي، وتشرق بالقول الذي قد أذعته أنا عنك، فالتاء على هذا للمتكلم، أي لم تقدر على استماعه ودخوله أذنك كما لم تقدر صدر القناة على ابتلاع الدم. وصدر القناة مذكر. ولكن اكتسب التأنيث من المضاف إليه، فلذلك أنث فعله وقال: شرقت، وقيل: القناة هنا مجرى الماء، وأين هي من الدم.

ينظر: ديوانه ص ١٧٣، وخزانة الأدب ٥/ ١٠٦، والدرر ٥/ ١٩ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٤، والكتاب ١/ ٥٢، ولسان العرب (صدر)، (شرق)، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٧٨، والأزهية ص ٤٣٨، والأشباه والنظائر ٥/ ٢٥٥، الأشباه والنظائر ٢/ ١٠٥، والخصائص ٢/ ٤١٧، ومغني اللبيب ٢/ ٥١٣، والمقتضب ٤/ ١٩٧، ١٩٩، وهمع الهوامع ٢/ ٤٩. والدر ١/ ٢٥٧.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: «من» للتبعيض[1] لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر، وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين، ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تمادياً، أو على مَن الإنكار عليه عبث، كالإنكار على أصحاب المآصر[2] والجلادين وأضرابهم، وقيل «من» للتبيين، بمعنى: وكونوا أمّة تأمرون، كقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم، وعن النبي ﷺ أنه سئل وهو على المنبر: من خير الناس؟ قال: «آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله وأوصلهم» (٢٧٣)، وعنه عليه الصلاة والسلام: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله، وخليفة كتابه» (٢٧٤) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن شنىء

---

٢٧٣ ـ أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٢٠) رقم (٧٩٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) رقم (٦٥٧) من طريق شريك القاضي عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب مرفوعاً.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦١) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.
وذكره أيضاً الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٢) وزاد نسبته إلى أبي يعلى الموصلي ولم أجده في المطبوع من مسند أبي يعلى فلعلّه في مسنده الكبير، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبري والبيهقي في الشعب من رواية شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت أبي لهب قالت «كنت عند عائشة، فجيء برجل إلى النبي ـ ﷺ ـ كان ناداه وهو على المنبر فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس خير؟ فذكره». انتهى.
٢٧٤ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٢١٠٤) من طريق كادح بن رحمة القرني عن ابن لهيعة عن ابن أبي حبيب عن مسلم بن جابر الصدفي عن عبادة بن الصّامت مرفوعاً. =

---

(١) قال محمود «من للتبعيض. . .الخ» قال أحمد: وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك، وأنه لا يخاطب به إلا الخواص. ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ فإنما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيهاً على قلة الناظر في معاده، وكذلك قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ حتى ورد في التفسير أن المراد أذن واحدة مخصوصة وهي أذن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) قوله: «المآصر» جمع مأصر، وهو المحبس أي السجن، أفاده الصحاح. (ع)

الفاسقين وغضب لله، غضب الله له» (٢٧٥)، وعن حذيفة: يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وعن سفيان الثوري: إذا كان الرجل محبباً في جيرانه محموداً عند إخوانه فاعلم أنه مداهن، والأمر بالمعروف تابع للمأمور به، إن كان واجباً فواجب، وإن كان ندباً فندب، وأما النهي عن المنكر فواجب كله، لأنّ جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح. فإن قلت: ما طريق الوجوب؟ قلت: قد اختلف فيه الشيخان، فعند أبي علي: السمع والعقل، وعند أبي هاشم: السمع وحده. فإن قلت: ما شرائط النهي؟ قلت: أن يعلم الناهي أن ما ينكره قبيح، لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن، وأن لا يكون ما ينهي عنه واقعاً، لأن الواقع لا يحسن النهي عنه، وإنما يحسن الذم عليه والنهي عن أمثاله، وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته، وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث. فإن قلت: فما شروط الوجوب؟ قلت: أن يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو أن يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلاته، وأن لا يغلب على ظنه أنه إن أنكر لحقته مضرة عظيمة. فإن قلت: كيف يباشر الإنكار؟ قلت يبتدىء بالسهل، فإن لم ينفع ترقى إلى

---

= قال ابن حجر: وكادح ساقط.
قلت: وعبد الله بن لهيعة ضعيف.
قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٣): وفيه حديث مرسل رواه علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» ثنا بقية عن حسان بن سليمان عن أبي نضرة عن الحسن مرسلاً؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه بن عديّ في الكامل في ترجمة كادح بن رحمة من روايته عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن مسلم بن جابر عن عبادة بن الصّامت. وكادح ساقط. وله شاهد مرسل أخرجه علي بن معبد في كتاب الطاعة عن بقية عن حسان بن سليمان عن أبي نضرة عن الحسن البصري. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي. انتهى.

٢٧٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٤) في ترجمة عليّ بن أبي طالب من طريق خلاس بن عمرو عن علي مرفوعاً، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة علي مطوّلاً، من رواية خلاس بن عمرو قال: كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إذ أتاه رجل من خزاعة فقال: يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ ينعت الإسلام؟ قال: سمعته يقول: بني الإسلام على أربعة أركان: الصّبر واليقين والجهاد والعدل ـ فذكره ـ إلى أن قال: والجهاد أربع شعب: الأمر بالمعروف. والنّهي عن المنكر. والصّدق في مواطن الصّبر. وشنآن الفاسقين. فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن. ومن نهى عن المنكر أرغم أنف الكافر. ومن صدق في مواطن الصّبر أحرز دينه. وقضى ما عليه. ومن شنأ الفاسقين فقد غضب لله. ومن غضب لله غضب الله له» وهو من طريق إسحاق بن بشر عن مقاتل. وهما ساقطان. قال: ورواية العلاء بن عبد الرحمن عن قبيصة بن جابر عن علي ـ رضي الله عنه ـ ا.هـ.

الصعب، لأنّ الغرض كف المنكر. قال الله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، ثم قال: (فقاتلوا) [الحجرات: ٩]، فإن قلت: فمن يباشره؟ قلت: كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه، وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركاً للصلاة وجب عليه الإنكار، لأنه معلوم قبحه لكل أحد، وأما الإنكار الذي بالقتال، فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها. فإن قلت: فمن يُؤمر ويُنهى؟ قلت: كل مكلف، وغير المكلف إذا همَّ بضرر غيره مُنع، كالصبيان والمجانين، وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعوّدوها، كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها. فإن قلت: هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما يرتكبه قلت: نعم يجب عليه، لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجبان عليه، فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر، وعن السلف: مروا بالخير وإن لم تفعلوا، وعن الحسن أنه سمع مطرّف بن عبد الله يقول: لا أقول ما لا أفعل، فقال: وأينا يفعل ما يقول، ودّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر. فإن قلت: كيف قيل: ، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: ؟ قلت: الدعاء إلى الخير[1] عامّ في التكاليف من الأفعال والتروك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص، فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله، كقوله: ﴿وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾: وهم اليهود والنصارى، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق، وقيل: هم مبتدعو هذه الأمة، وهم المشبهة

---

(١) (عاد كلامه) قال: «وقوله يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام بالدعاء. . .الخ» قال أحمد: عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة إذا اقتصر على بعض متناولات العام، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وكقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ تمييزاً عن غيره من بقية المتناولات. وأما هذه الآية، فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناوله، إذ الخير المدعو إليه إما فعل مأمور أو ترك منهى، لا يعدو واحداً من هذين، حتى يكون تخصيصها يميزها عن بقية المتناولات، فالأولى في ذلك أن يقال: فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء إلى الخير عاماً، ثم مفصلاً. وفي تنبيه أن الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله أعلم، إلا أن يثبت عرف يخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض أنواع الخير، فإذ ذاك يتم مراد الزمخشري، وما أرى هذا العرف ثابتاً، والله أعلم.

والمجبرة والحشوية[1] وأشباههم، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾: نصب بالظرف وهو لهم، أو بإضمار اذكر، وقرىء: «تبيض وتسود»، بكسر حرف المضارعة. «وتبياض وتسوادّ»، والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودّت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله، ﴿أَكَفَرْتُمْ﴾: فيقال لهم: أكفرتم، والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم، والظاهر أنهم أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم رسول الله ﷺ بعد اعترافهم به قبل مجيئه، وعن عطاء: تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسودّ وجوه بني قريظة والنضير، وقيل: هم المرتدون، وقيل: أهل البدع والأهواء (٢٧٦)، وعن أبي أمامة: هم الخوارج، ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال: كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، فقال له أبو غالب: أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ. قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة. قال: فما شأنك دمعت عيناك، قال: رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا. ثم قرأ هذه الآية، ثم أخذ بيده فقال: إن بأرضك منهم كثيراً. فأعاذك الله منهم (٢٧٧)، وقيل: هم جميع

---

٢٧٦ ـ أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٠٦)، رقم (١١٤٠)، عن ابن عباس بنحوه.

٢٧٧ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٦)، حديث (٣٠٠٠)، كتاب التفسير باب: ومن سورة آل عمران، وقال: حديث حسن. وقد رُوي هذا من غير هذا الوجه عن ابن عباس، وآدم بن سليمان هو والدُ يحيى بن آدم، وفي الباب عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

ـ وابن ماجه (١/ ٦٢) حديث (١٧٦).

ـ وأحمد (٥/ ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٩)، وزاد أحمد: ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ الآيتين.

ـ وعبد الرزاق في مصنّفه في آخر كتاب القصاص (١٠/ ١٥٢) رقم (١٨٦٦٣) باب: ما جاء في الحرورية.

والحاكم (٢/ ١٤٩)، كتاب: قتل البغاة، من حديث عكرمة بن عمار عن شداد بن عمار قال: سمعت أبا أمامة... فذكره، وفيه فقال له رجل: أشيء تقوله برأيك... إلى آخره. ثم قرأ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ...﴾ الآية. انتهى، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قال: والغالب على هذا المتن من حديث أبي غالب عن أبي أمامة.

وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣١٩ إلى ٣٢٧)، رقم (٨٠٣٣ ـ ٨٠٥١) من طرق عن أبي غالب عن ابن عباس. =

---

(١) قوله: «وهم المشبهة والمجبرة والحشوية، إن أراد بهم أهل السنة ومن وافقهم كعادته، فقد أفرط في التعصب للمعتزلة. (ع)

الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم (٢٧٨) قالوا بلى، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: ففي نعمته وهي الثواب المخلد، فإن قلت: كيف موقع قوله: ، ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: بعد قوله: ، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾:؟ قلت: موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (٢٧٩).

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: الواردة في الوعد والوعيد، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: ملتبسة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾ فيأخذ أحداً بغير جرم، أو يزيد في عقاب مجرم، أو ينقص من ثواب محسن، ونكر «ظلماً» وقال: ، ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه، فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح[1] والرضا بها.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

«كان»: عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل

---

= ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ١١١) وزاد لنسبته نسبته إلى ابن المنذر.
وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٤) وعزاه للثعلبي في تفسيره، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي في تفسيره من طريق عكرمة بن عمار عن شداد عن أبي أمامة هكذا، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم، وقد أخرجه الترمذي وابن ماجه، وعبد الرزاق وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والطبراني كلّهم من طريق أبي غالب. بتمامه. وله إسناد آخر أخرجه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة. انتهى.

٢٧٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٩٥) من حديث أبي بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار، وأنّ الإيمان الذي يُوبّخون على ارتدادهم عنه، هو الإيمان الذي أقرّوا به يوم قيل لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾.

٢٧٩ ـ أخرجه ابن أبيّ حاتم في تفسيره (٢/ ٤٦٧)، رقم (١١٥١) من طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يعني لا يموتون.

---

(١) قوله: فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح» يريد أهل السنة القائلين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، كما أجمع عليه السلف. (ع)

على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٦] ومنه قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾: كأنه قيل: وجدتم خير أمّة، وقيل: كنتم في علم الله خير أمّة[1]، وقيل: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمّة، موصوفين به، ﴿أُخْرِجَتْ﴾: أظهرت، وقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾: كلام مستأنف بين به كونهم خير أمّة، كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾: جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله، لأنّ من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه، فكأنه غير مؤمن بـــــالله ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠] والدليل عليه قوله تعالى: ، ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مع إيمانهم بالله، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾: لكان الإيمان خيراً لهم مما هم عليه، لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا ما هوخير مما آثروا دين الباطل لأجله، مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين، ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: كعبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: المتمرّدون في الكفر، ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك، ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم، وفيه تثبيت لمن أسلم منهم، لأنهم كانوا يؤذنونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به، مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأنّ عاقبة أمرهم الخذلان والذل. فإن قلت: هلا جزم المعطوف في قوله: ، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾؟[2] قلت :عدل به عن حكم

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: قوله: «لم تدل على عدم سابق» هذا إذا لم تكن بمعنى «صار» فإذا كانت بمعنى «صار» دلّت على عدم سابق، فإذا قلت: «كان زيد عالماً» بمعنى «صار زيد عالماً» دلّت على أنه انتقل من حالة الجهل إلى حالة العلم، وقوله: «ولا على انقطاع طارىء» قد ذكرنا قبل أن الصحيح أنها كسائر الأفعال يدلّ لفظ المضي منها على الانقطاع، ثم قد تستعمل حيث لا انقطاع، وفرق بين الدلالة والاستعمال، ألا ترى أنك تقول: «هذا اللفظ يدل على العموم» ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم بل يراد الخصوص. وقوله: «كأنه قيل وجدتم خير أمة» هذا يعارض قوله: «إنها مثل قوله: «وكان الله غفوراً رحيماً» لأن تقديره «وجدتم خير أمة» يدل على أنها التامة وأن «خير أمة» حالٌ. وقوله: «وكان الله غفوراً رحيماً» لا شك أنها هنا الناقصة فتعارضا» قلت: لا تعارض لأن هذا تفسير معنى لا تفسير إعراب.

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون. . .الخ»؟ قال أحمد: وهذا من الترقي في الوعد عما هو أدنى إلى ما هو أعلى، لأنهم وعدوا بتولية عدوهم الأدبار عند المقاتلة، ثم ترقي الوعد إلى ما هو أتم في النجاح من أن هؤلاء لا ينصرون مطلقاً، ويزيد هذا الترقي بدخول =

الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء، كأنه قيل: ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى؟ قلت: لو جزم لكان نفي النصر مقيداً بمقاتلتهم، كتولية الأدبار، وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً، كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوّة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر. فإن قلت: فما الذي عطف عليه هذا الخبر؟ قلت: جملة الشرط والجزاء كأنه قيل: أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا، ثم أخبركم أنهم لا ينصرون. فإن قلت: فما معنى التراخي في ثمّ؟ قلت: التراخي في المرتبة لأنّ الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار. فإن قلت: ما موقع الجملتين أعني، ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾؟ قلت: هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند إجراء ذكر أهل الكتاب، كما يقول القائل: وعلى ذكر فلان فإنّ من شأنه كيت وكيت، ولذلك جاء من غير عاطف.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: في محل النصب على الحال، بتقدير: إلا معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال، والمعنى: ضربت عليهم الذلة في عامّة الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس، يعني ذمّة الله وذمّة المسلمين، أي: لاعز لهم قط إلا بهذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمّة لما قبلوه من الجزية، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ استوجبوه، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾: كما يضرب البيت على أهله، فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها، وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أي: ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾: أي: ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم أنّ الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله، وأنّ سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر، ونحوه ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦١].

---

= ثم دون الواو، فإنها تستعار ههنا للتراخي: الرتبة لا في الوجود، كأنه قال: ثم ههنا ما هو أعلى في الامتنان وأسمع في رتب الإحسان، وهو أن هؤلاء قوم لا ينصرون ألبتة، والله أعلم.

﴿۞ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾

الضمير في، ﴿لَيْسُوا﴾: لأهل الكتاب، أي: ليس أهل الكتاب مستوين، وقوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: كلام مستأنف لبيان قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾: كما وقع قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١١٠] بياناً لقوله، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾مستقيمة عادلة، من قولك: أقمت العود فقام، بمعنى استقام، وهم الذين أسلموا منهم، وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود، لأنه أبين لما يفعلون؛ وأدل على حسن صورة أمرهم، وقيل: عنىٰ صلاة العشاء، لأن أهل الكتاب لا يصلونها (٢٨٠)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم (٢٨١)، وقرأ هذه الآية،

---

٢٨٠ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٦)، رقم (١٢٢٥) من طريق أبي جعفر عن الربيع في قوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: قال بعضهم: صلاة العتمة تُصلّيها أمة محمد ـ ﷺ ـ ولا يُصلّيها غيرهم من أهل الكتاب.

وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٢٧) رقم (٧٦٦٠) من طريق الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود به.

وكذا ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٤٣).

٢٨١ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (٤/ ٣٩٧) كتاب الصّلاة باب: مواقيت الصّلاة، حديث (١٥٣٠).

وأحمد (١/ ٣٩٩)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٢) حديث (١٠٢٠٩).

ـ والنسائي في تفسيره (١/ ٣٢٠) حديث (٩٢).

ـ والطبري في تفسيره (٧/ ١٢٨)، حديث (٧٦٦٢).

ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٦)، حديث (١٢٢٦)،

ـ وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٨٧).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣١٧) كتاب الصّلاة، باب: وقت العشاء الآخرة، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى، والبزّار، والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به، وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر وهو ضعيف.

ـ وكذا ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٦)، وعزاه لابن المنذر.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢١٦) للواحدي في أسباب النزول.

والحديث له شاهد من طريق أنس، أخرجه النسائي (٨/ ١٧٤) حديث (٥٢٠٢) من طريق قتادة عن =

وقوله: ﴿يَتْلُونَ﴾: و﴿يُؤْمِنُونَ﴾: في محل الرفع صفتان لأمّة، أي: أمّة قائمة تالون مؤمنون، وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل. ساجدين، ومن الإيمان بالله، لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عُزيراً، وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض، ومن الإيمان باليوم الآخر، لأنهم يصفونه بخلاف صفته، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهم كانوا مداهنين، ومن المسارعة في الخيرات، لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها، والمسارعة في الخير: فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الموصوفون بما وصفوا به، ﴿مِنَ﴾: جملة، ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم، ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين ﴿فلن تكفروه﴾ لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] في معنى توفيه الثواب نفى عنه نقيض ذلك. فإن قلت: لم عدى إلى مفعولين، وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد، تقول شكر النعمة وكفرها؟ قلت: ضمن معنى الحرمان، فكأنه قيل: فلن تحرموه؛ بمعنى فلن تحرموا جزاءه، وقرىء «يفعلوا»، «ويكفروه» بالياء والتاء، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة للمتقين بجزيل الثواب، ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

الصرُّ: الريح الباردة[1] نحو: الصرصر. قال [من البسيط]:

لاَ تَعْدِلَنَّ أَتَاوِيِّينَ تَضْرِبُهُمْ ... نَكْبَاءَ صِرّ بِأَصْحَابِ الْمَحَلاَّتِ[2]

---

= أنس بنحوه. وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي وابن حبّان وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والبزّار كلّهم من رواية عاصم عن زرعة. انتهى.

---

(١) قال محمود: «الصر الريح الباردة. . .الخ» قال أحمد: كلها أوجه وجيهة، وهذا الأخير أحسنها وأوجهها، لكن لم يبين الزمخشري وجه الظرفية في الأمثلة المذكورة، ونحن نبينها فنقول: إذا قلت مثلاً: إن ضيعني زيد ففي عمرو بعد الله كاف، فقولك «كاف» أثبت به منكراً مجرداً من القيود المشخصة المخصصة، ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلاً له، فشخصت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين، فهي ظرفية صحيحة، إذ كل مقيد ظرف لمطلقه، إذ المطلق بعض المقيد، فتنبه لهذه النكتة فإنها لطيفة، والله الموفق.

(٢) الأتاوى: الغريب البعيد، كأنه منسوب إلى الأتاوة، وهي الرشوة والخفالة، لأنه قد يبذلها على إقامته في غير وطنه. والنكباء: الريح الشديدة. والصر الحارة، وقيل: الباردة. وقال الزجاج: =

كما قالت ليلى الأخيلية [من الطويل]:

وَلَمْ يَغْلِبِ الْخَصْمَ الأَلَدَّ وَيَمْلأِ الـ ـجِفَانَ سَدِيفاً يَوْمَ نَكْبَاءَ صَرْصَرِ[1]

فإن قلت: فما معنى قوله: ، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: ؟ قلت: فيه أوجه: أحدهما: أنّ الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرة صرّ، كما تقول: برد بارد على المبالغة، والثاني: أن يكون الصر مصدراً في الأصل بمعنى البرد فجيء به على أصله، والثالث: أن يكون من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ومن قولك: إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل. قال [من الوافر]:

. . . . . وَفِي الرَّحْمٰنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافِي[2]

---

= صوت النار في الريح. وقيل: صوت الريح. والنكباء: الريح الشديدة. والصر الحارة، وقيل: الباردة. وقال الزجاج: صوت النار في الريح. وقيل: صوت الريح. وقيل: الجو. وقيل: البرد. وعلى هذا لو روى بالجر على الإضافة لكان وجيهاً. والمحلات قيل هي أدوات البيت كالفأس والقدر والغربال والدلو. ويجوز أنها البيوت وهو الظل من البيت. يقول: لا تسو بين الغرباء وبين أصحاب البيوت. وروى: لا يعدلن أتاويون، بالبناء للمجهول، وما بعده نائب فاعل. ورواه الجوهري بالبناء للفاعل، وقال: أي لا يعدلن أتاويون أحداً بأصحاب المحلات، فحذف المفعول وهو مدان، وفسر المحلات فحذف الموصول وهو مدان، وفسر المحلات فيه بالأدوات كافة، لأن الأتاوى يستعيرها من أصحابها. وعلى كل فالنون للتوكيد.

ينظر: المقاييس ١/ ٥٢ و٥/ ٤٧٤، والمعاني الكبير ١/ ٣٧٤، وأساس البلاغة ص ١٣٩، والبحر ٣/ ٣٥، واللسان (أتى)، والدر المصون ٢/ ١٩٢.

(١) كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ بنجد ولم يطلع من المتغور
ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الـ ـجفان سديفاً يوم نكباء صرصر

لليلى الأخيلية ترثي صاحبها توبة بن الحمير وتتذكر أحواله وتعد مناقبه. وفتى الفتيان: أي هو الفتى من بينهم وليسوا فتياناً بالنسبة له وإن كانوا فتياناً في أنفسهم، وتوبة بدل. ولم ينخ من أناخ بعيره، خبر كأن، أي كأنه لم ينخ بعيره بمحل مرتفع. ويروى: لم يسر بنجد، ولم يطلع من أطلع بمعنى طلع، أو لم يطلع بعيره من المتغور على اسم المفعول، أي المكان المنخفض ما فيه، وكأنه لم يغلب الخصم الشديد الخصومة. ويروى الخصم الصحاح بفتح الصاد، بمعنى الصحيح، وكأنه لم يملأ الجفان سديفاً، أي قطعاً بيضا من السنام في زمن الريح الشديدة الباردة، أو كثيرة الصرير وهو التصويت تعني أنه كان يفعل ذلك كله، ثم كأنه اليوم لم يفعل لموته.

ينظر: البيت في ديوانها، ورغبة الآمل ٦/ ١٨٤ و٨/ ١٧٧، والبحر المحيط ٣/ ٣٥، والدر المصون ٢/ ١٩٢.

(٢) لقد زاد الحياة إلى حبًّا بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين إن كسي الجواري فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولاهن قد سويت مهري وفي الرحمن للضعفاء كافي

لأبي خالد الخارجي. وقيل: لمحمد بن عبد الله الأزدي. وقيل: لعمران بن حطان. وقيل غير =

شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله، بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاماً، وقيل: هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم، وقيل: ما أنفقوا في عداوة رسول الله ﷺ فضاع عنهم، لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما أنفقوه لأجله، وشبه بحرث، ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم، لأنّ الهلاك عن سخط أشدّ وأبلغ. فإن قلت: الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه[1] وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر، والكلام غير مطابق للغرض

---

= ذلك، لامه قطري ابن الفجاءة عن التخلف عن الحرب فاعتذر بذلك. وبناتي فاعل زاد. وأحاذر أي أخاف أن يدركهن الفقر بعد موتي. وكنى عن ذلك برؤيتهن له مبالغة، لأنه إذا خاف الرؤية خاف اللحوق. ويروى مخافة أن يذقن البؤس، أي الشدة، فشبهه بمطعوم على سبيل المكنية والذوق تخييل. ورنق الماء كدر وترنق: تكدر، ورنقه وأرنقه كدره، والرنق بالتحريك مصدر كالكدر فسكن وأريد منه الماء الكدر. وروى «زيفا» أي مغشوشاً مكدراً، فالمراد واحد، فشبه العيش المبغض به، وشبه العيش الناعم بالماء الصافي على طريق التصريح والشرب ترشيح، وكسي بوزن فرح لازم ضد عرى. ويجوز هنا بناؤه للمجهول، من كسي المعتدي كدعا. وإن للشرط المجرد عن الشك أو بمعنى إذ. وتنبو ترتفع عنهن، كناية عن عدم التزوج بهن. والكرم بالسكون، وقيل ـ بالكسر ـ وصف من الكرم يقع على الواحد والمتعدد مذكراً ومؤنثاً. ويروى «عن رم» أي باليات، وهو أشبه بالسياق. والعجاف جمع عجفاء، أي مهزولة، أي لا يلتفت إليهن مع كونهن كريمات لهزالهن ورثاثة حالهن. وسويت مهري: وضعت عليه آلات الحرب ومهدته وهيأته لها. ويروى «قد سموت مهري» ولعله بتخفيف الميم بمعنى علوت عليه وركبته وقيل: بمعنى وضعت عليه سمات الحرب، فلعله مقلوب. و«سمت وروى سومت بالتشديد، وهو الذي يصلح أنه بمعنى جعلت عليه علامات الحرب لا ذاك، وجود من جانب الله عز وجل شخصاً كافياً، ولا حجر في المبالغة لا سيما على العرب. وفيه نوع استرجاع إلى الله وتفويض إليه وتوكل عليه، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين.

ينظر: الكامل ٨٩٥، واللسان (كرم)، والدرر المصون ٢/ ١٩٢.

(١) قال محمود «فإن قلت» الغرض تشبيه ما أنفقوا قلة جدواه. . .الخ» قال أحمد: أما إيراد السؤال فلا ترتضى صيغته لما فيها من حيف بالأدب، إذ جزم السائل المقدر بأن كلام الله تعالى غير مطابق لمراده، واللائق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى أن يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة، لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الصحيحة أن يقال: فما وجه مطابقة الكلام للغرض.، ولا ينبغي التساهل في ذلك، فإن أحدنا لو أورد سؤالاً على كلام إمام معتبر بمرأى منه ومسمع، تحيل في أنواع التلطف في إيراده بعد عن أمثال هذه العبارة. ولعل الاعتراض على ذلك الإمام يكون وارداً لا يمكن عنه جواب، فكيف يليق التسامح في إيراد الأسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات، وإنما يسأل عن كتاب الله تعالى بمرأى منه ومسمع على علم بأنه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فما أجدره أن يتوفر في الاسترشاد وأن يتأدب في الإيراد، ثم نعود إلى جواب الزمخشري الثاني وهو قوله: «إن المراد مثل إهلاك ما ينفقون» فنقول: لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسئول عنها، والسؤال باق. وذلك أن الريح المشبه بها ليست الإهلاك وإنما هي المهلكة. ولا مطابقة بين المصدر والاسم إلا بتأويل آخر، وحينئذٍ يبعد هذا الوجه. وأقرب منه أن يقول: أصل الكلام والله أعلم: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل =

حيث جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح. قلت: هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] ويجوز أن يراد: مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريح، أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرىء: «تنفقون، بالتاء»، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: الضمير للمنفقين على معنى: وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم، ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول، أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم، أي: وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة، وقرىء: «ولكنّ» بالتشديد، بمعنى ولكنّ أنفسهم يظلمونها هم، ولا يجوز أن يراد: ولكنه أنفسهم يظلمون، على إسقاط ضمير الشأن، لأنه إنما يجوز في الشعر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

بطانة الرجل وو ليجته: خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره[1] ثقة به، شبه ببطانة الثوب كما يقال: فلان شعاري، وعن النبي ﷺ: «الأنصار شعار والناس دثار» (٢٨٢)، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾: من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون، ويجوز تعلقه بـ «لا

---

٢٨٢ ـ رواه البخاري مختصراً (٨/ ٣٦٩)، كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف، حديث (٤٣٣٠).
ـ ومسلم (٤/ ١٦٦)، كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلّفة قلوبهم على الإسلام، حديث (١٣٩) ـ (١٠٦١).
ـ كلاهما من طريق عباد بن تميم عن عبد الله بن زيد.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني في أثناء حديث طويل، أوله «أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ لمّا فتح حُنيناً قسم المغانم». انتهى.

---

= حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر فأهلكته. ولكن خولف هذا النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ما هو أهم، لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث، فقدمت عناية بذكرها واعتماداً على أن الأفهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام إلى أصله على أيسر وجه، ومثل هذا في تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا...﴾ الآية. ومثله أيضاً: أعددت هذه الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه. والأصل: أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت. وأن أدعم بها الحائط إذا مال، وأمثال ذلك كثيرة. والله الموفق.

(١) قوله: «بشقوره» في الصحاح الشقور بالضم الأمور اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر. (ع)

تتخذوا»، وبـ «بطانة» على الوصف، أي: بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: يقال: ألا في الأمر يألو، إذا قصر فيه، ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم: لا ألوك نصحاً، ولا ألوك جهداً، على التضمين، والمعنى: لا أمنعك نصحاً ولا أنقصكه، والخبال: الفساد، ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾: ودّوا عنتكم، على أنّ «ما» مصدرية، والعنت: شدّة الضرر والمشقة، وأصله انهياض العظم بعد جبره، أي: تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشدّ الضرر وأبلغه، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين، وعن قتادة: قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك، وفي قراءة عبد الله «قد بدأ البغضاء»، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما بين لكم فعملتم به. فإن قلت: كيف موقع هذه الجمل؟ قلت: يجوز أن يكون، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾: صفة للبطانة وكذلك، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾: كأنه قيل: بطانة غير آليكم خبالاً بادية بغضاؤهم، وأما، ﴿قَدْ بَيَّنَّا﴾: فكلام مبتدأ، وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ﴿ها﴾ للتنبيه، و ﴿أنتم﴾ مبتدأ، و﴿أُوْلَآءِ﴾: خبره. أي: أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب، وقوله: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء، وقيل: ﴿أُوْلَآءِ﴾: موصول، ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾: صلته، والواو في ﴿وَتُؤْمِنُونَ﴾: للحال، وانتصابها من لا يحبونكم أي: لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله، وهم مع ذلك يبغضونكم. فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم، وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم، ونحوه ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ويوصف المغتاظ والنادم بعضّ الأنامل والبنان والإبهام قال الحرث بن ظالم المري [من الطويل]:

فَأَقْتُلُ أَقْوَاماً لِئَاماً أَذِلَّةً  يَعَضُّونَ مِنْ غَيْظٍ رُءُوسَ الأَبَاهِمِ[1]

﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾: دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ: زيادة ما يغيظهم من قوّة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزى والتبار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء، وما يكون منهم في حال خلوّ بعضهم ببعض، وهو كلام داخل في جملة المقول أو خارج

---

(١) للحرث بن ظالم المري. وعض الأنامل من الغيظ: كناية عن شدته، وأطلق الأباهم وأراد مطلق الأصابع مجازاً مرسلاً، لأنه لا داعي للتخصيص المخالف للواقع عادة. ويحتمل أنها حقيقة.
ينظر: البيت في البحر المحيط ٢/ ٤٤، والدر المصون ٢/ ١٩٧.

منها. فإن قلت: فكيف معناه على الوجهين؟ قلت: إذا كان داخلاً في جملة المقول فمعناه: أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا، وقل لهم: إنّ الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور، فلا تظنوا أنّ شيئاً من أسراركم يخفى عليه، وإذا كان خارجاً فمعناه: قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم، ويجوز أن لا يكون ثمّ قول، وأن يكون قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾: أمراً لرسول الله ﷺ بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به، كأنه قيل: حدث نفسك بذلك.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

الحسنة: الرخاء، والخصب، والنصرة، والغنيمة، ونحوها من المنافع، والسيئة ما كان ضدّ ذلك؛ وهذا بيان لفرط معاداتهم؛ حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير، ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدّة، فإن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة؟[1] قلت: المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحداً. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: على عداوتهم، ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾: ما نهيتم عنه من موالاتهم، أو: وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه، وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه، كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم، وقرىء: «لا يضركم»: من ضاره يضيره، ويضركم على أن ضمة الراء لإتباع ضمة الضاد، كقولك مدّ يا هذا، وروى المفضل عن عاصم «لا يضركم» بفتح الراء، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى، وقد قال الحكماء: إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما، ﴿مُحِيطٌ﴾: ففاعل بكم ما أنتم أهله، وقرىء بالياء ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة. . .الخ» قال أحمد: يمكن أن يقال: المس أقل تمكناً من الإصابة، وكأنه أقل درجاتها، فكأن الكلام والله أعلم: إن تصبكم الحسنة أدنى إصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها، وإن تمكنت الإصابة منكم وانتهى الأمر فيها إلى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكن ولا ينفكون عن حسدهم ولا في هذه الحال، بل يفرحون ويسرون، والله أعلم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿و﴾ اذكر، ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: بالمدينة، وهو غدوّةٌ إلى أحد من حجرة عائشة ـ رضي الله عنها ـ روي: أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء، فاستشار النبي ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبيّ ابن سلول ولم يدعه قط قبلها، فاستشاره. فقال عبد الله وأكثر الأنصار: يا رسول الله، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ قط إلا أصاب منا ولادخلها علينا إلا أصبنا منه، فكيف وأنت فينا، فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة، وإن رجعوا رجعوا خائبين. وقال بعضهم: يا رسول الله، اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم. فقال ﷺ: إني قد رأيت في منامي بقراً مذبحة حولي، فأوّلتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً فأولته هزيمة، ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم. فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد: اخرج بنا إلى أعدائنا. فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته. فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا: بئسما صنعنا، نشير على رسول الله ﷺ والوحي يأتيه، وقالوا: اصنع يا رسول الله ما رأيت، فقال: لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل، فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوّم بهم القدح[1]، إن رأى صدراً خارجاً قال: تأخر، وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد؛ وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا» (٢٨٣)، ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنزلهم، وقرأ عبد الله «للمؤمنين»، بمعنى

---

٢٨٣ ـ رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٢٤)، باب: كيف كان الخروج إلى أحد والقتال بين المسلمين والمشركين يومئذ، من طريق محمد بن إسحاق، قال: قال محمد بن شهاب الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن يحيى بن حبّان، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ... فذكره.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/ ٣٦٣)، حديث (٩٧٣٥)، في المغازي في غزوة أحد: حدّثنا معمر عن الزهري، عن عروة... فذكره بتغير يسير.
وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٦٣)، حديث (٧٧١٨) من نفس الطريق السابق. وابن هشام في سيرته (٣/ ٦)، في غزوة أحد، من قول ابن إسحاق، حديث (١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤). =

---

(١) قوله: «كأنما يقوم بهم القدح، في الصحاح: القدح ـ بالكسر ـ السهم قبل أن يراش ويركب نصله. (ع)

تسوى لهم وتهيء، ﴿مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: مواطن ومواقف، وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار[1]، واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥]، ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] من مجلسك وموضع حكمك، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم، ﴿إِذْ هَمَّت﴾: بدل من، ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾: أو عمل فيه معنى، ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة

---

= بداية من قوله: «إني رأيت في منامي بقراً... حتى قوله: وتدعوهم».
والحديث له عدة شواهد منها.
ما أخرجه البخاري (٦/ ٧٢٥)، كتاب المناقب، حديث (٣٦٢٢).
ومسلم (٨/ ٣٦)، كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبي - ﷺ -.
- وابن حبّان في صحيحه (١٤/ ١٧٥)، كتاب التاريخ، فصل في هجرته - ﷺ - إلى المدينة... حديث (٦٢٧٥) وابن ماجه (٢/ ١٢٩٢) كتاب تعبير الرؤيا، حديث (٣٩٢١) كلّهم من طريق أبي موسى.
- وأحمد (٣/ ٣٥١) عن جابر بن عبد الله، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي، قال: حدّثني محمد بن شهاب وعاصم بن عمر ومحمد بن يحيى بن حبّان والحصين ابن عبد الرحمن وغيرهم من علمائنا، كلّهم قد حدّث عن غزوة أحد. وكان من حديثهم قالوا: قال رسول الله - ﷺ - للمسلمين يوم أحد «إني رأيت بقراً وأولتها خيراً. ورأيت في ذباب سيفي ثلماً - فذكر الحديث بطوله وفيه: ومات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له: مالك بن عمرو. وفيه: ذكر للأمة وغير ذلك. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في الدلائل وأورد منه الطبري من طريقه قطعة. وساقه عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب عن عروة مطوّلاً وأخرجه الطبري من رواية أسباط عن السدّي بلفظ المصنّف، إلى قوله، وأصح بالشعب، وبقية ذلك هو من كلام ابن إسحاق «قوله فيه حتى يقوم بها القداح» وقع في رواية الواقدي عن ابن أخي الزهري عن عروة عن المسور بن مخرمة. وقد ساقه الواقدي بهذا الإسناد مطولاً. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما إجراء «قَعَدَ» مجرى «صار» فقال بعض أصحابنا إنما جاء ذلك في لفظة واحدة شاذة في المثل في قولهم: «شَحَذَ شَفْرَته حتى قَعَدَتْ كأنها حَرْبة»، وكذلك نَقَد على الزمخشري تخريجه قوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ بمعنى: فتصير، لأنه لا يطرد إجراء قَعَد مجرى صار» قلت: وهذا الذي ذكره الزمخشري صحيح من كون «قعد» يكون بمعنى صار في غير ما أشار إليه هذا القائل، حكى أبو عمر الزاهد عن ابن الأعرابي أن العرب تقول: «قعد فلان أميراً بعد أن كان مأموراً» أي صار. ثم قال الشيخ: «وأما إجراء «قام» مجرى «صار» فلا أعلم أحداً عَدّها في أخوات «كان»، ولا جعلها بمعنى صار، إلا ابن هشام الخضراوي فإنه ذَكَر في قول الشاعر:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتِمُني لَئِيمٌ ... كخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ

قلت: وغيره من النحويين يجعلها زائدة، وهو شاذ أيضاً. انتهى. الدر المصون.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا غير محرر، لأن العامل لا يكون مركباً من وصفين، فتحريره أن يقال: عمل فيه معنى سميع أو عليم، وتكون المسألة من التنازع». قلت: لم يُرِدِ الزمخشري بذلك إلا ما ذكرته من إرادة التنازع، ويصْدُق أن يقول: عمل فيه هذا وهذا بالمعنى =

من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وهما الجناحان. خرج رسول الله ﷺ في ألف، وقيل: في تسعمائة وخمسين، والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا، فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس، وقال: يا قوم، علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم، فقال عبد الله: لو نعلم قتالا لاتبعناكم، فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ (٢٨٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنه: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا، والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع، ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه، كما قال عمرو بن الأطنابة [من الوافر]:

أَقُولُ لَهَا إِذَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ: مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي[1]

---

٢٨٤ ـ ذكره ابن هشام في سيرته (٣/٨)، حديث (١٠٨٥)، في غزوة أحد من قول ابن إسحاق في كلام طويل، وتقدم بعضه في الحديث السابق.
ـ وذكر البغوي في تفسيره (١/٣٤٧)، رقم (١٢٢) نحوه.
وكذا ذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/١٢١)، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هو الذي قبله، وذكره ابن هشام في تهذيب السيرة بتمامه عن ابن إسحاق. انتهى.

---

= المذكور لا أنهما عمِلا فيه معاً، على أنه لو قيل به لم يكن مبتدعاً قولاً، إذ الفراء يرى ذلك، ويقول في نحو: «ضربت وأكرمت زيداً» إنّ «زيداً» منصوبٌ بهما وإنهما تسلّطا عليه معاً، انتهى. الدر المصون.

(١) أبت لي عفتي وأبى تلادي وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت: مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح

لعمرو بن الأطنابة وهي أمه، وأبوه يزيد بن مناة بن ثعلبة من باهلة. والتلاد: المال القديم الموروث. ويروي بلائي أي بأسي في الحروب. واستعار الثمن لما يبذله في المكارم على طريق التصريح. والربيح: الزائد. والإقحام: تكليف الدخول في المكروه. ويروى: وإقدامي. ويروى «وأضرب» بدل «ضربي» وفيه دلالة على تجدد الضرب وإبرازه في صورة إلى أمر المشاهد وهو من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح، ويحتمل أنها جملة حالية والتقدير: وأنا أضرب. والهامة أعلى الرأس. والمشيح: الجاد في القتال، من أشاح إذا جد واجتهد. وجشأت: تحركت واضطربت، وجاشت: غلت وارتفعت، وكل شيء يغلي فهو يجيش. ومكانك: اسم فعل. أي الزمي يا نفس مكانك، يحمدك الناس إن ظفرت، أو تستريحي إن مت. ولأدفع: متعلق بالقول أو باسم الفعل أو بأبت لي، أي منعتني عفتي وما عطف عليها من الفرار. وإسناد الفعل لذلك مجاز عقلي من الإسناد للسبب. وشبه سلامة العرض من الطعن بسلامة البيضة مثلاً من الكسر فاستعار لها =

حتى قال معاوية: عليكم بحفظ الشعر، فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين، فما ثبت مني إلا قول عمرو بن الأطنابة، ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية، والله تعالى يقول: ، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ويجوز أن يراد: والله ناصرهما ومتولي أمرهما، فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت، فمامعنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية: والله ما يَسُرُّنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا؟. قلت: معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية، وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها ـ لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم ـ كانت سبباً لنزولهما، والفشل: الجبن والخور، وقرأ عبد الله: «والله وليهم» كقوله ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

أمرهم بألا يتوكلوا إلا عليه، ولا يفوّضوا أمورهم إلا إليه، ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حالة قلة وذلة، والأذلة: جمع قلة والذلان جمع الكثرة، وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد، وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر، وكان عدوّهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشَّكَّة والشَّوْكة[1]، وبدر: اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الثبات مع رسوله، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: بتقواكم ما أنعم به عليكم من

---

= الصحة على طريق التصريح.

ينظر: إنباه الرواة ٣/ ٢٨١، وحماسة البحتري ص ٩، والحيوان ٦/ ٤٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٩٥، وخزانة الأدب ٢/ ٤٢٨، والدرر ٤/ ٨٤، وديوان المعاني ١/ ١١٤، وسمط اللآلي ص ٥٧٤، وشرح التصريح ٢/ ٢٤٣، وشرح شواهد المغني ص ٥٤٦، ومجالس ثعلب ص ٨٣، والمقاصد النحوية ٤/ ٤١٥، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ١٨٩، والخصائص ٣/ ٣٥، وشرح الأشموني ٣/ ٥٦٩، وشرح شذور الذهب ص ٤٤٧، وشرح قطر الندى ص ١١٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٧٤، ولسان العرب (جشأ)، ومغني اللبيب ١/ ٢٠٣، والمقرب ١/ ٢٧٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٣.

(١) قوله: «والشكة والشوكة» في الصحاح: الشكة ـ بالكسر ـ السلاح. والشوكة: شدة البأس. (ع)

نصرته. أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها، فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له، ﴿إِذْ تَقُولُ﴾: ظرف لنصركم، على أن يقول لهم ذلك يوم بدر، أو بدل ثان من، ﴿إِذْ غَدَوْتَ﴾: على أن يقوله لهم يوم أحد. فإن قلت: كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة؟ قلت: قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى [عليهم]، فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا، حيث خالفوا أمر رسول الله ﷺ، فلذلك لم تنزل الملائكة؛ ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت، وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله، ومعنى، ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾: إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة، وإنما جيء بـ «لن» الذي هو لتأكيد النفي، للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوّهم وشوكته كالآيسين من النصر، و﴿بَلَىٰ﴾: إيجاب لما بعد «لن»، بمعنى: بل يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية ثم قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾: يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسوّمين للقتال، ﴿وَيَأْتُوكُم﴾: يعني المشركين، ﴿مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: من قولك: قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى، وجاء فلان ورجع من فوره، ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله: الأمر على الفور لا على التراخي، وهو مصدر من: فارت القدر، إذا غلت، فاستعير للسرعة، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ـ ولا تعريج على شيء من صاحبها؛ فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته، لم يلبث، والمعنى: أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾: بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم، يريد: أنّ الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم، وقرىء: «منزلين» بالتشديد. «ومنزلين» بكسر الزاي، بمعنى: منزلين النصر، و﴿مُسَوِّمِينَ﴾: بفتح الواو وكسرها. بمعنى: معلمين، ومعلمين أنفسهم أو خيلهم. قال الكلبي: معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم، وعن الضحاك: معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها (٢٨٥)، وعن مجاهد: مجزوزة أذناب خيلهم (٢٨٦)، وعن قتادة: كانوا على خيل بلق (٢٨٧)، وعن عروة بن الزبير: كانت عمامة

---

٢٨٥ ـ أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣/ ١٠٨٩)، رقم (٥٢٤)، من طريق أبي معاوية عن جويبر عن الضحّاك.

٢٨٦ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٧) رقم (٧٧٧٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد في قوله: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ قال: مجزوزة أذنابها، وأعراقها فيها الصّوف أو العهن، فذلك التسويم.
وأخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٢٧)، رقم (١٣٧٢)، من طريق شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ١٢٥) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

٢٨٧ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٧)، من طريق بشر قال: حدّثنا يزيد قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة: فذكره، رقم (٧٧٨٠).

الزبير يوم بدر صفراء، فنزلت الملائكة كذلك (٢٨٨)، وعن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «تسوّموا فإنّ الملائكة قد تسوّمت» (٢٨٩)، ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾: الهاء لـ «أن يمدكم». أي: وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة، ويربط به على قلوب المجاهدين، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: الذي لا يغالب في حكمه، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة، ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر، وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة، ﴿فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾: غير ظافرين بمبتغاهم، ونحوه ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ [الأحزاب: ٢٥] ويقال: كبته، بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة، وقيل في قول أبي الطيب [من الوافر]:

ـ لأَكْبِتَ حَاسِداً وَأرِى عَدُوّا ........................(١)

---

٢٨٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣١) من طريق معمر عن قتادة قال: أخبرني عروة عن أبيه... فذكره.

٢٨٩ ـ رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٥٤)، في كتاب المغازي، باب: غزوة بدر، من طريق ابن عون عن عمير بن إسحاق. قال: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت» قال: فهو أول يوم وضع الصفوف. انتهى.

ـ وعزاه ابن أبي شيبة لإبراهيم الحربي، في كتابه غريب الحديث.

ـ وأخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ١٨٦)، حديث (٧٧٧٦) من نفس الطريق السابق قال: إن أول ما كان الصوف ليومئذ ـ يعني يوم بدر... فذكره.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٠) للواقدي في كتاب المغازي من طريق عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. حدّثنا أبو أمامة عن ابن عون. عن ابن عمير، وابن إسحاق بهذا. وهو مرسل وزاد: قال «فهو أول يوم وضع فيه الصّوف» ورواه الطبري من وجه آخر عن ابن عون به. وقال الواقدي: حدّثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر. عن محمود بن لبيد فذكره. قال: فأعلموا بالصوف في مغافرهم» ولم يذكر الزيادة. ورواه ابن سعد من طرق في قصة «وفيه: فقال لأصحابه يومئذ: «تسوموا فإن الملائكة قد تسومت». قال: «فأعلموا بالصّوف في مغافرهم وقلانسهم». انتهى.

---

(١) رويدك أيها الملك الجليل ... تأن وعده مما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلاً ... فما فيما تجود به قليل
لأكبت حاسداً وأرى عدواً ... كأنهما وداعك والرحيل =

هومن الكبد والرئة، واللام متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أو بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾: عطف على ما قبله.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

و﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾: اعتراض، والمعنى: أنّ الله مالك أمرهم، فإما يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا على الكفر، وليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم، وقيل: إنّ، ﴿يَتُوبَ﴾: منصوب بإضمار «أن» و «وأن يتوب» في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء، أي: ليس لك من أمرهم شيء، أو من التوبة عليهم، أو من تعذيبهم. أو ليس لك من أمرهم شيء، أو التوبة عليهم، أو تعذيبهم، وقيل «أو» بمعنى «إلا أن» كقولك: لألزمنك أو تعطيني حقي، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم، أو يعذبهم فتتشفى منهم، وقيل: شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته، فجعل يمسح الدم عن وجهه، وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم، وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم، فنزلت (٢٩٠)، وقيل: أراد أن

---

٢٩٠ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣١)، من طريق معمر عن قتادة به.
ومن طريق عبد الرزاق، رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٩٨) حديث (٧٨١٥).
ـ وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٥)، في غزوة أحد، أخبرنا محمد بن حميد العبدي، عن معمر، عن قتادة... فذكره.
ـ والحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما.
● منها ما رواه البخاري (٨/ ١٢٢)، حديث (٤٠٧٥) من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد الساعديّ، والحديث ليس فيه ذكر عتبة بن أبي وقاص، ولا سالم مولى حذيفة.
● ومنها ما أخرجه مسلم (٦/ ٣٨٨)، حديث (١٠٤) من طريق ثابت عن أنس. وحديث أنس انفرد =

---

= لأبي الطيب. يقول: تمهل يا أيها الملك عن السفر، واجعل ذلك التأني مما تحسن به إلينا، وجودك علينا بالإقامة، ولو كانت قليلة عندك أو في ذاتها فهي كثيرة عندنا، فإنه ليس فيما تجود به قليل. وقوله: «لأكبت» متعلق بتأن. وأصله: لأكبد، قلبت الدال تاء لقرب مخرجيهما، أي لأصيب كبد الحاسد بالغيظ. وأرى: أي أصيب رئة العدو به أيضاً، كأنهما: أي الحاسد والعدو، شبه الأول بالوداع، والثاني بالرحيل، في أن كلا يحزنه. وخص الثاني بالثاني، لأنه أشد كراهة، وفيه لف ونشر مرتب، وهو حسن.
ينظر: ديوانه: ٣/ ١٣٦، وتاج العروس: (كبت).

يدعو الله عليهم فنهاه الله تعالى، لعلمه أن فيهم من يؤمن، وعن الحسن، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: بالتوبة[1]، ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين[2]، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب، وعن عطاء: يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالماً. وإتباعه قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: تفسير بين لمن يشاء، وأنهم المتوب عليهم، أو الظالمون، ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامُون ويتعامون[3] عن آيات

---

= به مسلم، وقد علّقه البخاري.

ـ والنّسائي في تفسيره (١/ ٣٢٧) حديث (٩٧) من طريق حميد عن أنس.

ـ والبيهقي في دلائل النبوة باب: غزوة أحد، من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري قال: رمى يومئذ رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة يقال له: عبد الله بن قمئة، ويقال: بل رماه عتبة بن أبي وقاص، ثم أسند إلى مقسم.

قال: دعا النبي ـ ﷺ ـ فذكره.

ـ وابن هشام في سيرته (٣/ ٣١)، حديث (١١٢١)، من حديث أبي سعيد الخدري بنحو حديث البيهقي في الدلائل.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عكرمة وقتادة ومقسم، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه الطبري. أخبرنا معمر عن قتادة أنّ عتبة. فذكره من طريق معمر أخرجه ابن سعد سواء. والحديث في الصّحيحين من حديث سهل بن سعد «كسرت رباعية النبي ـ ﷺ ـ يوم أحد وشُجّ رأسه. فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيّهم. وهو يدعوهم إلى الله؟ فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال: وكانت فاطمة تغسل الدم عن وجهه ـ الحديث» وسيأتي قريباً أن الذي شجّه عبد الله بن قمئة. وقال الواقدي: المثبت عندنا أنّ الذي رمى وجه النبي ـ ﷺ ـ عبد الله بن قمئة: والذي رمى شفته وأصاب رباعيته. عتبة بن أبي وقاص. وفي السيرة لابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أنّ عتبة بن أبي وقّاص رمى رسول الله ـ ﷺ ـ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى. وجرح شفته السفلى. وأن عبد الله بن شهاب شجّه في وجهه، وأنّ ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ـ ﷺ ـ في حفرة من الحفر فأخذ عليٌّ بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائماً ومصّ مالك بن سنان أبو أبي سعد الدم عن وجه النبي ـ ﷺ ـ ثم ازدرده. فقال النبي ـ ﷺ ـ: من مسّ دمه دمي لم تصبه النار. انتهى.

---

(١) قال محمود: «معناه يغفر لمن يشاء بالتوبة. . .الخ» قال أحمد: هذه الآية واردة في الكفار. ومعتقد أهل السنة أن المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع إلى الإيمان، وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم أن المؤمن التائب من كفره هو المعني في قوله: (يغفر لمن يشاء) كما قاله الزمخشري. وأما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته إلى الموحدين، فمن التعامي والتصام حقيقة، وإلا فهو أحذق من ذلك. وأما نسبته إلى أهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء، فالله حسيبه في ذلك والسلام.

(٢) قوله: «ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين» هذا عند المعتزلة. (ع)

(٣) قوله: «ولكن أهل الأهواء والبدع يتصامون» يريد أهل السنة وتحقيق المبحث في علم التوحيد. (ع)

الله فيخبطون خبط عشواء، ويطيبون أنفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم: يهب الذنب الكبير لمن يشاء، ويعذب من يشاء على الذنب الصغير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾: نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون[1]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾: كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه، وقد أمدّ ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين برحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله، ومن تأمّل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله تعالى، وفي ذكره تعالى «لعلّ» و «عسى» في نحو هذه المواضع ـ وإن قال الناس ما قالوا ـ ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى، وصعوبة إصابة رضا الله، وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه.

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾

في مصاحف أهل المدينة والشام «سارعوا» بغير واو، وقرأ الباقون بالواو، وتنصره قراءة أبيّ وعبد الله: وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقان به، ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، أي: عرضها عرض السموات والأرض، كقوله: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] والمراد: وصفها بالسعة والبسطة،

---

(١) قوله: «للمديون» لعله المدين، أو هو لغة شاذة. (ع)

فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه، وخص العرض، لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، كقوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنه: كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض، ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر، لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير أو قليل، كما حكي عن بعض السلف: أنه ربما تصدّق ببصلة، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها تصدّقت بحبة عنب (٢٩١) أو في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرّة، لا تمنعهم حال فرح وسرور، ولا حال محنة وبلاء من المعروف، وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو في حبس، فإنه لا يدع الإحسان، وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص، ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين.

كظم القربة: إذا ملأها وشد فاها، وكظم البعير: إذا لم يجتر، ومنه كظم الغيظ، وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً، وعن النبي ﷺ: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً» (٢٩٢)، وعن عائشة رضي الله عنها: أن خادماً لها غاظها فقالت: لله درّ التقوى، ما تركت لذي غيظ شفاء.، ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه، وروي: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الذين

---

٢٩١ ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٣٥٥) رقم (٤٦٩٧)، من طريق فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل، قالت: دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبّة عنب، ثم نظرت إليّ وقالت: أتعجبين من هذا إنّ في هذا لمثاقيل كثيرة. انتهى.
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: (١/ ٢٢٤) لعبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الآنية من طريق أبي الأحوص عن إبن إسحاق بنحوه.
وكذا لابن زنجويه في كتاب الأموال من طريق الوليد بن جميع عن مولاه.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن سعد أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق عن ظبية بنت المعلل. قالت: «دخلت على عائشة فجاء سائل فأعطته حبة عنب، ثم نظرت إلىّ، وقالت: أتعجبين من هذا؟ إن هذا لمثاقيل كثيرة». انتهى.

٢٩٢ ـ أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٢٤٨)، حديث (٤٧٧٨)، كتاب: الأدب، باب: من كظم غيظاً، من طريق سويد بن وهب عن رجل من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ عن أبيه.
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٣٢) من طريق داود بن قيس عن زيد بن أسلم.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود من رواية ابن عجلان عن سويد بن وهب عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ عن أبيه. قال ابن طاهر. هذا الصّحابي هو معاذ بن أنس وابنه سهل. ورواه عبد الرزاق وأحمد عنه، والعقيلي من طريقه. قال: أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عمر له عن أبي هريرة به. وعبد الجليل مجهول.

كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا» وعن ابن عيينة: أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه (٢٩٣) وعن النبي ﷺ: «إن هؤلاء في أمّتي قليل إلا من عصم الله، وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت» (٢٩٤)، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورين، وأن تكون للعهد فتكون إشارة إلى هؤلاء، ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: عطف على المتقين. أي: أعدت للمتقين وللتائبين، وقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى الفريقين، ويجوز أن يكون و«الذين» مبتدأ خبره «أولئك»، ﴿فَٰحِشَةً﴾: فعلة متزايدة القبح، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به، وقيل: الفاحشة: الزنا، وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما، وقيل: الفاحشة: الكبيرة، وظلم النفس: الصغيرة، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه، أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾: فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين[1]، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وإنّ التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأنّ عدله يوجب المغفرة للتائب، لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو[2] والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد، وتنشيط للتوبة، وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم، والمعنى: أنه وحده معه مصححات المغفرة، وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾: ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين، وعن النبي ﷺ: «ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرّة» (٢٩٥) وروي: «لا كبيرة

---

٢٩٣ ـ ينظر البحر المحيط (٣/ ٦٣).

٢٩٤ ـ ذكره الديلمي في كتاب الفردوس (٥/ ٣٦٤)، حديث (٨١٧٠)، من طريق أنس بلفظ: «يبعث الله ـ عزّ وجلّ ـ منادياً ينادي: من كان له على الله أجر فليقم إلى أجره ذلك فليأخذه. فيقال: وما ذلك الأجر؟ قال: من ظلم في أوان الدنيا فعفا وأصلح فأجره على الله، فيقومون إلى أجرهم ذلك، وهم قليلون في أمتي كثير في الأمم».

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٦) للثعلبي من طريق مقاتل بن حيان، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ . . . فذكره. وإسناده إلى مقاتل من أول الكتاب، وفي الفردوس عن أنس نحوه في أوّل الذي قبله. انتهى.

٢٩٥ ـ الحديث رُوي من طريق أبي بكر ومن طريق ابن عباس. =

---

(١) قوله «عازمين» لعله عازمين على عدم العود. (ع)

(٢) قوله «بأقصى مما يقدر عليه وجب العفو» أما سمعاً فباتفاق، وأما عقلاً فعند المعتزلة فقط. (ع)

مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» (٢٩٦)، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معاً، والمعنى: وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح، وفي

---

= فأما حديث أبي بكر:
رواه أبو داود (٢/ ٨٤) حديث (١٥١٤) كتاب الصّلاة، باب: في الاستغفار.
والترمذي (٥/ ٥٥٨) كتاب الدعوات، حديث (٣٥٥٩) قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي نُضيرة وليس إسناده بالقوي.
وأبو يعلى في مسنده (١/ ١٢٤)، حديث (١٣٧، ١٣٨).
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٥٥)، حديث (١٤٥٩) وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٧) للبزار في مسنده، ولابن السنّي في كتابه «عمل اليوم والليلة».
وأما حديث ابن عباس:
فعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٧) للطبراني في كتاب الدّعاء من حديث ابن أبي مليكة عن ابن عباس مرفوعاً بلفظه سواء، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبزّار. من طريق عثمان بن وافد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ. قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقوي. وقال البزّار: لا نحفظه إلاّ من حديث أبي بكر بهذا الطريق. وأبو نصيرة وشيخه لا يُعرفان. قلت: له شاهد أخرجه الطبراني في الدّعاء من حديث ابن عباس. انتهى.

٢٩٦ ـ جاء هذا الحديث من طريق أبي هريرة، ومن طريق ابن عباس.
● أما حديث أبي هريرة:
فأخرجه أبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الترغيب (١/ ٢٠٩) حديث (١٨٦) (١٢)، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ليست كبيرة بكبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة بصغيرة مع الإصرار».
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٢٨) للطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول عن أبي سلمة.
أما حديث ابن عباس:
فأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٨٥٣).
فائدة:
قال الشوكاني في «إرشاد الفحول» (ص٤٧): وقد قيل إن الإصرار على الصغيرة حكمه حكم مرتكب الكبيرة وليس على هذا دليل يصلح التمسك به وإنما هي مقالة لبعض الصّوفية فإنه قال: لا صغيرة مع إصرار وقد روى بعض ما لا يعرف علم الرواية هذا اللفظ وجعله حديثاً ولا يصح ذلك بل الحق أنّ الإصرار حكمه حكم ما أصرّ عليه فالإصرار على الصّغيرة صغيرة والإصرار على الكبيرة كبيرة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق بن بشر أبو حذيفة في المبتدأ عن الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وإسحاق حديثه منكر. ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول. عن أبي سلمة. عن أبي هريرة. وزاد في آخره «فطوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً» وفي إسناده بشر بن عبد الوارث. وهو متروك. ورواه الشمار وابن شاهين في الترغيب من رواية بشر بن إبراهيم عن خليفة بن سليمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. انتهى.

هذه الآيات بيان قاطع أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات: متقون وتائبون ومصرُّون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم، دون المصرّين[1]، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه. قال: ﴿أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾: بعد قوله: ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ [آل عمران: ٨٧] لأنهما في معنى واحد، وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل، وأجر مستحق عليه، لا كما يقول المبطلون[2]، وروي أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: «ما أقلّ حياء من يطمع في جنتي بغير عمل، كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي»، وعن شهر بن حوشب: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: يقول الله تعالى يوم القيامة «جوزوا الصراط بعفوي، وادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم» وعن رابعة البصرية ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تنشد [من البسيط]:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ[3]

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: ونعم أجر العاملين ذلك. يعني المغفرة والجنات، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقائعه، كقوله: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦١ ـ ٦٢] ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ٢٣].

---

(١) قوله: «والتائبين منهم دون المصرين» يعني أن الإصرار كبيرة وفاعل الكبيرة يخلد في النار لكن هذا عند المعتزلة، وخالف أهل السنة لأنه مؤمن عندهم والمؤمن لا يخلد فيها وتحقيقه في علم التوحيد. (ع)

(٢) قوله: «وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون» يريد بهم أهل السنة حيث قالوا: لا يجب على الله شيء. (ع)

(٣) ما بال نفسك ترضي أن تدنسها ... وثوب نفسك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجرى على اليبس

للإمام على كرم الله وجهه وقيل: لأبي العتاهية، والبال الشأن والنفس. ويجوز أنها الذات والثوب على ظاهره. ويجوز أنها الروح والثوب مستعار للجسم، لأنه للروح كالثوب للبدن. أي لا ينبغي تدنيس المظروف مع تنظيف ظرفه، ويجوز أن الأولى الروح والثاني الذات، ويروى. ما بال دينك ترضي أن تدنسه. وثوب نفسك: جملة حالية، ويروى: «وثوبك الدهر مغسول». وترجو النجاة على حذف أداء الاستفهام التوبيخي، أبرزه في صورة الخبر ليصور قبحه، وشبه الأسباب الموصلة للنجاة بالطرق المسلوكة على سبيل التصريحية «ولم تسلك» ترشيح. وقوله: «إن السفينة» تمثيل لحال من يرجو أمراً ولم يأخذ في أسبابه بحال ملاح يريد تسيير السفينة على أرض صلبة لا ماء بها، وفيه تقرير التوبيخ الذي أفاده الاستفهام.
ينظر: ديوانه ص ٣٢٣، وأساس البلاغة (زرر).

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾: إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب، يعني: حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يعني أنه مع كونه بياناً وتنبيهاً للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين، ويكون قوله: ﴿هذا بيان﴾ إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرّين، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم، يعني: ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم، أي: لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا، ولا تبالوا به، ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب، لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد. أو وأنتم الأعلون شأناً، لأنّ قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر، ولأنّ قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة، أي: وأنتم الأعلون في العاقبة ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: متعلق بالنهي بمعنى: ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه. أو بالأعلون، أي: إن كنتم مصدّقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

قرىء «قرح» بفتح القاف وضمها، وهما لغتان كالضعف والضعف، وقيل: هو بالفتح الجراح، وبالضم ألمها، وقرأ أبو السَّمّال «قرح» بفتحتين، وقيل: القرح والقرح كالطرد والطرد، والمعنى: إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال. فأنتم أولى أن لا تضعفوا، ونحوه ﴿فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء: ١٠٤] وقيل: كان ذلك يوم أحد، فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ. فإن قلت: كيف قيل، ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: وماكان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟ قلت: بلى كان مثله، ولقد قتل

يومئذ خلق من الكفار. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾: تلك مبتدأ، والأيام صفته، و﴿نُدَاوِلُهَا﴾: خبره، ويجوز أن يكون ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ﴾ مبتدأ وخبراً، كما تقول: هي الأيام تبلي كل جديد، والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة، «نداولها» نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، كقوله وهو من أبيات الكتاب [من المتقارب]:

فَيَوْماً عَلَيْنَا وَيَوماً لَنَا ... وَيَوْماً نُسَاءُ وَيَوماً نُسَرّ[1]

ومن أمثال العرب: الحرب سجال، وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال: أين ابن أبي كبشة، أين ابن أبي قحافة، أين ابن الخطاب. فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا عمر. فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. فقال: إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا (٢٩٧)، والمداولة مثل المعاورة،

---

٢٩٧ ـ أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٦)، والطبراني (١٠/ ٣٦٥) رقم (١٠٧٣١).
ـ وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٠٢) حديث (١٦٤٤).
ـ والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٠)، كلّهم عن ابن عباس.
ـ وشاهد له، حديث عكرمة الذي أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٦٧) رقم (١٥٠٧).
وحديث ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٦٣)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد والحاكم والطبراني والبيهقي في الدلائل. من رواية ابن أبي الزناد عن أبيه عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يوم أحد فذكره. قلت: وأصله في الصّحيح من غير هذا الوجه بغير هذا السياق. انتهى.

---

(١) فلا وأبى الناس لا يعلمون ... فلا الخير خير ولا الشر شر
فيوم علينا ويوم لنا ... ويوم نساء ويوم نسر

للنمر بن تولب، وهو من أبيات الكتاب. و«لا» زائدة قبل القسم، لأنه في الغالب لنفي شيء. وقيل: إشارة إلى اتضاح القضية المقسم عليها وعدم احتياجها إلى قسم، لكنه إنما يظهر في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ حيث أبرز في صورة النفي المعتادة. و«الناس» مبتدأ خبره «لا يعلمون» ثم بين ذلك بقوله: فليس الخير الذي زعموا أنه خير خيراً كما زعموا. وليس الشر الذي زعموه شراً كما زعموا. أو ليس الخير خيراً دائماً، وليس الشر شراً دائماً. فيوم علينا نخذل فيه. ويوم لنا ننصر فيه، ويوم نساء فيه، ويوم نسر فيه. وروى بنصب اليوم. والمعنى: فيوماً تدور الدائرة علينا، ويوماً تكون الدولة لنا. ونساء يوماً، ونسر يوماً. وكل جملتين من هذه الجمل واقعتان موقع البيان مما قبلهما. وفي البيت الثاني: لف ونشر مرتب، وذلك حسن.
ينظر: ديوانه ص ٣٤٧، تلخيص الشواهد ص ١٩٣، حماسة البحتري ١/ ٥٦٥، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٧٤٩، همع الهوامع ١/ ١٠١، ٢/ ١٨، والدرر ١/ ٧٦، والدر المصون ١/ ٣٨٥.

وقال [من الكامل]:

تَـرِدُ الـمِـيَـاهَ فَـلاَ تَـزَالُ تَـدَاوُلاً  فِـي الـنَّـاسِ بَـيْـنَ تَـمَـثُّـلٍ وَسَـمَـاعِ[1]

يقال: داولت بينهم الشيء فتداولوه، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون المعلل محذوفاً معناه: وليتميز الثابتون على الإيمان منكم من الذين على حرف، فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل، بمعنى: فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت، وإلا فالله عز وجل لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها، وقيل: معناه وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء، وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات، والثاني أن تكون العلة محذوفة، وهذا عطف عليه، معناه: وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله[2]، وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة، ليسليهم عما جرى عليهم، وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب، ولا يشعر أنّ لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: وليكرم ناساً منكم بالشهادة، يريد المستشهدين يوم أحد. أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد، من قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: اعتراض بين بعض التعليل وبعض، ومعناه: والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله،

---

(١) فـلأهـديـن مـع الـريـاح قـصـيـدة  مـنـي مـحـبـرة إلـى الـقـعـقـاع
تـرد الـمـيـاه فـلا تـزال تـداولاً  فـي الـنـاس بـيـن تـمـثـل وسـمـاع

المحبرة: المحصنة. والقعقاع اسم الممدوح، وهو في الأصل الشيء اليابس الصلب. ترد تلك القصيدة المياه، خصها لكثرة الناس عليها وتغنيهم بالأشعار عندها، أي ترد مواضع المياه فلا تزال متداولة في الناس، أو فلا تزال ذات تداول، أو فلا تزال تتداول تداولاً بين الناس دائرة بين تمثل: أي إنشاد لها بأن يضربها الناس أمثالاً لأحوالهم، وبين استماع لها لحسنها. وروى يرد المياه فلا يزال مداولاً الخ. فذكر ضمير القصيدة لأنها بمعنى الشعر.
البيت لزهير بن علس ـ ينظر مجمع الأمثال ٢/ ١٤٣، والبحر ٣/ ٦١، والفضليات ص ٢ والدر المصون ٢/ ٢١٦.

(٢) قال السمين الحلبي: «ولم يُعَيِّنْ فاعلَ العلة المحذوفة، إنما كنى عنه بكيت وكيت، ولا يكنى عن الشيء حتى يعرف، ففي هذا الوجه حذف العلة وحذف عاملها وإبهام فاعلها فالوجه الأول أظهره، إذ ليس في غير حذف العامل» يعني بالوجه الأول أنه قدره: «وليعلم الله فعلنا ذلك» وهو المداولة أو نيل الكفار منكم.
والعلم هنا يجوز أن يتعدى لواحدٍ قالوا: لأنه بمعنى عرف، وهو مشكل لأنه لا يجوز وصف الله تعالى بذلك لما تقدم من أن المعرفة تستدعي جهلاً بالشيء، أو أنها متعلقة بالذوات دون الأحوال، ويجوز أن يكون متعدياً لاثنين، فالثاني محذوف تقديره: وليعلم الذين آمنوا مميّزين بالإيمان من غيرهم. انتهى. الدر المصون

الممحصين من الذنوب، والتمحيص: التطهير والتصفية، ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ويهلكهم. يعني: إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص، وغير ذلك مما هو أصلح لهم، وإن كانت على الكافرين، فلمحقهم ومحو آثارهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿أَمْ﴾: منقطعة[1] ومعنى الهمزة فيها الإنكار، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾: بمعنى ولما تجاهدوا، لأنّ العلم متعلق بالمعلوم[2] فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه؛ لأنه منتف بانتفائه. يقول الرجل: ما علم الله في فلان خيراً، يريد: ما فيه خير حتى يعلمه، و«لما» بمعنى لم، إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدلّ على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل، وتقول: وعدني أن يفعل كذا، ولما تريد، ولم يفعل، وأنا أتوقع فعله، وقرىء: «ولما يعلمَ اللَّهُ» بفتح الميم، وقيل: أراد النون الخفيفة ولما يعلمَن[3] فحذفها، ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع، كقولك: لا تأكل السمك وتشربَ اللبن، وقرأ الحسن بالجزم على العطف، وروى عبد الوارث عن أبي عمرو «ويعلم» بالرفع على أنّ الواو للحال، كأنه قيل: ولما تجاهدوا وأنتم صابرون.

---

(١) قوله: «أم منقطعة» هي المفسرة ببل والهمزة. (ع)

(٢) قال محمود: «ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم... الخ» قال أحمد: للتعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم خاص بعلم الله تعالى، لأنه يلزم من عدم تعلق علمه بوجود شيء ما، عدم ذلك الشيء، ضرورة أنه لا يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه، فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة، ولا كذلك علم آحاد المخلوقين، فإنه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به، لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق. والزمخشري يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقاً ويعتقد الملازمة المذكورة عامة، فلذلك قال في قول فرعون: (ما علمت لكم من إله غيري) أنه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم، لأنه من لوازمه، وسيأتي بيان أن الزمخشري وهم في هذا الموضع، وإلا فهو يحاشي عن الوقوع في مثله اعتقاداً، والله أعلم. وإنما عبر فرعون بذلك تلبيساً على ملئه وتتميماً لدعوى ألوهيته الكاذبة بأنه لا يعزب عن علمه شيء، فلو كان إله سواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة، والله الموفق.

(٣) قوله: «ولما يعلمن» لعله أي ولما يعلمن. (ع)

قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي قاله في «لمّا» أنها تدلُّ على توقُّع الفعل المنفيّ بها فيما يستقبل لا أعلم أحداً من النحويين ذكره، بل ذكروا أنك إذا قلت: «لما يخرج زيد» دَلّ ذلك على انتفاء الخروج فيما مضى متصلاً نفيه إلى وقت الإخبار، أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكنني وجدت في كلام الفراء شيئاً يقارب ما قاله الزمخشري، قال: «لَمّا» لتعريض الوجود بخلاف «لم». قلت: «والنحويون إنما فرّقوا بينهما من جهة أن المنفيّ بـ«لَمْ» هو فعلٌ غيرُ مقرون بـ«قد» «ولَمّا» نفيٌ له مقروناً بها، وقد تَدُلُّ على التوقع، فيكون كلام الزمخشري صحيحاً من هذه الجهة ويَدُلُّ على ما قلته من كون «لم» لنَفْي فعل، و«لَمّا» لنفي قد فَعَل نصّ النحاة على ذلك: سيبويه فَمَنْ دونَه. انتهى. الدر المصون.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾: خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله ﷺ ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر، وهم الذين ألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج إلى المشركين[1]، وكان رأيه في الإقامة بالمدينة، يعني: وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدّته وصعوبة مقاساته، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أي: رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا، وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت، وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ﷺ بإلحاحهم عليه، ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده. فإن قلت: كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم؟ قلت: قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير، ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن، كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء، ولا يخطر بباله أنّ فيه جرّ منفعة وإحسان إلى عدوّ الله وتنفيقا لصناعته، ولقد قال عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله[2] [من البسيط]:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمٰنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

أو طَعْنَةً بِيَدي حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تَنفُذُ الأَحْشَاءَ وَالكَبِدَا

حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثي: ... أَرْشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَد رَشَدا[3]

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه، أقبل يريد قتله فذب عنه ﷺ مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد، حتى

---

(١) قوله: «في الخروج» لعله وكان رأيهم في الخروج. (ع)

(٢) قوله: «وقيل له: ردكم الله» لعله سالمين. (ع)

(٣) لعبد الله بن رواحة حين خرج إلى غزوة مؤتة فقيل له: ردك الله سالماً، وذات فرغ: أي ولسعة الثقب. والفرغ: مصب الماء من الدلو بين العرقي. أو طعنة ذات فرغ: أي ذات سعة. ويطلق الفرغ على الدلو أيضاً. وتقذف الزبد: تمج الدم الذي يعلوه الزبد ـ أي الرغوة ـ لكثرته. وحران: عطشان إلى قتلي. وهو مجاز عن تطلبه إياه. والمجهزة: المدففة المسرعة التي لا تبقى رمقاً. وتنفذ الأحشاء: أي تنفذ فيها. وإن ضممت التاء وكسرت الفاء، فمعناه تثقبها، والكبد: عطف خاص على عام. والجدث: القبر. والتفت إلى الغسة في قوله: وقد رشد، علي أنه من كلامه، ويجوز أنه من قول الناس، ويحتمل الإخبار والدعاء، ومن غاز: تمييز.

قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ، فقال: قد قتلت محمداً، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قتل، وقيل: كان الصارخ الشيطان، ففشا في الناس خبر قتله فانكفئوا، فجعل رسول الله ﷺ يدعو: «إليّ عباد الله» حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم على هربهم، فقالوا: يا رسول الله ـ فديناك بآبائنا وأمهاتنا ـ أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين[1] فنزلت، وروي: أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد الله بن أبيّ يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان، وقال ناس من المنافقين: لو كان نبيا لما قتل، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم. فقال أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ: يا قوم، إن كان قتل محمد فإن رب محمد حيٌّ لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ، فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه. ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل، وعن بعض المهاجرين: أنه مرّ بأنصاري يتشحط في دمه، فقال: يا فلان، أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان قتل فقد بلغ، قاتلوا على دينكم، (٢٩٨) والمعنى، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

٢٩٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٢٥٤)، حديث (٧٩٤٣) من طريق محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدّي بنحوه.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٢) للواقدي، في كتاب المغازي من طريق خالد بن رباح عن الأعرج.

---

(١) قلت: هذا منتزع من عدة أخبار في وقعة أحد. قال موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب. قال: «رمى يومئذٍ رسول الله ﷺ رجل من بني الحارث يقال له عبد الله بن قمئة، ويقال: بل رماه عتبة بن أبي وقاص، وفي الطبراني عن أبي أمامة «أن رسول الله ﷺ رماه عبد الله بن قمئة بحجر يوم أحد فشجه في وجهه وكسر رباعيته، وقال: «خذها وأنا ابن قمئة، فقال له النبي ﷺ أقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة» وروى الطبري من طريق أسباط عن السدي فذكر قصة أحد. قال: «فأتى ابن قمئة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناف بن كنانة. فرمى رسول الله ﷺ بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في رأسه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل، وجعل يدعوهم إلى عباد الله. إلى عباد الله. وفشا في الناس أن محمداً قتل» الحديث، وفي المغازي لابن إسحاق ومن طريقه الطبري عن الزهري، ومحمد بن محمد بن حبان وعاصم بن عمر، وغيرهم فذكر قصة أحد. قال «ولم يزل مصعب بن عمير يقاتل دونه ومعه لواؤه حتى قتل»، وكان الذي أصابه ابن قمئة وهو يظن أنه النبي ﷺ. فرجع إلى قريش فقال: لقد قتلت محمداً. وعند الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن الأعرج قال: «لما صاح الشيطان يوم أحد إن محمداً قد قتل». قال أبو سفيان: أيكم قتل محمداً؟ قال ابن قمئة: أنا. وأما قوله: فلا مهم على هربهم إلى آخره فرواه..... قوله: أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبد الله ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، هو من رواية السدي المتقدمة ولفظه: فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي =

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: فسيخلو كما خلوا، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه، لأن الغرض من بعثة الرسل[1] تبليغ الرسالة وإلزام الحجة، لا وجوده بين أظهر قومه، ﴿أَفَإِين مَّاتَ﴾: الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أنّ خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد ﷺ، لا للانقلاب عنه. فإن قلت: لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل؟ قلت: لكونه مجوّزاً عند المخاطبين. فإن قلت: أما علموه من ناحية قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؟ قلت: هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة. ألا ترى أنهم سمعوا بخبر قتله فهربوا، على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإذلالهم، والانقلاب على الأعقاب: الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد وغيره، وقيل: الارتداد، وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم إلا ما كان من قول المنافقين، ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وإسلامه[2]، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: فما ضر إلا نفسه، لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضارّ والمنافع، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾: الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه، وسماهم شاكرين، لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا. والمعنى: أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله، فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن الله له فيه تمثيلاً، ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك، فليس له أن يقبض نفساً إلا بإذن من الله، وهو على معنيين: أحدهما: تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدوّ بإعلامهم أن الحذر لا ينفع، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله، وإن خوّض المهالك واقتحم المعارك، والثاني: ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة االعدو والتفافهم عليه وإسلام قومه له، نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل.

---

= فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان. قوله: «وقال ناس من المنافقين: لو كان نبياً ما قتل. ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم. فقال أنس بن النضر عم أنس: يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت. الحديث: هو في آخر رواية السدي المذكورة. قوله: وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل. فقال: «إن كان قد قتل فقد بلغ. فقاتلوا عن دينكم» رواه الطبري من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد «أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط» فذكره في كلام طويل.

(١) قوله: «من بعثة الرسل» لعله الرسول. (ع)

(٢) قوله: «وإسلامه» أي: تركه للعدو. (ع)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿كِتَٰبًا﴾: مصدر مؤكد، لأن المعنى: كتب الموت كتاباً، ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: موقتاً له أجل معلوم لا يتقدّم ولا يتأخر، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد، ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: أي: من ثوابها، ﴿وَسَنَجْزِى﴾: الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد، وقرىء: «يؤته»، و«سيجزي»، بالياء فيهما.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ۚ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

قرىء: «قاتل»، و«قتل» و«قتّل»، بالتشديد، والفاعل «ربيون»، أو ضمير النبي، و﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾ حال عنه بمعنى: قتل كائناً معه ربيون، والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأوّل، وعن سعيد بن جبير رحمه الله: ما سمعنا بنبيّ قتل في القتال، والربيون الربانيون، وقرىء بالحركات الثلاث، فالفتح على القياس، والضم والكسر من تغييرات النسب، وقرىء: «فما وهنوا» بكسر الهاء، والمعنى: فما وهنوا عند قتل النبي، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾: عن الجهاد بعده، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: للعدوّ، وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ، وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم. حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبيّ في طلب الأمان من أبي سفيان، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ﴾: هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين، هضما لها واستقصاراً، والدعاء بالاستغفار منها مقدّما على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدوّ، ليكون طلبهم إلى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع، وأقرب إلى الاستجابة، ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر، وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدّمه، وأنه هو المعتدّ به عنده ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: قال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم، لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين، ويقولون: لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم، وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه، وعن السدي: إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم، ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾: إلى دينهم، (٢٩٩) وقيل: هو عامّ في جميع الكفار، وإنّ على المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجرّوهم إلى موافقتهم، ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: أي: ناصركم، لا تحتاجون معه إلى نصرة أحد وولايته، وقرىء بالنصب على: بل أطيعوا الله مولاكم ﴿سنلقي﴾: قرىء بالنون والياء، والرعب ـ بسكون العين وضمها ـ قيل: قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة، وقيل: ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا: ما صنعنا شيئاً، قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن فاهرون[1] ارجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا. ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾: بسبب إشراكهم، أي: كان السبب في إلقاء الله الرّعب في قلوبهم إشراكهم به، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة. فإن قلت: كان هناك حجة[2] حتى ينزلها[3] الله فيصح لهم الإشراك؟ قلت: لم يعن

---

٢٩٩ ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٢٧٧) رقم (٨٠٠٠) من طريق أسباط عن السدّي وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٥)، رقم (١٦١١، ١٦١٣)، من نفس طريق ابن جرير.

---

(١) قوله: «فاهرون» لعله فارهون. والفاره: الحاذق بالشيء. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فإن قلت كان هناك حجة» لعله: أكان. (ع)

(٣) قال محمود: «إن قلت: كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك...الخ»؟ قال أحمد: إنما يرد هذا السؤال لو أفهم ظاهر اللفظ أن ثم حجة وليس في ظاهره ما يفهم ذلك، ولو كانت الآية كقول القائل: بما أشركوا بالله ما لم ينزل سلطانه، بإضافة السلطان إلى ما أشركوا به، لكان للسائل مقال، ولكان كقول القائل [من الطويل]:

علي لاحب لا يهتدى بمناره ..... ..... ..... .....

فإنه بإضافة المنار إليه يوهم أن فيه مناراً، فيحتاج الناظر إلى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدي به، ولو أطلق الشاعر فقال: «على لا حب لا يهتدي فيه بمنار» مثلاً، لاستغنى عن تأويل الكلام، وكذلك الآية غنية عن التأويل، والله أعلم.

أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم، لأن الشرك لا يستقيم أن يقوم عليه حجة، وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جيمعاً، كقوله [من السريع]:

. . . . . وَلاَ تَـرَى الـضَّـبَّ بِـهَـا يَـنْـجَـحِـر[1]

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَابَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ويجوز أن يكون الوعد قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم، وقيل: لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت، وذلك أنّ رسول الله ﷺ جعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل، وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ـ كانت الدولة

---

(١) لا تـفـزع الأرنـب أهـوالـهـا ولا تـرى الـضـب بـهـا يـنـجـحـر

لابن أحمر. يقول: لا تخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء، أي لا هول فيها حتى يفزعه، فما في البيت كناية عن ذلك، كقوله: ولا ترى الضب فيها يدخل جحره، أي لا ضب فيها ينجحر. و«ينجحر» حال إن كانت ترى بصرية، ومفعول ثان إن كانت علمية. ويجوز أن المعنى: لا أرنب فيها تفزعه أهوالها، كما لا ضب فيها يدخل جحره، فهما منفيان. وهذا أوفق بالمقدم

ينظر: ديوانه ص ٦٧، وأمالي المرتضى: ١/ ٢٢٩، وخزانة الأدب: ١٠/ ١٩٢ والخصائص: ٣/ ١٦٥، ٣٢١.

للمسلمين أو عليهم ـ فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم، والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم. يحسونهم أي: يقتلونهم قتلا ذريعاً. حتى إذا فشلوا، والفشل: الجبن وضعف الرأي، وتنازعوا، فقال بعضهم: قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا، وقال بعضهم: لا نخالف أمر رسول الله ﷺ، فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله: ، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾: ونفر أعقابهم ينهبون، وهم الذين أرادوا الدنيا، فكرّ المشركون على الرماة، وقتلوا عبد الله بن جبير ـ رضي الله عنه ـ، وأقبلوا على المسلمين، وحالت الريح دبوراً وكانت صباً، حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا، وهو قوله: ، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: لماعلم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان أمر رسول الله ﷺ، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: يتفضل عليهم بالعفو، أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم؛ لأنّ الابتلاء رحمة كما أنّ النصرة رحمة. فإن قلت: أين متعلق، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: قلت: محذوف تقديره: حتى إذا فشلتم منعكم نصره، ويجوز أن يكون المعنى: صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: نصب بصرفكم، أو بقوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: أو بإضمار «اذكر» والإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه. يقال: صعد في الجبل وأصعد في الأرض. يقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «تصعدون»، يعني: في الجبل، وتعضد الأولى قراءة أبي: «إذ تصعدون في الوادي»، وقرأ أبو حيوة: «تصعدون»، بفتح التاء وتشديد العين، من تصعد في السلم، وقرأ الحسن ـ رضي الله عنه ـ: «تلون»، بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها، وقرىء: «يصعدون». «ويلوون» بالياء، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾: كان يقول: «إليّ عباد الله إليّ عباد الله، أنا رسول الله، من يكرّ فله الجنة»، (٣٠٠) ﴿فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة. يقال: جئت في آخر الناس وأخراهم، كما تقول: في أوّلهم وأولاهم، بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى، ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: عطف على صرفكم، أي: فجازاكم الله، ﴿غَمًّا﴾: حين صرفكم عنهم وابتلاكم ﴿بـ﴾ ـسبب ﴿غم﴾ أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له، أو غما مضاعفاً، غما بعد غم، وغما متصلاً بغم، من

---

٣٠٠ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٠١) حديث (٨٠٤٩) من طريق سعيد عن قتادة: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾، ذاكم يوم أحد أصعدوا في الوادي فراراً، ونبيّ الله ـ ﷺ ـ يدعوهم إلى أخراهم «إليّ عباد الله، إليّ عباد الله».

ـ وذكره السيوطي في الدرّ المنثور (٢/ ١٥٤) وعزاه لعبد بن حميد في تفسيره، ولابن المنذر عن قتادة.

الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر، ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾: لتتمرنوا على تجرع الغموم، وتضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار، ويجوز أن يكون الضمير في، ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾: للرسول، أي: فآساكم في الاغتمام[1]، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم، فأثابكم غماً اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتوه لأجله، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو، وأنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم، وعن أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ: غشينا النعاس ونحن في مصافنا، فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه، ثم يسقط فيأخذه، وما أحد إلا ويميل تحت حجفته، (٣٠١) وعن [الزبير] رضي الله عنه: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد علينا

---

٣٠١ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٤٢٢) كتاب المغازي: باب ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ﴾ حديث (٤٠٦٨)، (٨/ ٧٦) كتاب التفسير: باب «أمنة نعاساً» حديث (٤٥٦٢) والترمذي (٥/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٨) وأحمد (٤/ ٢٩) وابن حبّان (٧١٨٠) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٤) رقم (٨٠٧٥، ٨٠٧٦) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٩٥ ـ ٩٦) رقم (٤٦٩٩، ٤٧٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) كلّهم من طريق قتادة عن أنس به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٧) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٥) وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) رقم (٨٠٧٤) والحاكم (٢/ ٢٩٧) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٧٢) وأبو نعيم في «الدلائل» ص(٣٦٧) كلّهم من طريق حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأخرجه ابن سعد (٣/ ٥٠٥) والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٣) رقم (٨٠٧٣) من طريق حميد عن أنس والحديث ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٥٥) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.
وللحديث شاهد من حديث الزبير بن العوام.
أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٩) كتاب التفسير: باب ومن سورة آل عمران حديث (٣٠٠٧) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير به بنحو حديث أنس.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري من رواية قتادة عن أنس به. لكن ليس في آخره «وما أحد إلاّ ويميل تحت جحفته». وهو بتمامه عند الحاكم. وكذا أخرجه الطبري من رواية ثابت عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

---

(١) قوله: «فآساكم في الاغتمام» لعله: فأساكم، أي فصار أسوتكم أفاد الصحاح. (ع)

الخوف، فأرسل الله علينا النوم، والله إني لأسمع قول معتِّب بن قشير والنعاس يغشاني: «لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا» (٣٠٢)، والأمنة: الأمن، وقرىء: «أمنة» بسكون الميم، كأنها المرة من الأمن، و، ﴿نُّعَاسًا﴾: بدل من «أمنة»، ويجوز أن يكون هو المفعول، وأمنة حالاً منه مقدمة عليه، كقولك: رأيت راكباً رجلاً، أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة، ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين، بمعنى ذوي أمنة، أو على أنه جمع آمن، كبار وبررة، ﴿يَغْشَىٰ﴾: قرىء بالياء والتاء ردا على النعاس، أو على الأمنة، ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾: هم أهل الصدق واليقين، ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾: هم المنافقون، ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول ﷺ والمسلمين، أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان، فهم في التشاكي والتباث، ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾: في حكم المصدر، ومعناه: يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به، و﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: بدل منه، ويجوز أن يكون المعنى: يظنون بالله ظن الجاهلية، وغير الحق: تأكيد ليظنون، كقولك: هذا القول غير ما تقول، وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية، كقولك: حاتم الجود، ورجل صدق: يريد الظن المختص بالملة الجاهلية، ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية، أي: لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله، ﴿يَقُولُونَ﴾: لرسول الله ﷺ يسألونه، ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾: معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط، يعنون النصر والإظهار على العدو، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣]، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: معناه: يقولون لك فيما يظهرون: هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق، يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾: أي: لو كان الأمر كما قال محمد: إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون، لما غلبنا قط، ولما قتل من المسلمين من قتل في

---

٣٠٢ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٠)، رقم (١٦٩٧).
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٣٢٣)، رقم (٨٠٩٤).
ـ وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٦٨).
ـ والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٣).
كلّهم من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه بن إسحاق في المغازي حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبيد الله بن الزّبير عن أبيه عن عبيد الله بن الزّبير عن أبيه به. أخرجه إسحاق والبزّار والطبري وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي. كلّهم من طريقه. انتهى.

هذه المعركة، ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم، ﴿لَبَرَزَ﴾: من بينكم، ﴿ٱلَّذِينَ﴾: علم الله أنهم يقتلون، ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: وهي مصارعهم ليكون ما علم الله أنه يكون، والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين، وكتب مع ذلك أنهم الغالبون، لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم، وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله، وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة، وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة، وقيل: معناه هل لنا من التدبير من شيء، يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد، وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبيّ وغيره، ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما قتلنا في هذه المعركة، قل: إن التدبير كله لله، يريد أن الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى، ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم، وقرىء: «كتب عليهم القتال». «وكتب عليهم القتل»، على البناء للفاعل، ولبرِّز، بالتشديد وضم الباء، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ﴾: وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص، ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان. فعل ذلك أو فعل لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص. فإن قلت: كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة؟ قلت:، ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾: صفة لطائفة و﴿يَظُنُّونَ﴾: صفة أخرى أو حال بمعنى: قد أهمتهم أنفسهم ظانين. أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها، و﴿يَقُولُونَ﴾: بدل من يظنون. فإن قلت: كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلاً من الإخبار بالظن؟[1] قلت: كانت مسألتهم صادرة عن الظنّ، فلذلك جاز إبداله منه، ويخفون حال من يقولون، و﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] اعتراض بين الحال وذوي الحال، و﴿يَقُولُونَ﴾: بدل من، ﴿يُخْفُونَ﴾: والأجود أن يكون استئنافاً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف صح أن يقع ما هو مسألة عن الأمر. . .الخ»؟ قال أحمد: ويلاحظ هذا النظر في قوله تعالى عن الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية فإن هذا السؤال استفهام، والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه، ومع ذلك ورد قوله تعالى في خطابهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعني في قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها. فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الإخبار بأن هذا النوع الإنساني ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء، إلا من عصمه الله تعالى منهم، والله أعلم.

﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: طلب منهم الزلل ودعاهم إليه، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: من ذنوبهم ومعناه: إنّ الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوباً، فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا، وقيل: استزلال الشيطان إياهم هو التولي، وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت لهم، لأنّ الذنب يجرّ إلى الذنب، كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفاً فيها، وقال الحسن ـ رضي الله عنه ـ: استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة، وقيل: ، ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: هو تركهم المركز الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالثبات فيه. فجرّهم ذلك إلى الهزيمة (٣٠٣) وقيل: ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها، فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية. فإن قلت: لم قيل: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: ؟ قلت: هو كقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب، ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: أي: لأجل إخوانهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ومعنى الأخوّة: اتفاق الجنس أو النسب، ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: جمع غاز، كعاف وعفى، كقوله: عفى الحياض أجون[1]، وقرىء بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة. فإن قلت: كيف قيل: ، ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾: مع، ﴿قَالُوا۟﴾: ؟ قلت: هو على حكاية الحال الماضية، كقولك: حين يضربون في الأرض فإن قلت: ما متعلق «ليجعل»؟ قلت: «قالوا»، أي: «قالوا» ذلك واعتقدوه ليكون، ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: على أنّ اللام مثلها في

---

٣٠٣ ـ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٤)، رقم (١٧١٢) من طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ . . .﴾ يعني حين تركوا المركز وعصوا أمر رسول الله ـ ﷺ ـ حين قال للرماة يوم أحد: «لا تبرحوا مكانكم» فترك بعضهم المركز.

---

(١) قوله: «وعفى كقوله: عفى الحياض أجون» في الصحاح: العفي ـ جمع عاف ـ وهو الدارس. والآجن: الماء المتغير الطعم واللون. وأجن الماء يأجن ويأجن أجناً وأجوناً اهـ. وجمع الآجن على أجون، كالراكع على ركوع، والشاهد على شهود. (ع)

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] أو لا تكونوا، بمعنى: لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده، ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم. فإن قلت: ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى؟ قلت: معناه أنّ الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم، ويضيق صدورهم عقوبة، فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه النهى، أي: لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم، لأنّ مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادّتهم مما يغمهم ويغيظهم ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ردٌّ لقولهم. أي: الأمر بيده، قد يحيي المسافر والغازي، ويميت المقيم والقاعد كما يشاء، وعن خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال عند موته: مافيّ موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة، وها أناذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء، (٣٠٤) ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فلا تكونوا مثلهم، وقرئ بالياء، يعني الذين كفروا، ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾: جواب القسم، وهو ساد مسدّ جواب الشرط، وكذلك، ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: كذب الكافرين أوّلاً في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان في المدينة لما مات، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد، ثم قال لهم: ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله، فإنّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خير من طلاع الأرض ذهبة[1] حمراء، وقرئ بالياء، أي: يجمع الكفار، ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: لإلى الله الرحيم الواسع الرحمة، المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي. قرئ: «متم» بضم الميم وكسرها، من مات يموت ومات يمات.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

---

٣٠٤ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٣) للواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، وقال: راجع البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٢٦).

---

(١) قوله: «خير من طلاع الأرض ذهبة» في الصحاح: طلاع الأرض: ملؤها. والذهبة. القطعة من الذهب. (ع)

«ما» مزيدة للتوكيد والدلالة على أنّ لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ونحوه ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] ومعنى الرحمة: ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى أثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا أمره وانهزموا وتركوه، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: جافياً، ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: قاسيه، ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾: لتفرّقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم، ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: فيما يختص بك، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: يعني في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من أقدارهم، وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستنّ به من بعده، (٣٠٥) وعن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ «ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم» (٣٠٦) وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب الرسول ﷺ، (٣٠٧) وقيل: كان سادات العرب إذا لم يشاوروا

---

٣٠٥ ـ أخرجه ابن أبي حاتم (٢/ ٦٣٢) رقم (١٧٤٥) من طريق ابن شبرمة عن الحسن به.

٣٠٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٤): غريب، ولم أجده إلاّ من قول الحسن، ولم يروه الطبري إلاّ من قول الحسن، وقد ذكره المصنّف في سورة الشورى، من قول الحسن.
قلت: وأما قول الحسن فقد أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٤٤) رقم (٨١٣٠) من طريق إياس بن دغفل عن الحسن به، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أعاده في تفسير سورة الشورى عن الحسن قوله وهو المحفوظ. ومن طريقه أخرجه الطبري. انتهى.

٣٠٧ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٤): هكذا وجدته في عدة نسخ وصوابه: ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ـ ﷺ ـ.
ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (١١/ ٢١٦)، رقم (٤٨٧٢)، من طريق عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ولفظه «خرج رسول الله ـ ﷺ ـ زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه... الحديث بطوله. وهو حديث الفتح.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنّفه (٥/ ٣٣٠) رقم (٩٧٢٠).
ـ وأحمد (٤/ ٣٢٨).
وأشار إليه الترمذي (٤/ ٢١٣ ـ ٢١٤)، رقم (١٧١٤).
ـ والبيهقي في المعرفة (٧/ ٣٥٨) رقم (٥٨٦٢)، كتاب أدب القاضي، من طريق ابن عيينة عن الزهري.
وقد قال عنه الزيلعي: كأنّ فيه انقطاعاً بين الزهري وأبي هريرة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: هذا فيه تحريف. والصّواب من رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه، كذلك أخرجه الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عنه وهو منقطع وهو مختصر من الحديث الطويل في قصة الحديبية وغزوة الفتح، أخرجه ابن حبّان من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان. وفيه قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول. فذكره. وكذا أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه وعند أحمد وإسحاق. وقد أشار إليه الترمذي في آخر الجهاد فقال: ويُروى عن أبي هريرة فذكره. انتهى.

في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله ﷺ بمشاورة أصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم، وقرىء: «وشاورهم في بعض الأمر»، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح، فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله، لا أنت ولا من تشاور، وقرىء: «فإذا عزمت» بضم التاء، بمعنى فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل عليّ ولا تشاور بعد ذلك أحداً.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: كما خذلكم يوم أحد، ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾: فهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه، ونحوه ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد خذلانه. أو هو من قولك: ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان؛ تريد إذا جاوزته، وقرأ عبيد بن عمير: «وإن يخذلكم»، من أخذله إذا جعله مخذولاً، وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد، وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه، ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه. يقال: غلّ شيئاً من المغنم غلولاً وأغلّ إغلالاً: إذا أخذه في خفية. يقال: أغلّ الجازر، إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد، والغل: الحقد الكامن في الصدر، ومنه قوله ﷺ: «من بعثناه على عمل فغلّ شيئاً جاء يوم القيامة يحمله على عنقه» (٣٠٨)

---

٣٠٨ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٥): غريب.

ـ قلت: أخرجه الطبري (٧/ ٣٥٩) رقم (٨١٥٩)، من طريق أبي حميد الساعديّ.

ـ وقد أخرج ابن ماجه هذا الحديث بمعناه (١/ ٥٧٩) حديث (١٨١٠) كتاب الزكاة، باب: ما جاء في عُمّال الصدقة، من طريق عبد الله بن أنيس.

أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٠)، حديث (٦٦٣٦).

كتاب الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ـ ﷺ ـ؟ من طريق عروة عن أبي حميد الساعديّ «أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله. الحديث: وفيه، فوالذي نفس محمد بيده لا يعمل أحدكم شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه» قلت: ولفظ ابن ماجه أقرب إلى حديث المصنّف.

ـ ومسلم (٦/ ٤٥٩) رقم (٢٦) ـ (١٨٣٢) من نفس طريق البخاري. =

وقوله ﷺ: «هدايا الولاة غلول» (٣٠٩) وعنه: «ليس على المستعير غير المغل ضمان»

---

= ـ والبيهقي (١٠/ ١٣٨)، كتاب آداب القاضي، باب: لا يقبل منه هدية.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن أنيس. أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يوماً الصّدقة فقال عمر «ألم تسمع رسول الله ـ ﷺ ـ حين ذكر غلول الصّدقة: أنه من غلّ بعيراً أو شاة أتى به يوم القيامة فقال له عبد الله بن أنيس: بلى» وفي الصّحيحين عن أبي حميد الساعديّ «أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله. الحديث: وفيه، فوالذي نفس محمد بيده لا يعمل أحدكم شيئاً إلاّ جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه. انتهى.

٣٠٩ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦): غريب بلفظ الولاة والحديث رُوي من حديث أبي حميد، وأبي هريرة، وجابر وابن عباس.

● أما حديث أبي حميد:
فرواه أحمد (٥/ ٤٢٤) بلفظ (هدايا العمّال غلول) والبزّار (٢/ ٢٣٦)، حديث (١٥٩٩)، كتاب الإمارة، باب: في هدايا الأمراء، وابن عديّ (١/ ١٧٣).
والبيهقي مرفوعاً (١٠/ ١٣٨)، كتاب آداب القاضي، باب: لا يقبل منه هدية.
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٤)، باب: هدايا الأمراء.
وكذا ابن حجر في التلخيص (٤/ ٣٤٨)، حديث (٢٥٨٩)، وقال: إسناده ضعيف. وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦): إن ابن عديّ عدّه من منكرات إسماعيل بن عياش، وابن عياش ضعيف في روايته عن الحجازين.

● وأما حديث أبي هريرة:
فأخرجه الطبراني في الأوسط كما في «مجمع البحرين» (٤/ ٩٤) رقم (٢١٥١).
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٦) لابن عديّ في الكامل.

● وأما حديث جابر:
فأخرجه البزّار (٢/ ٢٣٧)، حديث (١٦٠٠)، وقال: قال البزّار: لا نعلمه عن جابر إلاّ بهذا الإسناد.
ـ وابن عبد البر في التمهيد (٢/ ١٠).
ـ وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٠).
ـ وعبد الرزاق في مصنّفه (٨/ ١٤٧) حديث (١٤٦٦٥)، باب: الهدية للأمراء والذي يشفع عنده.
وذكره الهيثمي في المجمع (٤/ ١٥٤)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، من طريق أبي نضرة عن جابر.

● وأما حديث ابن عباس:
فعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٧) لابن الجوزي في كتاب التحقيق، من طريق يحيى بن نعيم عن ابن عباس، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: رواه أحمد، والبزّار، والطبراني من حديث أبي حميد السّاعديّ بلفظ «هدايا العمّال» وهو من رواية إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن عروة عنه. قال البزّار: أخطأ فيه إسماعيل سنداً ومتناً. وإنما أراد حديث الزهري عن عروة، عن أبي حميد باللفظ الماضي. وكذا عدّه ابن عديّ في منكرات إسماعيل بن =

(٣١٠) وعنه: «لا إغلال ولا إسلال» (٣١١) ويقال: أغله إذا وجده غالا، كقولك: أبخلته وأفحمته[1] ومعنى، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: وما صحّ له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول، وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى معنى الأوّل، لأن معناه: وما صح له أن يوجد غالاً، ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالاً، وفيه وجهان: أحدهما: أن يبرأ

---

= عياش. وقال عبد الرزاق: حدّثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي عياش عن أبي نصيرة عن جابر بلفظ: «الهدايا للأمراء غلول» رواه إسحاق أخبرنا وكيع حدّثنا سفيان عمّن حدّثه عن أبي نضرة به. قال البزّار: أبان متروك. ثم ساقه من رواية قيس بن الربيع عن ليث بن أبي سليم. عن عطاء عن جابر به. وأخرجه ابن عديّ في ترجمة أحمد بن معاوية الباهلي من روايته عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وقال: هذا حديث باطل، وذكر الطبراني في الأوسط، أنّ أحمد بن معاوية تفرّد به. انتهى.

٣١٠ ـ أخرجه البيهقي (٦/ ٩١) كتاب: العارية، باب: من قال لا يغرم من حديث أيوب، وقتادة وحبيب ويونس عن ابن سيرين أنّ شريحاً قال: ليس على المستودع غير المغل ضمان ولا على المستعير غير المغل ضمان قال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن شريح القاضي، ورواه عمرو بن عبد الجبار عن عبيدة بن حسان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبي ـ ﷺ ـ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه وزاد «وليس على المستودع غير المغل ضمان» قال البيهقي: هذا ضعيف والمحفوظ أنه قول شريح. انتهى.

٣١١ ـ رُوي من حديث المسور ومروان، ومن حديث عمرو بن عوف، ومن حديث سلمة بن الأكوع.

فأما حديث مسور ومروان.

فأخرجه أبو داود (٣/ ٨٦)، رقم (٢٧٦٦)، كتاب الجهاد، باب: في صلح العدو، بلفظ «أنهم اصطلحوا على وضع الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، وعلى أن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأحمد (٤/ ٣٢٣).

وأما حديث عمرو بن عوف: فرواه الدارمي في مسنده (٢/ ٢٣١) باب: في الغال إذا جاء بما غلّ به.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٨) لابن عديّ في كامله، وقال: إن ابن عديّ أغلظ القول في كثير بن عبد الله، نقلاً عن النّسائي وأحمد وابن معين.

وأما حديث سلمة، فقد عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٣٨) لإبراهيم الحربي في كتاب غريب الحديث، ولابن زنجويه في كتاب الأموال وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود وأحمد من رواية الزهري عن عروة عن المسور ومروان في حديث. ورواه الدارمي والطبراني وابن عديّ من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جدّه رفعه «لا نهب ولا إسلال ولا إغلال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» ورواه ابن زنجويه في الأموال، وإبراهيم الحربي في الغريب من رواية موسى بن عبيدة عن أبان بن سلمة عن أبيه. وموسى ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «كقولك أبخلته وأفحمته» في الصحاح: أفحمته: أي وجدته مفحماً لا يقول الشعر. (ع)

رسول الله ﷺ[1] من ذلك وينزه وينبه على عصمته بأن النبوّة والغلول متنافيان؟ لئلا يظن به ظانّ شيئاً منه وألا يستريب به أحد، كما روى: أنّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر. فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، (٣١٢) وروي: أنها نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله ﷺ: من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فقال لهم النبي ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألاّ تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري» فقالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال ﷺ: «بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم» (٣١٣) والثاني أن يكون مبالغة في النهي لرسول الله ﷺ على ما روي: أنه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع، (٣١٤) فنزلت.

---

٣١٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/٤٨)، رقم (٣٠٠٩)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة آل عمران.
وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى عبد السّلام بن حرب عن خصيف نحو هذا، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم، ولم يذكر فيه عن ابن عباس.
ـ والطبراني في الكبير (١١/ ٣٦٤) رقم (١٢٠٢٨، ١٢٠٢٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس موقوفاً.
ـ وأبو يعلى في مسنده (٥/ ٦٠) رقم (٣٢٤) ـ (٢٦٥١) بنحوه.
ـ والطبري في تفسيره (٧/٣٤٨)، رقم (٨١٣٦، ٨١٣٨، ٨١٣٩، ٨١٤٠).
ـ وابن أبي حاتم (٢٠/٦٣٧)، رقم (١٧٦٠).
كلهم من طرقٍ مختلفة عن ابن عباس.
وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٣٩): إن ابن عديّ في الكامل أعلّ هذا الحديث بخصيف، وضعّفه ابن معين، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث خصيف عن مقسم عن ابن عباس بلفظ: فقال بعض الناس، وقال حسن. قال: ورُوي عن مقسم ولم يذكر ابن عباس ورواه الطبراني وأبو يعلى وابن عديّ والطبري والواحدي كلّهم من هذا الوجه. وأعلّه ابن عديّ بخصيف. انتهى.
٣١٣ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٣٩) للثعلبي، وللواحدي في أسباب النزول، من طريق الكلبي ومقاتل، قال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي في أسبابه عن الكلبي ومقاتل قال «نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز» إلخ. انتهى.
٣١٤ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٢٤٠) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير الطبري =

---

(١) قال محمود: «فيه توجيهان: أحدهما: أن يكون ذلك تنزيهاً لرسول الله ﷺ. . .الخ» قال أحمد رحمه الله: حمل الآية على الوجه الثاني يشهد له ورود هذه الصيغة كثيراً في النهي في أمثال قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، إلى غير ذلك، على أن الزمخشري حاف في العبارة إذ يقول: عبر عن الحرمان بالغلول تغليظاً وتقبيحاً وما كان له أن يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة، فإن عادة لطف الله تعالى برسوله ﷺ في التأديب أن يكون ممزوجاً بغاية التخفيف والتعطف. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ قال بعض العلماء: بدأه بالعفو قبل العتب. ولو لم يبدأه بالعفو لا نفطر قلبه ﷺ.

يعني: وما كان لنبيّ أن يعطي قوماً ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بالسوية، وسمى حرمان بعض الغزاة «غلولا» تغليظاً وتقبيحاً لصورة الأمر، ولو قرىء: «أن يغل» من أغل بمعنى غل، لجاز، ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث: «جاء يوم القيامة يحمله على عنقه» [1] (٣١٥) وروي: «ألا لا أعرفنّ أحدكم يأتي[2] ببعير له رغاء، وببقرة لها خوار، وبشاة لها ثغاء، فينادي يا محمد، يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً فقد بلغتك» (٣١٦) وعن بعض جفاة العرب أنه سرق نافجة مسك، فتليت عليه الآية فقال: إذاً أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل، ويجوز أن يراد يأتي بما احتمل من وباله وتبعته وإثمه فإن قلت: هلا قيل: ثم يوفى ما كسب، ليتصل به؟ قلت: جيء بعامّ دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزي فموفى جزاءه،

---

= والواحدي في أسباب النزول. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة. حدّثنا وكيع حدّثنا سلمة بن نبيط. عن الضحّاك، فذكره به وأتمّ منه. وأخرجه الطبري والواحدي في أسبابه. انتهى.

٣١٥ ـ تقدم برقم (٣٠٨).

٣١٦ ـ أخرجه البزّار (١/ ٤٢٦ ـ كشف) رقم (٩٠٠) وأبو يعلى كما في تخريج الكشاف (١/ ٢٤١) كلاهما من طريق يعقوب بن عبد الله القمي ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب به.

وقال البزّار: لا نعلمه عن عمر إلاّ بهذا الإسناد وحفص لا نعلم روى عنه إلاّ القمي.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٨٨).

وقال: رواه أبو يعلى في «الكبير» والبزّار ورجال الجميع ثقات. ا.هـ.

قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢٤١): هذا حديث حسن الإسناد إلاّ أن حفص بن حميد مجهول لا أعلم روى عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي، قيل: قيل روى عنه أيضاً أشعث بن إسحاق.

وقال فيه ابن معين: صالح، ووثّقه النّسائي وابن حبّان.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: رواه علي بن المديني في العلل وأبو يعلى والطبري من رواية حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بهذا في حديث طويل، وأصله في الصّحيحين عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة بلفظ «ألا لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء... الحديث». انتهى.

---

(١) قوله: «جاء يوم القيامة يحمله على عتقه»: لعل صدره: من غل شيئاً. (ع)

(٢) قوله: «وروى: ألا لا أعرفن أحدكم يأتي، قوله: «لا أعرفن» بلفظ المنفي المؤكد بالنون، ومعناه النهي. أي لا يغل أحدكم فأعرفه. اهـ قسطلاني. (ع)

علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: يعدل بينهم في الجزاء، كلٌّ جزاؤه على قدر كسبه.

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: أي: هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله [من الوافر]:

أَنَـضْـبٌ لِـلْـمَـنِـيَّـةِ تَـعْـتَـرِيـهِـمْ رِجَـالِـي أَمْ هُـمُ دَرَجُ الـسُّـيُـولِ؟![1]

وقيل: ذوو درجات والمعنى: تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين، أو التفاوت بين الثواب والعقاب، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: عالم بأعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: على من آمن مع رسول الله ﷺ من قومه، وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه، ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: من جنسهم عربياً مثلهم، وقيل: من ولد إسماعيل كما أنه من ولده، فإن قلت: مما وجه المنة عليهم في أن كان من أنفسهم؟ قلت: إذا كان منهم كان اللسان واحداً، فسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به، وفي كونه من أنفسهم شرف لهم، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وفي قراءة رسول الله ﷺ وقراءة فاطمة ـ رضي الله عنها ـ: من «أَنْفَسِهِم»، أي: من أشرفهم. لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان، وخندف ذروة مضر، ومدركة ذروة خندف، وقريش ذروة مدركة، وذروة قريش محمد ﷺ، وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة ـ رضي الله عنها ـ وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر ـ: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضىء، معدّ وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمنا، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به

---

(١) أنشده سيبويه عن ابن هدمة، والهمزة للاستفهام، وهو من تجاهل العارف للتعجب والتحزن. والنصب: الغرض المنصوب يرمي إليه بالسهام، وهو كفلس أوفق بالوزن ويجوز أن أصله كعنق فسكن للوزن، أو ككتب فسكن كذلك. وهذا أوفق بالمعنى. وقد قيل بكل منها. وشبه رجاله به تشبيهاً بليغاً من حيث تتابع إصابة كل بالمكروه. وتعتريهم: جملة حالية. ودرج السيول: محلات انحدارها، شبههم بها لانمحاق كل شيئاً فشيئاً.
ينظر: ديوانه ص ١٨١، والأزمنة والأمكنة: ١/٣٠٧، وخزانة الأدب: ١/٤٢٤، وشرح أبيات سيبويه: ١/٢٨٤، والكتاب: ١/٤١٥، ٤١٦، ولسان العرب: (درج).

فتى من قريش إلا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، وقرىء: «لمن منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم»، وفيه وجهان: أن يراد لمن منّ الله على المؤمنين منه أو بعثه إذ بعث فيهم، فحذف لقيام الدلالة، أو يكون «إذ» في محل الرفع كـ «إذا» في قولك: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً، بمعنى لمن منّ الله على المؤمنين وقت بعثه، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾: بعد ما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث، وقيل: ويأخذ منهم الزكاة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم، ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾: من قبل بعثة الرسول، ﴿لَفِى ضَلَـٰلٍ﴾: إن هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وتقديره: وإنّ الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال، ﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر لا شبهة فيه.

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾: يريد: ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم، ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين، و﴿لَمَّا﴾ نصب بقلتم، و ﴿أَصَـٰبَتْكُم﴾: في محل الجرّ بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليه وتقديره: أقلتم حين أصابتكم، و﴿أَنَّىٰ هَـٰذَا﴾: نصب لأنه مقول، والهمزة للتقرير والتقريع. فإن قلت: علام عطفت الواو هذه الجملة؟ قلت: على ما مضى من قصة أحد من قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾: ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف، كأنه قيل: أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا، «أنى هذا»: من أين هذا. كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا﴾ [آل عمران:٣٧] لقوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾: وقوله: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]: والمعنى: أنتم السبب فيما أصابكم؛ لاختياركم الخروج من المدينة، أو

(١) قال السمين الحلبي: ورد عليه الشيخ بأن الظرف إذا وقع خبراً ألا يقدّر داخلاً عليه حرف جر غير «في»، أما أن يقدّر داخلاً عليه «من» فلا، لإنه إنما انتصب على إسقاط «في» ولذلك إذا أضمر الظرف تعدّى إليه بـ«في» إلاّ أن يتّسع فيه. قال: فتقديره غير سائغ واستدلاله بقوله: «مِنْ عند =

لتخليتكم المركز، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو قادر على النصر وعلى منعه، وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ﴾: يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين ﴿فـ﴾ـهو كائن، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: بتخليته، استعار الإذن لتخليته الكفار، وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم، لأنّ الآذن مخل بين المأذون له ومراده، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون، وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: من جملة الصلة عطف على نافقوا، وإنما لم يقل: فقالوا؛ لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال، كأنه قيل: فماذا قالوا لهم. فقيل: قالوا: لو نعلم، ويجوز أن تقتصر الصلة على، ﴿نَافَقُوا۟﴾: ويكون، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون، وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة[1] دفعاً عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأساً لنفاقهم ودغلهم[2] وذلك ما روى أن عبد الله بن أبيّ انخذل مع حلفائه، فقيل له، فقال ذلك، وقيل: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: العدوّ بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأنّ كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه، وعن سهل بن سعد الساعدي ـ وقد كف بصره ـ: لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم. قيل: وكيف وقد ذهب بصرك؟ قال لقوله: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: أراد: كثروا سوادهم، ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً، ﴿لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾: يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء، ولا يقال لمثله قتال، إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، لأنّ رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج، ﴿هُمْ

---

= أنفسكم» «من عند الله» وقوفٌ مع مطابقة السؤال للجواب في اللفظ وذهول عن هذه القاعدة». واختار الشيخ أنّ «أنّى» بمعنى «كيف» قال: «وأنّى سؤالٌ عن الحال هنا، ولا تناسب أن تكون بمعنى «أين» أو «متى»، لأن الاستفهام لم يقع عن مكان ولا زمان هنا، إنما وقع عن الحال التي اقتضت لهم ذلك، سألوا عنها على سبيل التعجب، وجاء الجواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ في قوله: «قل هو من عند أنفسكم». قال: والسؤال بـ«أنّى» سؤالٌ عن تعيين كيفية حصول هذا الأمر، والجواب بقوله: «من عند أنفسكم» يتضمن تعيين الكيفية، لأنه بتعيين السبب تتعيَّن الكيفية من حيث المعنى، لو قيل على سبيل التعجب: كيف لا يحج زيد الصالح!! فقيل في جوابه: «لعدم استطاعته» لحصل الجواب وانتظم من المعنى أنه لا يحجُّ وهو غير مستطيع انتهى. أما قوله: «لا يقدّر الظرف بحرف جرٍّ غير «في» فالزمخشري لم يقدّر «في» مع «أنّى» حتى يلزمه ما قال، إنما جعل «أنّى» بمنزلة «من أين» في المعنى. وأمّا عدوله عن الجواب المطابق لفظاً فالعكس أولى. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «غم الآخرة» لعله هم الآخرة. (ع)

(٢) قوله: «ودغلهم» في الصحاح: الدغل ـ بالتحريك ـ الفساد، مثل الدخل. (ع)

لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾: يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم، فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا، تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، لأنّ تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾: لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئاً، وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم، وأنّ إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم، خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾: من النفاق، وبما يجري بعضهم مع بعض من ذمّ المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك، لأنكم تعلمون بعض ذلك علماً مجملاً بأمارات، وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟﴾: في إعرابه أوجه: أن يكون نصباً على الذمّ، أو على الردّ على الذين نافقوا، أو رفعاً على هم الذين قالوا، أو على الإبدال من واو يكتمون، ويجوز أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في «بأفواههم» أو «قلوبهم»، كقوله [من الطويل]:

. . . . . عَلَى جُودِهِ لَضَنٌّ بِالْمَاءِ حَاتِمُ[1]

﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار، ﴿وَقَعَدُوا۟﴾: أي: قالوا وقد قعدوا عن القتال: لو أطاعنا إخواننا

---

(١) فلما تصافنا الإداوة أجهشت ... إلى غضون العنبري الجراضم
فجاء بجلمود له مثل رأسه ... ليشرب ماء القوم بين الصرائم
على حالة لو أن في القوم حاتماً ... على جوده لضن بالماء حاتم

للفرزدق، يعتذر عما وقع منه في السفر مع دليله عاصم العنبري حين ضل الطريق. والتصافن: اقتسام الماء القليل بالصفن، وهو وعاء صغير لنحو الوضوء. والإداوة: ظرف الماء، وجمعها أداوى. وإيقاع التصافن عليها مجاز عقلي لأنها محل الماء الذي اقتسموه. وأقرب منه أنها مجاز مرسل عما فيها والجهش والإجهاش: تضرع الإنسان إلى غيره وتهيئته للبكاء إليه كالصبي إلى أمه، وغضون الجلد: مكاسره ويروى: عيون. وإسناد الاجهاش إليها مجاز عقلي، لأنها محل ظهور أثره. والجراضم: واسع البطن كثير الأكل. والمراد بالجلمود: إناء صلب كبير مثل رأسه، أي العنبري. وفيه إشارة إلى حمقه، لأن إفراط الرأس في العظم أمارة البلادة. وفي الصلابة أيضاً إشارة إلى ذلك، ليشرب: أي ليأخذ ماء القوم بين الصرائم، جمع صريمة وهي منقطع الرمل، أو قطيع من الإبل إشارة إلى أنهم كانوا بمفازة لا ماء بها على حالة ضنكة، لو ثبت في تلك الحالة أن حاتماً في القوم مع جوده المشهور لبخل بالماء. «وعلى» بمعنى «في» ويؤيده رواية المبرد في كامله: «على ساعة» وحاتم ـ بالجر ـ بدل من ضمير جوده. وفيه تنويه بذكر الاسم وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج.
ينظر: ديوانه ٢/٢٩٧، ولسان العرب: (حتم) والمقاصد النحويّة، ٤/١٨٦، وشرح شذور الذهب ص ٣١٧، وشرح المفصل: ٣/٦٩، واللمع ص ١٧٤، ٢٦٦.

فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾: معناه: قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال، فجدوا إلى دفع الموت سبيلاً، يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم، لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت، لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة، ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها، وروي: أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً. فإن قلت: فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم[1] بالقعود، فما معنى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟ قلت: معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره، لأن أسباب النجاة كثيرة، وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل، فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم؟ وما أنكرتم أن يكون السبب غيره، ووجه آخر: إن كنتم صادقين في قولكم: لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا، يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين، وقوله: ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ استهزاء بهم، أي: إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، وقرىء بالياء على: ولا يحسبنّ

---

(١) قال محمود: «إن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا. . .الخ» قال أحمد: السؤال المذكور إنما يرد على معتزلي من مثله، فإنهم يعتقدون أن الموت قد يكون بحلول الأجل، وقد يكون قبله، وأن المقتول لولا القتل لاستوفى أجله المكتوب له الزائد على ذلك، فلا جرم أن الإنسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الأجل بتوقي الأسباب الموجبة لذلك، فعلى ذلك ورد السؤال المذكور. وأما أهل السنة فمعتقدهم أن كل ميت بأجله يموت، ويقولون: إن الخارجين إلى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت، وأن ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله عز وجل، إيماناً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وخلافاً للمنافقين وللموافقين لهم من المعتزلة في قولهم: لو أطاعونا ما ماتوا. ولعمري إنهم في هذا المعتقد مقلدون النمروذ في قوله: أنا أحيي وأميت، فإن الأحمق ظن أنه يقتل إن شاء فيكون ذلك إماتة، ويعفو عن القتل فيكون ذلك إحياء، وغاب عنه أن الذي عفا عن قتله إنما حيي لاستيفاء الأجل الذي كتبه الله له، وأن الذي قتله إنما مات لأنه استوفى تلك الساعة أجله، والله الموفق.

رسول الله ﷺ، أو ولا يحسبنّ حاسب، ويجوز أن يكون، ﴿ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾: فاعلاً، ويكون التقدير: ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتاً، أي: ولا يحسبنّ الذين قتلوا أنفسهم أمواتاً. فإن قلت: كيف جاز حذف المفعول الأوّل؟ قلت: هو في الأصل مبتدأ، فحذف كما حذف المبتدأ في قوله، ﴿أَحْيَآءٌ﴾: والمعنى: هم أحياء لدلالة الكلام عليهما، وقرىء: «ولا تحسبنّ» بفتح السين، «وقتلوا» بالتشديد. «وأحياء» بالنصب على معنى: بل احسبهم أحياء، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مقرّبون عنده ذوو زلفى، كقوله: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [فصلت: ٣٨]، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله، ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم، من كونهم أحياء مقرّبين معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها، وعن النبي ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش» ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِـ﴾ إخوانهم المجاهدين، ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾: أي: لم يقتلوا فيلحقوا (٣١٧) بهم، ﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾: يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم، وقيل: لم يلحقوا بهم، لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم، ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: بدل من «الذين»، والمعنى: ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين، وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة. بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة، والجد في الجهاد، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله، وبشرى للمؤمنين بالفوز في

---

٣١٧ ـ أخرجه أبو داود (٣/ ١٥) حديث (٢٥٢٠) كتاب الجهاد، باب: فضل الشهادة. . .

ـ والحاكم (٢/ ٨٨)، كتاب الجهاد، (٢/ ٢٩٧) كتاب التفسير، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ـ وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٢١٩)، حديث (٢٣٣١).

ـ وأحمد (١/ ٢٦٥).

والبيهقي (٩/ ١٦٣)، كتاب السير، باب: فضل الشهادة في سبيل الله عزّ وجلّ والطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٤)، حديث (٨٢٠٥).

كلّهم من طرق عن ابن عباس.

ـ ويشهد له حديث ابن مسعود عند مسلم (٧/ ٣٧) كتاب الإمارة باب: بيان أنّ أرواح الشهداء في الجنّة، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود وابن أبي شيبة والحاكم وأبو يعلى والبزّار كلّهم من حديث ابن عباس به وأتمّ منه. قال الدارقطني تفرّد به محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية، وأصله في مسلم من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، بلفظ: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلّقة بالعرش تمرح في الجنّة حيث شاءت ـ الحديث».

المآب، وكرّر ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ ليعلق به ما هو بيان لقوله: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: من ذكر النعمة والفضل، وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرىء «وأن الله» بالفتح عطفاً على النعمة والفضل، وبالكسر على الابتداء وعلى أنّ الجملة اعتراض، وهي قراءة الكسائي، وتعضدها قراءة عبد الله. «والله لا يضيع».

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾: مبتدأ خبره، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾: أو صفة للمؤمنين، أو نصب على المدح. روي: أنّ أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوّة، فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر، وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا، فنزلت، (٣١٨) و «من» في، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾: للتبيين مثلها في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩] لأنّ الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا، لا بعضهم، وعن عروة بن الزبير: قالت لي عائشة ـ رضي الله عنها ـ «إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول» تعني أبا بكر والزبير، (٣١٩) ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾: روي أنّ أبا

---

٣١٨ ـ أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٣١٤)، من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن شيوخه.
ـ وابن إسحاق (١١٨٨ ـ سيرة ابن هشام) في ذكر غزوة حمراء الأسد من طريق عبد الله بن أبي بكر عن معبد بن أبي معبد الخزاعي.
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٤٠٦) رقم (٨٢٤٣)، من نفس الطريق السابق، وقال ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن شيوخه ومن طريقه البيهقي في الدلائل فذكره مطوّلاً.

٣١٩ ـ أخرجه البخاري (٨/ ١٢٤) رقم (٤٠٧٧)، كتاب المغازي باب: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.
ـ ومسلم (٨/ ٢٠٣)، رقم ٥١ ـ (٢٤١٨)، كتاب فضائل الصّحابة باب: من فضائل طلحة والزبير.
الاثنان من طريق هشام بن عروة عن أبيه. =

سفيان نادى عند انصرافه من أحد. يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال النبي ﷺ: إن شاء الله؛ فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل «مر الظهران». فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال: يا نعيم، إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر، وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة، فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: ما هذا بالرأي. أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً، فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد، (٣٢٠) وقيل: مرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم، فكره المسلمون الخروج. فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد»، فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون: «حسبنا الله ونعم الوكيل» ـ وقيل: هي الكلمة التي قالها إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين ألقي في النار ـ حتى وافوا بدراً وأقاموا بها ثماني ليال، وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق. قالوا: إنما خرجتم لتشربوا السويق. فالناس الأوّلون: المثبطون، والآخرون: أبو سفيان وأصحابه. (٣٢١) فإن قلت: كيف قيل: ﴿ٱلنَّاسِ﴾: إن

---

= ووهم الحاكم في مستدركه، فقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: متفق عليه ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

٣٢٠ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٥) للثعلبي من قول مجاهد وعكرمة.
وهذا الحديث جزء من الحديث الذي أورده ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٥) في غزوة رسول الله ـ ﷺ ـ بدر الموعد، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي عن مجاهد وعكرمة وسنده إليهما في أوّل كتابه، وروى ابن سعد في الطبقات بعضه. انتهى.

٣٢١ ـ ذكره ابن سعد في الطبقات (٢/ ٤٥) في غزوة رسول الله ـ ﷺ ـ بدر الموعد، بنقص يسير.
ـ وأخرج البخاري (٩/ ٩٦) رقم (٤٥٦٣) كتاب التفسير، باب: الذين قال لهم الناس... من طريق أبي الضحى عن ابن عباس، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد ـ ﷺ ـ حين ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ...﴾ الآية.
ووهم الحاكم فرواه (٢/ ٢٩٨)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن سعد من طريق ابن إسحاق. وموسى بن عقبة وغيرهما. وأخرجه الواقدي في المغازي. قال حدّثني الضحّاك بن عثمان وعبد الله بن جعفر ومحمد بن عبد الله بن مسلم وابن أبي حبيب وغيرهم. قالوا «لما أراد أبو سفيان أن ينصرف من أحد» فذكره مطوّلاً. قوله: وقيل: هي الكلمة التي قال إبراهيم حين ألقي في النار. رواه البخاري من طريق أبي الضحى عن ابن عباس. انتهى.

كان نعيم هو المثبط وحده؟ قلت: قيل ذلك لأنه من جنس الناس، كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس البرود، وماله إلا فرس واحد وبرد فرد. أو لأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه، ويصلون جناح كلامه، ويثبطون مثل تثبيطه. فإن قلت: إلام يرجع المستكن في، ﴿فَزَادَهُمْ﴾: ؟ قلت: إلى المقول الذي هو، ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾: كأنه قيل: قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيماناً، أو إلى مصدر قالوا، كقولك: من صدق كان خيراً له. أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده. فإن قلت: كيف زادهم نعيم أو مقوله إيماناً؟ قلت: لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام ـ كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم، كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج؛ ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة، والطاعات من جملة الإيمان؛ لأنّ الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل، وعن ابن عمر: قلنا: يا رسول الله، إن الإيمان يزيد وينقص؟ قال: «نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة، وينقص حتى يدخل صاحبه النار» (٣٢٢) وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول: قم بنا نزدد إيماناً، (٣٢٣) وعنه: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمّة لرجح به. (٣٢٤) ﴿حَسْبُنَا

---

٣٢٢ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٨) للثعلبي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية علي بن عبد العزيز عن حبيب بن عيسى بن فروخ عن إسماعيل بن عبد الرحمن عن مالك عن نافع عنه. انتهى.

٣٢٣ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ٦٩ ـ ٧٠) رقم (٣٧) وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٨) كلاهما من طريق محمد بن طلحة عن زبيد عن ذر عن عمر بن الخطاب به.

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٤٨) للثعلبي من طريق ابن أبي شيبة. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان من رواية رزين عن عبد الله عنه. ورجاله ثقات إلاّ أنه منقطع. ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبي والبيهقي في الشعب. انتهى.

٣٢٤ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٥/ ٢٦٠) والديلمي في «مسند الفردوس» رقم (٥١٨٨) من طريق عيسى بن عبد الله بسنده إلى ابن عمر مرفوعاً.

وقال السّخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٤٩): وفي سنده عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف لكنه لم ينفرد به فقد أخرجه ابن عديّ أيضاً من طريق غيره بلفظ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم» ا.هـ.

والحديث الذي أشار إليه السّخاوي قد أخرجه ابن عديّ في «كامله» (٤/ ٢٠١).

وقد ورد هذا الحديث موقوفاً على عمر.

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٦٩) رقم (٣٦) من طريق ابن المبارك عن ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل عن عمر موقوفاً.

وقال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ـ هذا حديث يرويه عبد الله بن شوذب واختلف عنه فرواه ابن المبارك وأيوب بن سويد الرملي عن ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل عن عمر وخالفهما رواد بن الجراح فرواه عن ابن شوذب عن محمد بن =

﴿ٱللَّهُ﴾: محسبنا، أي: كافينا. يقال: أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول: هذا رجل حسبك، فتصف به النكرة؛ لأنّ إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقة، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: ونعم الموكول إليه هو، ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾: فرجعوا من بدر، ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وهي السلامة وحذر العدوّ منهم ﴿وفضل﴾ وهو الربح في التجارة، كقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ [البقرة: ١٩٨]. ، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾: لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدوّ، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: بجرأتهم وخروجهم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾: قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا، وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم، وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء، وروي أنهم قالوا: هل يكون هذا غزوا، فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: خبر «ذلكم»، بمعنى: إنما ذلكم المثبط هو الشيطان، و«يخوّف أولياءه» جملة مستأنفة بيان لشيطنته. أو الشيطان صفة لاسم الإشارة، ويخوف الخبر، والمراد بالشيطان نعيم، أو أبو سفيان، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف، بمعنى: إنما ذلكم قول الشيطان، أي: قول إبليس لعنه الله، ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: يخوّفكم أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه، وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود: «يخوفكم أولياءه»، وقوله: «فلا تخافوهم»، وقيل: يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ. فإن قلت: فإلام رجع الضمير في، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾: على هذا التفسير؟ قلت: إلى الناس

---

= جحادة عن طلحة بن مصرف عن هذيل عن عمر، وخالفهم ضمرة بن ربيعة رواه عن ابن شوذب عن ابن جحادة عن سلمة عن عمرو بن شرحبيل ولم يقل عن هذيل ووهم وأصحها قول ابن المبارك ومن تابعه ا.هـ. والحديث موقوفاً ذكره السّخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٤٩) وعزاه لإسحاق بن راهويه والبيهقي في «الشعب» وابن المبارك في «الزهد» ومعاذ بن المثنّى في زيادات «مسند مسدد».

وصحّح السّخاوي سنده.

وذكره البدر الزركشي في «التذكرة» ص(١٧١) وقال: قيل إنّه من كلام عمر بن الخطاب.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده من رواية هذيل بن شرحبيل عن عمر وإسناده صحيح ورُوي مرفوعاً أخرجه ابن عديّ من رواية عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رفعه «لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها» في إسناده عيسى بن عبد الله بن سليمان وهو ضعيف. قلت: لم ينفرد به بل تابعه عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد بلفظ «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجحهم» أخرجه ابن عديّ أيضاً. وحديث عمر الموقوف أخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد. ومعاذ بن المثنّى في زيادات مسند مسدّد. انتهى.

في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فتقعدوا عن القتال وتجبنوا، ﴿وَخَافُونِ﴾: فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: يعني أنّ الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يقعون فيه سريعاً ويرغبون فيه أشدّ رغبة، وهم الذين نافقوا من المتخلفين، وقيل: هم قوم ارتدّوا عن الإسلام. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾:؟ ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتدّ؟ قلت: معناه لا يحزنوك لخوف أن يضرّوك ويعينوا عليك. ألا ترى إلى قوله، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم، وما وبال ذلك عائداً على غيرهم. ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أي: نصيباً من الثواب، ﴿وَلَهُمْ﴾: بدل الثواب، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وذلك أبلغ ما ضرّ به الإنسان نفسه. فإن قلت: هلا قيل: لا يجعل الله لهم حظاً في الآخرة، وأيّ فائدة في ذكر الإرادة؟ قلت: فائدته الإشعار بأنّ الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصاً لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر؛ تنبيهاً على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه، حتى إنّ أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾: إمّا أن يكون تكريراً لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم، وإمّا أن يكون عاماً للكفار، والأوّل خاصاً فيمن نافق من المتخلفين. أو ارتدّ عن الإسلام أو على العكس، و﴿شَيْـًٔا﴾: نصب على المصدر؛ لأن المعنى: شيئاً من الضرر وبعض الضرر، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: فيمن قرأ بالتاء نصب و﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: بدل منه: أي: ولا تحسبنّ أنّ ما نملي للكافرين خير لهم، و «أن» مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين، كقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الفرقان: ٤٤]، و«ما» مصدرية، بمعنى: ولا تحسبنّ أنّ إملاءنا خير، وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة، ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف، وتتبع سنة الإمام في خط المصاحف. فإن قلت: كيف صحّ مجيء البدل ولم يذكر إلا أحد المفعولين، ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد؟

قلت: صحّ ذلك من حيث إنّ التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى، ألا تراك تقول: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، مع امتناع سكوتك على متاعك، ويجوز أن يقدّر مضاف محذوف على: ولا تحسبنّ الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم. أو ولا تحسبنّ حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم، وهو فيمن قرأ بالياء رفع، والفعل متعلق بأن وما في حيزه، والإملاء لهم: تخليتهم وشأنهم، مستعار من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء، وقيل: هو إمهالهم وإطالة عمرهم، والمعنى: ولا تحسبنّ أن الإملاء خير لهم من منعهم أو قطع آجالهم، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: «ما» هذه حقها أن تكتب متصلة، لأنها كافة دون الأولى، وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها، كأنه قيل: ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيراً لهم، فقيل: «إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً». فإن قلت: كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعالى في إملائه[1] لهم؟ قلت: هو علة للإملاء، وما كل علة بغرض. ألا تراك تقول: قعدت عن الغزو للعجز والفاقة، وخرجت من البلد لمخافة الشر، وليس شيء منها بغرض لك، وإنما هي علل وأسباب، فكذلك ازدياد الإثم جعل علة للإمهال وسبباً فيه. فإن قلت: كيف يكون ازدياد الإثم علة للإملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب؟ قلت: لما كان في علم الله المحيط بكل شيء أنهم مزدادون إثماً، فكأن الإملاء وقع من أجله وبسببه على طريق المجاز، وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الأولى وفتح الثانية، «ولا يحسبنّ» بالياء، على معنى: ولا يحسبنّ الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون، وإنما هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾: اعتراض بين الفعل ومعموله، ومعناه: أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بتفسيح المدّة وترك المعاجلة بالعقوبة. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: على هذه القراءة؟ قلت: معناه: ولا تحسبوا أن إملاءنا لزيادة الإثم وللتعذيب، والواو للحال، كأنه قيل: ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

---

(١) قال محمود: «إن قلت: كيف جاز أن يكون ازدياد الإثم غرضاً لله تعالى في إملائه لهم... الخ»؟ قال أحمد: بنى الزمخشري هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار، لأن معتقده أن الاثم الواقع منهم ليس مراداً لله تعالى بل هو واقع على خلاف الإرادة الربانية، فلما وردت الآية مشعرة بأن ازدياد الإثم مراداً لله تعالى إشعاراً لا يقبل التأويل، أخذ يعمل الحيلة في وجه من التعطيل التزاماً لاتمام الفاسد وضرباً في حديد بارد، فجعل ازدياد الإثم سبباً وليس بغرض.

اللام لتأكيد النفي، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: حتى يعزل المنافق عن المخلص، وقرىء: «يميز». من ميز، وفي رواية عن ابن كثير: «يميز»، من أماز بمعنى ميز. فإن قلت: لمن الخطاب في، ﴿أَنتُمْ﴾؟ قلت: للمصدّقين جميعاً من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها ـ من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعاً ـ حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: وما كان الله ليؤتي أحداً منكم علم الغيوب، فلا تتوهموا عند إخبار الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾: يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأنّ في الغيب كذا، وأن فلاناً في قلبه النفاق وفلاناً في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات، ويجوز أن يراد: لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب، بأن يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم. كبذل الأرواح في الجهاد، وإنفاق الأموال في سبيل الله، فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضمائركم، حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال، لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها، فإن ذلك مما استأثر الله به، وما كان الله ليطلع أحداً منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعاً عليها، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: فيخبره ببعض المغيبات ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن تقدروه حق قدره، وتعلموه وحده مطلعاً على الغيوب، وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عباداً مجتبين، لا يعلمون إلا ما علمهم الله، ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب، وليسوا من علم الغيب في شيء، وعن السدي: قال الكافرون: إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت. (٣٢٥)

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

---

٣٢٥ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) رقم (٨٢٧٣) من طريق أسباط عن السدّي بلفظ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . . .﴾ قالوا: «إن كان محمد صادقاً، فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر»!! فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ . . .﴾ الآية، حتى يخرج المؤمن من الكافر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: من قرأ بالتاء قدّر مضافاً محذوفاً، أي: ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيراً لهم، وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله، أو ضمير أحد، ومن جعل فاعله «الذين يبخلون» كان المفعول الأوّل عنده محذوفاً تقديره: ولا يحسبن «الذين يبخلون» بخلهم، ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: والذي سوغ حذفه دلالة، ﴿يَبْخَلُونَ﴾: عليه، وهو فصل، وقرأ الأعمش بغير «هو»، ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: تفسير لقوله: ﴿هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾: أي: سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق، وفي أمثالهم: تقلدها طوق الحمامة، إذا جاء بهنة يسب به ويذم، وقيل: يجعل ما بخل من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة، تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول: أنا مالك، وعن النبي ﷺ في مانع الزكاة: «يطوق بشجاع أقرع» (٣٢٦) وروي «بشجاع أسود» وعن النخعي: سيطوقون بطوق من نار، (٣٢٧) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: وله ما فيها مما يتوارثه أهلها من مال

---

٣٢٦ ـ أخرجه مالك (١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الكنز.
والبخاري (٤/ ١١) حديث (١٤٠٣)، كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة...
ـ والنسائي (٥/ ٣٩) رقم (٢٤٨٢)، كتاب الزكاة، باب: مانع زكاة ماله.
ـ وأحمد (٢/ ٢٧٩، ٣١٦، ٣٥٥).
ـ وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٢٠٦) رقم (٤٧٩) ـ (٦٣١٩).
وللحديث شواهد كثيرة، منها:
ما جاء من طريق جابر:
ـ أخرجه مسلم (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) حديث (٢٧ ـ (٩٨٨) ـ ٢٨) كتاب الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة.
وما جاء من طريق ابن عمر.
ـ أخرجه النسائي (٥/ ٣٨، ٣٩) كتاب الزكاة، باب: مانع زكاة ماله.
وما جاء من طريق ابن مسعود.
ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٢)، حديث (٣٠١٢)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
ـ وابن ماجه (١/ ٥٦٨، ٥٦٩) حديث (١٧٨٤)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في منع الزكاة.
ـ وأحمد (١/ ٣٧٧).
ـ وابن خزيمة (٤/ ١١، ١٢).
ـ والحاكم (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩) كتاب التفسير، ورواية الحاكم صحّحها وأقرّها الذهبي.
ـ والطبراني في الكبير (٩/ ٢٦١، ٢٦٢)، رقم (٩١٢٢، ٩١٢٦).
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤١).
ـ وسعيد بن منصور في تفسيره (٣/ ١١٢٩، ١١٣٠)، رقم (٥٤٩).
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة رفعه «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل ماله بشجاع أقرع له زينبان يطوقه يوم القيامة». انتهى.
٣٢٧ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٣٩) رقم (٨٢٩٦) وابن أبي شيبة (٣/ ٢١٢) وسعيد بن منصور (٥٥١) وسفيان الثوري في «تفسيره» (ص٨٢) رقم (١٧٠) وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ =

وغيره فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله، ونحوه قوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] وقرىء «بما تعملون» بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾

قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فلا يخلو إمّا أن يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم، ومعنى سماع الله له: أنه لم يخف عليه، وأنه أعدّله كفاءه من العقاب، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: في صحائف الحفظة. أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب. فإن قلت: كيف قال: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾: ثم قال، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: وهلا قيل: ولقد كتبنا؟ قلت: ذكر وجود السماع أوّلاً مؤكداً بالقسم ثم قال: «سنكتب» على جهة الوعيد بمعنى: لن يفوتنا أبداً إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء، وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذاناً بأنهما في العظم أخوان، وبأن هذا ليس بأوّل ما ركبوه من العظائم، وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول، وروي: أن رسول الله ﷺ كتب مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال فنحاص اليهودي: إنّ الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله، فنزلت، (٣٢٨) ونحوه قولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: [المائدة: ٦٤]، ﴿وَنَقُولُ﴾: لهم ﴿ذُوقُوا﴾ وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة: ذوقوا، ﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: كما أذقتم المسلمين الغصص. يقال للمنتقم منه: أحس، وذق، وقال

---

= ١٤١(كلّهم من طريق منصور عن إبراهيم النّخعي وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٩٥) وزاد نسبته لابن المنذر.

٣٢٨ ـ ذكره ابن هشام في سيرته (٢/ ٢٠١، ٢٠٢) رقم (٦٤١) من قول ابن إسحاق ولم يجاوزوه.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥٠): لابن أبي حاتم في تفسيره من طريق محمد بن إسحاق، وللثعلبي والواحدي في أسباب النزول من قول عكرمة والسدّي ومقاتل وابن إسحاق، قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق، حدّثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مطوّلاً. انتهى.

أبو سفيان لحمزة[1] ـ رضي الله عنه ـ: ذق عقق (٣٢٩) وقرأ حمزة: «سيكتب»، بالياء على البناء للمفعول، «ويقول» بالياء، وقرأ الحسن والأعرج: «سيكتب» بالياء وتسمية الفاعل، وقرأ ابن مسعود: «ويقال ذوقوا»، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما تقدّم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهنّ، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. فإن قلت: فلم عطف قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ على ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكاً لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب؟ قلت: معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾: أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة، وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله، كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم، كان يقرب بالقربان، فيقوم النبي فيدعو، فتنزل نار من السماء فتأكله، وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله، لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز أن يعينه الله تعالى من بين الآيات، وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق، وجاءوهم ـ أيضاً ـ بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلوهم إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها. وقرىء «بقربان» بضمتين، ونظيره السلطان. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾؟ قلت: معناه، وبمعنى الذي قلتموه من قولكم: قربان تأكله النار، ومؤدّاه كقوله: ﴿ثُمَّ

---

٣٢٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥١): للدارقطني في المؤتلف والمختلف في ترجمة الجليس، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره ابن إسحاق في المغازي قال: وكان الجليس بن زياد الكناني سيد الأحابيش مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول «ذق عقق»، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الدارقطني في المؤتلف. انتهى.

---

(١) قوله: «لحمزة رضي الله عنه: ذق عقق» في الصحاح: عاق وعقق، مثل عامر وعمر. وذق عقق: أي ذق جزاء فعلك يا عاق. (ع)

يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ [المجادلة: ٣] أي: لمعنى ما قالوا. في مصاحف أهل الشام: وبالزبر، وهي الصحف، ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾: التوراة والإنجيل والزبور، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ من تكذيب قومه وتكذيب اليهود.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

وقرأ اليزيدي «ذائقة الموت» على الأصل، وقرأ الأعمش «ذائقة الموتَ» بطرح التنوين مع النصب كقوله [من المتقارب]:

. . . . . وَلاَ ذَاكِرَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاَ[1]

فإن قلت: كيف اتصل به قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾؟ قلت: اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بدّ لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم، وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور. فإن قلت: فهذا يوهم نفي ما يروى أن «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» (٣٣٠). قلت: كلمة التوفية تزيل هذا

---

٣٣٠ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) كتاب صفة القيامة حديث (٢٤٦٠).
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط =

---

(١) فذكرته ثم عاتبته عتاباً رقيقاً وقولاً جميلاً
فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

لأبي الأسود الدؤلي، كان يجلس إلى فناء امرأة جميلة بالبصرة فقالت له: هل لك أن أتزوج بك؟ فإني حميدة الخصال وكيت وكيت. فقال: نعم وتزوجها من أهلها، فوجدها بضد ما قالت، فعاتبها وخاطب أهلها بشعر منه ذلك، ثم طلقها أمامهم. وكنى بضمير المذكر عنها استحياء أي فذكرتها بما قالت وعاتبتها على ما فعلت عتاباً حسناً، فوجدتها غير قابلة مني عتاباً. ولفظ الجلالة نصب بـ «ذاكر»، وحذف تنويته مع أنه غير مضاف تشبيهاً بحذف نون التوكيد الخفيفة لملاقاة الساكن. أو بتنوين العلم الموصوف بابن مضافاًإلى علم. وذاكر: عطف على مستعتب. و«لا» زائدة لتوكيد النفي، ولم يضف ذاكر إلى الله ليتمحض للتنكير كالذي قبله، وليكون أبلغ في النفي، لأن الإضافة قد تفيد أن شأنه الذكر، فيتوهم أن النفي هو الشأنية لا أصل الذكر.
ينظر: ديوانه (١٢٣)، الكتاب: ١/ ١٦٩، ابن يعيش: ٩/ ٢٣٤، الإنصاف: (٢/ ٦٥٩)، رصف المباني (٤٩)، ابن الشجري: ١/ ٣٨٣، مجالس ثعلب (١٢٣)، شواهد المغني (٩٣٣)، معاني الفراء (٢/ ٢٠٢)، المقتضب: ١/ ١٥٧، الخصائص: ١/ ٣١١، الخزانة: ١١/ ٣٧٤.

الوهم، لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها[1] يكون ذلك اليوم، وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور. الزحزحة: التنحية والإبعاد تكرير الزح، وهو الجذب بعجلة، ﴿فَقَدْ فَازَ﴾: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل رضوان الله والنعيم المخلد. اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب، وعن النبي ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» (٣٣١) وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد. شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغرّ حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته، والشيطان هو المدلس الغرور، وعن سعيد بن جبير: إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ، خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها، حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لايرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه.

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

والبلاء في الأنفس: القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف

---

= في ترجمة مسعود بن محمد الرملي بإسناده إلى أبي هريرة وقال: لم يروه عن الأوزاعي إلاّ أيوب بن سويد. تفرّد به ولده محمد عنه. قلت: وهو ضعيف. انتهى.

٣٣١ ـ أخرجه مسلم (٦/ ٤٧٣) رقم (٤٦ ـ (١٨٤٤))، كتاب الإمارة باب: وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل.
ـ وأحمد (٢/ ١٩٢).
ـ والبيهقي (٨/ ١٦٩) كتاب قتال أهل البغي، باب: ما جاء في قتال أهل البغي والخوارج.
كلّهم من طريق عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في حديث طويل. انتهى.

---

(١) قال محمود: «لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون... الخ» قال أحمد: هذا كما ترى صريح في اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة، وهو المراد بما يكون في القبر من نعيم وعذاب. ولقد أحسن الزمخشري في مخالفة أصحابه في هذه العقيدة، فإنهم يجحدون عذاب القبر، وها هو قد اعترف به، والله الموفق.

والمصائب، وفي الأموال: الإنفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات، وما يسمعون من أهل الكتاب[1] المطاعن في الدين الحنيف، وصدّ من أراد الإيمان، وتخطئة من آمن، وما كان من كعب بن الأشرف من هجائه لرسول الله ﷺ وتحريض المشركين، ومن فنحاص، ومن بني قريظة والنضير، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾: فإن الصبر والتقوى، ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: من معزومات الأمور، أي: مما يجب العزم عليه من الأمور أو مما عزم الله أن يكون، يعني أنّ ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾: واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾: الضمير للكتاب. أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له: آلله لتفعلنّ، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم، يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه، والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه، وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئاً لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارّهم أو لجرّ منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم، وغيرة أن ينسب إليه غيرهم، وعن النبي ﷺ: (٣٣٢) «من كتم

---

٣٣٢ ـ أخرجه أبو داود ٢/ ٣٤٥ في العلم، باب كراهية منع العلم (٣٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٢٩) في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٦٤٩)، وابن ماجه (١/ ٩٦) في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه (٢٦١)، وأحمد في المسند (١/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٩/ ٥٥)، والطيالسي (٢٥٣٤)، وأبو يعلى (١١/ ٢٦٨) برقم (٦٣٨٣) وابن حبّان (٩٥ ـ موارد). والقضاعي في مسند الشهاب (٤٣٢) من طريقين ـ حمّاد بن سلمة، وعمارة بن راذان وعن عليّ بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة به.
وقال الترمذي: حديث حسن. وقال العقيلي في الضعفاء (١/ ٧٤)، إسناده صالح.
وقال الذهبي في الكبائر (ص١٢٢): إسناده صحيح. رواه عطاء بن أبي هريرة.
وقال الحافظ في القول المسدد (ص٤٥) بعدما أورد الحديث من طريق أبي داود: والحديث وإن لم يكن في نهاية الصّحة لكنه صالح للحجّة.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩٦، ٤٩٩، ٥٠٨)، وابن أبي شيبة (١٩/ ٥٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٣٤، ١٣٥) من طريق الحجّاج بن أرطأة عن عطاء به. =

---

(١) قوله: «وما يسمعون من أهل الكتاب» بقي ما يسمعون من الذين أشركوا. (ع)

علماً عن أهله ألجم بلجام من نار» وعن طاوس أنه قال لوهب: إني أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب، وقال: والله لو كنت نبياً فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أنّ الله سيعذبك، وعن محمد بن كعب: لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه[1] ولا يحل لجاهل

---

= وأخرجه الحاكم (١/ ١٠١) من طريق القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن ثور عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدّثه. فقلنا له: تحدّث هذا وهو عراقي؟ قال: لأني سمعت أبا هريرة يحدّث عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من سئل...» فذكره.
وقال الحاكم: هذا حديث تداوله النّاس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها. وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وتعقّبه العراقي كما في شرح الإحياء رقم (٥٦) بقوله: لا يصح من هذا الطريق، لضعف القاسم بن محمد بن حمّاد الدلال الكوفي. قال الدارقطني حدّثنا عنه وهو ضعيف. فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السّابع من الأفراد: وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من رواية علي بن الحكم البناني عن عطاء عن أبي هريرة بلفظ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار» أخرجه أبو داود من رواية حمّاد بن سلمة. والآخران من رواية عمارة بن راذان كلاهما عن علي، ورجال أبي داود ثقات. لكن له علّة. رواه عبد الوارث عن عليّ بن الحكم عن رجل عن عطاء. ويقال: إنّ هذا المبهم حجّاج بن أرطأة. وفي رواية ابن ماجه التصريح بسماع علي بن عطاء. لكن عمارة ضعيف. ولحديث أبي هريرة طريق أخرى حسّنها ابن القطّان فذكره من رواية قاسم بن أصبغ عن أبي الأحوص وهو العكبري عن ابن السري عن معتمر عن أبيه عن عطاء به، وابن أبي السري له أوهام، وكأنّه دخل عليه حديث في حديث. ورواه الطبراني في الأوسط من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن عطاء به، وجابر ضعيف، وله طرق كثيرة عن أبي هريرة أوردها ابن الجوزي في العلل المتناهية. وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه ابن حبّان في صحيحه، والحاكم من طريق ابن وهب عن عبد الله بن عباس عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الحبلي عنه، وعن ابن عباس أخرجه الطبراني والعقيلي وفيه معمر بن زائدة قال العقيلي: لا يتابع عليه. وله طريق أخرى قاله أبو يعلى: حدّثنا زهير حدّثنا يونس بن محمد حدّثنا أبو عوانة عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعّفهما. وعن أنس، رواه ابن ماجه من طريق يوسف بن إبراهيم سمعت أنساً به وأخرجه ابن الجوزي من طريقين آخرين وضعّفهما أيضاً. وعن ابن مسعود وطلق بن علي كلاهما في الطبراني. وعن جابر وعائشة كلاهما عند العقيلي. وعن ابن عمر عند ابن عديّ. وعن أبي سعيد الخدري عن أبي يعلى أسانيدها كلّها ضعيفة. وعن عمرو بن عبسة أخرجه ابن الجوزي بلفظ «فقد بريء من الإسلام» وإسناده ضعيف أيضاً. قال الإمام أحمد: لا يصح في هذا الباب شيء. (تنبيه) ليس في شيء من طرقه «عن أهله». انتهى.

---

(١) قوله: «على علمه» لعل بعده سقطا تقديره «حتى يعلم».

أن يسكت على جهله حتى يسأل، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا، (٣٣٣) وقرىء: «ليبيننه»، ولا «يكتمونه». بالياء لأنهم غيب، وبالتاء على حكاية مخاطبتهم، كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ﴾ [الإسراء: ٤].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾: خطاب لرسول الله ﷺ، وأحد المفعولين، ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾: والثاني، ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾: تأكيد تقديره: لا تحسبنهم، فلا تحسبنهم فائزين، وقرىء: «لا تحسبنّ». «فلا تحسبنهم»، بضم الباء على خطاب المؤمنين «ولا يحسبن». فلا «يحسبنهم»، بالياء وفتح الباء فيهما، على أنّ الفعل للرسول، وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الأوّل وضمها في الثاني، على أن الفعل للذين يفرحون، والمفعول الأوّل محذوف على: لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة، بمعنى: لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين، وفلا يحسبنهم، تأكيد، ومعنى ﴿بِمَآ أَتَوا۟﴾: بما فعلوا، وأتى وجاء، يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾: [مريم: ٦١]، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]، ويدل عليه قراءة أبيّ: «يفرحون بما فعلوا»، وقرىء: «آتوا»، بمعنى أعطوا، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: «بما أوتوا»، ومعنى، ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: بمنجاة منه. روي: أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه، وأروه أنهم قد صدقوه، واستحمدوا إليه، وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاّه بما أنزل من وعيدهم: (٣٣٤) أي: لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا ـ

---

٣٣٣ ـ ذكره الديلمي في الفردوس (٤/ ٣٧٥)، رقم (٦٦١٨)، عن علي مرفوعاً: «ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم، حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلّمه».
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٥٨) للثعلبي في تفسيره من طريق الحارث بن أبي أسامة، ولابن عبد البر في كتاب العلم من غير سند. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:
رواه الحارث بن أبي أسامة أخبرنا عبد الوهاب الخفافي حدّثنا الحسن بن عمارة حدّثني الحكم بن عيينة عن يحيى بن الجزّار: سمعت عليّاً يقول فذكره والحسن متروك، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي ورويناه في جزء الذراع قال: كتب الحارث بن أسامة فذكره، وذكره ابن عبد البر في العلم. قال: ويُروى عن عليّ. وذكره صاحب الفردوس عن علي. فكأنه وقف عليه مرفوعاً. انتهى.
٣٣٤ ـ أخرجه البخاري (٩/ ١٠٢) رقم (٤٥٦٨) كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾. =

من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ـ ناجين من العذاب، ومعنى ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾: بما أوتوه من علم التوراة، وقيل: يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ﷺ، ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه، وقيل: هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ، فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة في التخلف، واستحمدوا إليه بترك الخروج، وقيل: هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لإبطانهم الكفر، ويجوز أن يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب، ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فهو يملك أمرهم، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهو يقدر على عقابهم ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ لأدلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته، ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر، وفي النصائح الصغار: املأ عينيك من زينة هذه

---

= ـ ومسلم (٩/ ١٣٦)، رقم ٨ ـ (٢٧٧٨)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.
ـ والترمذي (٥/ ٢٣٣)، رقم (٣٠١٤)، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران. وقال: «حديث حسن صحيح غريب».
ـ وأحمد (١/ ٢٩٨).
ـ والطبري في تفسيره (٧/ ٤٧٠)، رقم (٨٣٤٩).
ـ والطبراني في الكبير (١٠/ ٣٦٤)، رقم (١٠٧٣٠).
ـ والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٩٩)، وصحّحه وأقرّه الذهبي.
ـ كلّهم من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن مروان بن الحكم قال الحافظ:
متفق عليه من رواية حميد بن عبد الرحمن أن مروان قال لبوابه: يا رافع اذهب إلى ابن عباس فقل له: لئن كان امرؤ منّا فرح بما أوتي وحمد بما لم يفعل عذب لنعذبنّ جميعاً. فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب: أتاه اليهود فسألهم النبي ـ ﷺ ـ عن شيء فكتموه... الحديث». انتهى.

الكواكب، وأجلهما في جملة هذه العجائب، متفكراً في قدرة مقدّرها، متدبراً حكمة مدبرها، قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قلت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ، فبكت وأطالت، ثم قالت: كل أمره عجب، أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي، ثم قال: يا عائشة، هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟ فقلت: يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك، قد أذنت لك. فقام إلى قربة من ماء في البيت. فتوضأ ولم يكثر من صب الماء، ثم قام يصلي، فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي، ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض، فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له: يا رسول الله، أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً. ثم قال: وما لي لا أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» وروي: «ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمّلها» (٣٣٥) وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أنّ النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتسوّك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: (٣٣٦) وحكي: أنّ الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة، فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله، فقالت له أمّه: لعلّ فرطة فرطت منك في مدّتك؟ فقال: ما أذكر. قالت: لعلك نظرت مرّة إلى السماء ولم تعتبر؟ قال: لعلّ. قالت: فما أُتيت إلا من ذاك، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: ذكراً دائباً على أي حال كانوا، من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون

---

٣٣٥ ـ أخرجه ابن حبّان في صحيحه (٢/٣٨٦)، حديث (٦٢٠)، كتاب الرقائق، باب: التوبة، من طريق عطاء وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير.
ـ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٣٤٩)، حديث (٢١٦٧).
ـ وعزاه الزيلعي لابن الجوزي في كتاب الوفاء، وللثعلبي، وعبد بن حميد وابن مردويه كلّهم من طريق أبي جناب الكلبي عن عطاء بن أبي رباح. وقال: ولم يذكروا كلّهم الرواية الثانية «ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمّلها»؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: رواه ابن مردويه في تفسيره سورة الروم من رواية أبي جناب. عن عطاء عن عائشة قالت: «لما نزلت هذه الآية ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ويح لمن دكها بين لحييه ثم لم يتفكر فيها» انتهى.
٣٣٦ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/٢٦١) للثعلبي من طريق محمد بن عليّ بن أبي طالب عن عليّ.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: رواه الثعلبي من طريق حمّاد عن حجّاج عن حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن عليّ بن أبي طالب عن عليّ وأصله في المتفق عليه من حديث ابن عباس. انتهى.

بالذكر في أغلب أحوالهم، وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة: أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله، فقال بعضهم: أما قال الله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾: فقاموا يذكرون الله على أقدامهم، وعن النبي ﷺ: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله» (٣٣٧) وقيل: معناه يصلون في هذه الأحوال على حسب استطاعتهم. قال رسول الله ﷺ لعمران بن الحصين: «صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب، تومىء إيماء» (٣٣٨) وهذه حجة للشافعي ـ رحمه الله ـ في إضجاع المريض على جنبه كما في اللحد، وعند أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أنه يستلقي حتى إذا وجد خفة قعد، ومحل ﴿عَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾: نصب على الحال عطفاً على ما قبله، كأنه قيل قياماً وقعوداً ومضطجعين، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم[1] شأن الصانع وكبرياء سلطانه، وعن سفيان الثوري أنه صلى خلف المقام

---

٣٣٧ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٦/ ٥٨)، حديث (٢٩٤٥٧) والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٧)، حديث (٣٢٦).

كلاهما من طريق معاذ بن جبل.

ـ وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٧٨)، وقال رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٢) للثعلبي في تفسيره في سورة العنكبوت، ولإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والطبراني من حديث معاذ وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وأخرجه الثعلبي في تفسير العنكبوت، وابن مردويه في تفسير الواقعة. انتهى.

٣٣٨ ـ أخرجه البخاري (٢/ ٦٨٠): كتاب تقصير الصلاة باب صلاة القاعد، حديث (١١١٥)، و(٢/ ٦٨٣) باب صلاة القاعد بالإيماء، حديث (١١١٦)، و(٢/ ٦٨٤): باب إذا لم يُطِقْ قاعداً صلّى على جنبٍ وأبو داود (١/ ٣١٤): كتاب الصلاة: باب في صلاة القاعد، حديث (٩٥١)، والنّسائي (٣/ ٢٢٣): كتاب قيام الليل وتطوّع النّهار: باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد، وابن ماجه (١/ ٣٨٨): كتاب إقامة الصّلاة والسّنّة فيها: باب صلاة القاعد على النّصف من صلاة القائم، حديث (١٢٣١)، وأحمد في «مسنده»: (٤/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥ ـ ٤٤٢ ـ ٤٤٣)، وابن خزيمة (٢/ ٢٣٥) حديث (١٢٣٦)، و(٢/ ٢٤١) حديث (١٢٤٩).

ـ والترمذي (٢/ ٢٠٧)، حديث (٣٧١)، كتاب أبواب الصّلاة باب: ما جاء في صلاة القاعد على النّصف من صلاة القائم.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأصحاب السنن، من حديث عمران بن حصين. قال «كانت في بواسير ـ فذكر الحديث» وليس في آخره يومىء إيماء. وأورده صاحب الهداية ـ كما أورده الزمخشري. انتهى.

---

(١) قوله: «على عظم» لعله من عظم... إلخ، فيكون بياناً لما يدل عليه. (ع)

ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء، فلما رأى الكواكب غشي عليه، وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته، وعن النبيّ ﷺ: «بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال: أشهد أنّ لك رباً وخالقاً، اللهمّ اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له» (٣٣٩) وقال النبي ﷺ: «لا عبادة كالتفكر» (٣٤٠) وقيل: الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة، وروي عن النبي ﷺ: «لا تفضلوني علىٰ يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض» (٣٤١) قالوا: وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب، لأن أحداً لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض، ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾: على إرادة القول. أي: يقولون ذلك وهو في محل الحال، بمعنى يتفكرون قائلين، والمعنى: ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة، بل خلقته لداعي حكمة عظيمة، وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك؛ ولذلك وصل به قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: لأنه جزاء من عصى ولم يطع. فإن قلت: هذا إشارة إلى ماذا؟ قلت: إلى الخلق على أن المراد به المخلوق، كأنه قيل: ويتفكرون في مخلوق السموات والأرض، أي: فيما خلق منها، ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض؛ لأنها في معنى المخلوق. كأنه قيل: ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلاً، وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ويجوز أن يكون «باطلاً» حالاً من هذا، وسبحانك:

---

٣٣٩ ـ عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٣) للثعلبي في تفسيره من طريق عطاء بن يسار عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وفي إسناده من لا يُعرف. انتهى.

٣٤٠ ـ أخرجه البيهقي في الشعب (٤/ ١٥٨)، حديث (٤٦٤٧) باب: في تعديد نعم الله عزّ وجلّ وشكرها/ فصل في فضل العقل، من طريق علي.

ـ وابن حبّان في الضعفاء (٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، وأعلّه بالحبطي، وقال: إنه يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات ـ انتهى، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن حبّان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من رواية أبي رجاء محمد بن عبد الله الخرطي من أهل شر عن شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لابنه الحسن «يا بني، سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: لا مال أعوز من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كحسن الخلق، ولا عبادة كالتفكر... الحديث بطوله» وأبو رجاء. قال البيهقي: ليس بالقوي، وقال ابن حبّان يروي عن الثقات ما ليس من حديث الأثبات. انتهى.

٣٤١ ـ قال الزيلعي: غريب جداً.

ـ وقال ابن حجر: لم أجده. انتهى.

اعتراض للتنزيه من العبث، وأن يخلق شيئاً بغير حكمة.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: فقد أبلغت في إخزائه، وهو نظير قوله (فقد فاز)، ونحوه في كلامهم: من أدرك مرعى الصمان[1] فقد أدرك، ومن سبق فلاناً فقد سبق، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأنّ من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها[2]. تقول: سمعت رجلاً يقول كذا، وسمعت زيداً يتكلم، فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع، لأنك وصفته بما يسمع أو جعلته حالاً عنه فأغناك عن ذكره، ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بد، وأن يقال: سمعت كلام فلان أو قوله. فإن قلت: فأيّ فائدة في الجمع بين المنادي وينادي؟ قلت: ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيما لشأن المنادي؛ لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان، ونحوه قولك: مررت بهاد يهدي للإسلام، وذلك أنّ المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو لكفاية بعض النوازل، أو لبعض المنافع، وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسداد الرأي: وغير ذلك؛ فإذا قلت: ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته، ويقال: دعاه لكذا وإلى كذا، وندبه له وإليه، وناداه له وإليه، ونحوه: هداه للطريق وإليه، وذلك أن معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعاً، والمنادي هو الرسول ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨]، و ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وعن محمد بن كعب: القرآن.، ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾: أي: آمنوا، أو بأن آمنوا، ﴿ذُنُوبَنَا﴾: كبائرنا، ﴿سَيِّـَٔاتِنَا﴾: صغائرنا، ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم، والأبرار: جمع برّ أو بارّ، كـ رب وأرباب، وصاحب وأصحاب، ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: على هذه صلة للوعد، كما في قولك: وعد الله الجنة على الطاعة، والمعنى: ما وعدتنا على تصديق رسلك. ألا تراه كيف أتبع

---

(١) قوله: «من أدرك مرعي الصمان» في الصحاح: موضع إلى جنب رمل عالج. وعالج: موضع بالبادية به رمل. (ع)

(٢) قوله: «فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فمن يدخل النار من المؤمنين يخرج بالشفاعة أو بالعفو، كما حقق في محله (ع)

ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول وقوله «آمنا» وهو التصديق ويجوزأن يكون متعلقاً بمحذوف، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك، أو محمولاً على رسلك، لأن الرسل محملون ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ [النور: ٥٤] وقيل: على ألسنة رسلك، والموعود هو الثواب، وقيل: النصرة على الأعداء. فإن قلت: كيف دعوا الله بإنجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد؟ قلت: معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو هو باب من اللجأ إلى الله والخضوع له، كما كان الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يستغفرون مع علمهم أنهم مغفور لهم، يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع إليه، واللجأ الذي هو سيما العبودية.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

يقال: استجاب له واستجابه [من الطويل]:

..... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ﴾: قرىء بالفتح على حذف الباء، وبالكسر على إرادة القول، وقرىء: «لا أضيّع»، بالتشديد، ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: بيان لعامل، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر، أي: من أصله، أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم، وقيل: المراد وصلة الإسلام، وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي: أنّ أمّ سلمة قالت: يا رسول الله، إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء. فنزلت، (٣٤٢)

---

٣٤٢ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٧)، حديث (٣٠٢٣) كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة النساء. =

---

(١) وداع دعا يا من يهيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت: ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

لكعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه هرم وكنيته أبو المغوار. و«جهرة» مفعول مطلق مؤكد. و«أبي» مجرور بـ «لعل»، وهي لغة عقيل. واستعمال لعل في الأمر البعيد ـ مع أنها للرجاء والقرب ـ دليل على شدة ولهه وتنزيله البعيد منزلة القريب. وروى: «لعل أبا المغوار» على اللغة المشهورة. يقول: ورب داع إلى المكارم لم يهبه أحد فقلت له: ادع مرة أخرى برفع صوتك، لعل أخي يكون قريباً فيجيبك على عادته، فإنه كثيراً ما يطلب معالي الأمور، وهذا من باب التمثيل والتخييل، لأنه لا داعي في الواقع.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم، كأنه قال: فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة، وهي المهاجرة عن أوطانهم فارّين إلى الله بدينهم من دار الفتنة، واضطرّوا إلى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشئوا بما سامهم[1] المشركون من الخسف، ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: من أجله وبسببه، يريد سبيل الدين، ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾: وغزوا المشركين واستشهدوا، وقرىء: «وقتلوا»، بالتشديد. «وقتلوا وقاتلوا» ـ على التقديم ـ بالتخفيف والتشديد «وقتلوا، وقتلوا»، على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول. «وقتلوا»، «وقاتلوا»، على بنائهما للفاعل ﴿ثواباً﴾ في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة أو تثويباً، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ . . . . . وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾: في معنى: لأثيبنهم. ﴿وعنده﴾ مثل: أن يختص به وبقدرته وفضله، لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه، كما يقول الرجل: عندي ما تريد، يريد اختصاصه به وبملكه وإن لم يكن بحضرته، وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرّع، وتكرير، ﴿رَبَّنَآ﴾: من باب الابتهال، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة، من احتمال المشاق في دين الله، والصبر على صعوبة تكاليفه، وقطع لأطماع الكسالى المتمنين عليه، وتسجيل على من لا يرى الثواب[2] موصولاً إليه، بالعمل بالجهل والغباوة، وروي عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ: من حزبه أمر فقال خمس مرات: ﴿رَبَّنَا﴾: أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآية، وعن الحسن: حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات: ﴿رَبَّنَا﴾: ثم أخبر أنه استجاب لهم، إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به، فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

---

= ـ والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٠٠)، كتاب التفسير، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
ـ وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٤٤).
كلّهم من طريق رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي، من رواية عمرو بن دينار. أخبرني سلمة ـ رجل من ولد أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قال: قالت أم سلمة. انتهى.

---

(١) قوله «بما سامهم» في الصحاح: يقال: سامه الخسف، وسامه خسفا، وخسفا أيضاً بالضم: أي أولاه ذلا. (ع)

(٢) قوله: «وتسجيل على من لا يرى الثواب» يريد أهل السنة القائلين: يجوز على الله أن يتفضل على العبد بدون عمل ولا يجب عليه إثابة العامل، وقد حقق في محله. (ع)

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾: الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد، أي: لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل وإصابة حظوظ الدنيا، ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض، وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون[1]. وعن ابن عباس: هم أهل مكة، وقيل: هم اليهود، وروي أن أناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون: إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد. فإن قلت: كيف جاز أن يغتر رسول الله ﷺ بذلك حتى ينهىٰ عن الاغترار به؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن مدرة القوم ومتقدّمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً، فكأنه قيل: لا يغرنكم والثاني: أنّ رسول الله ﷺ كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه، كقوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ [القلم: ٨] وهذا في النهي نظير قوله في الأمر ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ [النساء: ١٣٦] وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب، وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب، لأنّ التقلب لو غرّه لاغتر به، فمنع السبب ليمتنع المسبب، وقرىء: «لا يغرنك» بالنون الخفيفة، ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد، أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة، أو في جنب ما أعدّ الله للمؤمنين من الثواب، أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل. قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع»، (٣٤٣) ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: وساء ما مهدوا لأنفسهم.

---

٣٤٣ ـ أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٣): كتاب الجنّة والنار وصفة نعيمها وأهلها: باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٥٥/ ٢٨٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦): كتاب الزهد: باب مثل الدنيا، حديث (٤١٠٨)، وأحمد (٤/ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠)، والحميدي (٢/ ٣٧٨)، حديث (٨٥٥).
من طريق قيس بن أبي حازم، فذكره.
ـ والترمذي (٤/ ٥٦١)، حديث (٢٣٢٣)، كتاب الزهد باب: (١٥) منه، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه مسلم من حديث المستورد بن شداد به. انتهى.

---

(١) قوله: «ويتجرون ويتدهقنون» يتملئون ويتمتعون بلين الطعام وطيب الشراب. أفاده الصحاح، في مادة دهق، ومادة دهقن. والأوفق بما في الصحاح: يتدهمقون، حيث قال: قال الأصمعي: الدهمقة: لين الطعام وطيبة ورقته. وحديث عمر «لو شئت أن يدهمق لي لفعلت، ولكن الله عاب قوماً فقال: أذهبتم طيباتكم... الآية» ولم يذكر الدهقنة بهذا المعنى تصريحاً. (ع)

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

النزل والنزل: ما يقام للنازل. قال أبو الشعراء الضبي[من الطويل]:

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ بِالجَيْشِ ضَافَنَا ... جَعَلْنَا القَنَا وَالمُرْهِفَاتِ لَهُ نُزْلاَ[1]

وانتصابه إمّا على الحال من «جنات» لتخصصها بالوصف والعامل اللام، ويجوز أن يكون بمعنى مصدر[2] مؤكد، كأنه قيل: رزقا أو عطاء، ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الكثير الدائم، ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾: مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل، وقرأ مسلمة بن محارب والأعمش، ﴿نُزُلاً﴾ بالسكون، وقرأ يزيد بن القعقاع: «لكنّ الذين اتقوا» بالتشديد.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: عن مجاهد: نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب، وقيل في أربعين من أهل نجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى ـ عليه السلام ـ فأسلموا، وقيل: في أصحمة النجاشي ملك الحبشة، ومعنى أصحمة «عطية» بالعربية، وذلك أنه. لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم»، فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له. فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه، فنزلت، (٣٤٤) ودخلت لام الابتداء على اسم «إنّ» لفصل الظرف بينهما؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ

---

٣٤٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (٧/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧)، حديث (٨٣٧٦) من طريق جابر.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف لابن عديّ في الكامل، وللثعلبي في تفسيره، =

---

(١) لأبي الشعراء الضبي. والجبار: الملك العاتي. وضافه يضيفه: نزل عنده ضيفاً، أي إذا نزل بنا الجبار مع جيشه نزول الضيف. وفيه تهكم به حيث جاء محارباً. فشبهه بمن جاء للمعروف طالباً، ورشح ذلك التشبيه بجعل الرماح والسيوف المرهفات المسنونات نزلاً له، وهو الطعام المعدّ للضيف.

(٢) قوله: «ويجوز أن يكون بمعنى مصدر» في قوة: وأما على المصدر، لأنه يجوز... الخ. (ع) ينظر البيت في حاشية الشهاب ٣/ ٩٤، والبحر ٣/ ١٥٤، والدر المصون ٢/ ٢٩١.

مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ [النساء: ٧٢]، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾: من القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الكتابين، ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾: حال من فاعل «يؤمن» لأن من يؤمن في معنى الجمع ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً: كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [القصص: ٥٤]، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لنفوذ علمه في كل شيء، فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر، ويجوز أن يراد: إنما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

اصبروا على الدين وتكاليفه، ﴿وَصَابِرُواْ﴾: أعداء الله في الجهاد، أي: غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً. والمصابرة: باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه، تخصيصاً لشدته وصعوبته، ﴿وَرَابِطُواْ﴾: وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها، مترصدين مستعدين للغزو. قال الله عز وجل: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وعن النبي ﷺ: «من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه، لا يفطر، ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة». (٣٤٥)

---

= وللواحدي في أسباب النزول؛ وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: ذكره الثعلبي من قول ابن عباس وقتادة. ولفظه «فخرج إلى البقيع. وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة. أبصر سرير النجاشي» والباقي نحوه، وقد ذكر إسناده إليهما آخر الكتاب. وذكره الواحدي بلا إسناد. ورواه الطبري وابن عديّ في ترجمة أبي بكر الهذلي، واسمه: سلمى، وهو ضعيف ـ عن قتادة عن سعيد بن المسيّب عن جابر دون قوله «ونظر إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وزاد فيه: وكبّر أربعاً، والطبراني في الأوسط» من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: «لما قدم على النبي ـ ﷺ ـ وفاة النجاشي قال: اخرجوا فصلّوا على أخ لكم لم نره قط؛ فخرج بنا، وتقدّم النبي ـ ﷺ ـ ووقفنا خلفه، فصلّى وصلّينا. فلما انصرفنا قال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصراني لم يره قط فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. انتهى.

٣٤٥ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٠).

ـ وابن حبّان في صحيحه (١٠/ ٤٨٣) رقم (٤٦٢٣)، كتاب السير باب: فضل الجهاد.

ـ ومعنى الحديث عند مسلم (٣/ ١٥٢٠) رقم (١٦٣ ـ (١٩١٣)).

كتاب الإمارة، باب: فضل الرباط في سبيل الله عزّ وجلّ.

ـ والترمذي (٤/ ١٨٨، ١٨٩)، رقم (١٦٦٥)، كتاب: فضائل الجهاد باب: ما جاء في فضل المرابط.

ـ والنسائي (٦/ ٣٩) رقم (٣١٦٧)، كتاب الجهاد، باب: فضل الرباط. =

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم». (٣٤٦)

---

= ـ والحاكم (٢/ ٨٠) كتاب الجهاد، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
ـ والطبراني في الكبير (٦/ ٢٥٢)، رقم (٦١٣٤).
كلّهم من طريق سلمان الفارسي مرفوعاً.
ـ وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١/ ٢٦٧) للثعلبي في تفسيره من طريق أحمد بسنده ومتنه، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه أحمد وابن أبي شيبة من حديث سلمان أتمّ منه ولابن حبّان من حديث سلمان «رباط يوم وليلة في سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه جاع لا يفطر، وقام لا يفتر» وأصله في مسلم، ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

٣٤٦ ـ أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) من طريق أبي بكر بن أبي داود السجستاني ثنا محمد بن عاصم ثنا شبابة بن سوار ثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب مرفوعاً في فضائل القرآن سورة سورة.
قال ابن الجوزي: وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرّقه في كتابه الذي صنّفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال ولكن بعض المحدّثين يرى تنفيق حديثه ولو بالبواطيل وهذا قبيح منهم فإنّه قد صحّ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «من حدّث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».
وهذا حديث فضائل السور مصنوع بلا شك. ا.هـ.
وقال أيضاً: مخلّد بن عبد الواحد، قال ابن حبّان منكر الحديث جداً ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات وقد اتفق بزيع ومخلّد على رواية هذا الحديث عن عليّ بن زيد وقد قال أحمد ويحيى: علي بن زيد ليس بشيء وبعد هذا فنفس الحديث يدل على أنه مصنوع... وقد روى في فضائل السور أيضاً ميسرة بن عبد ربه.
قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا، قال: وضعته أرغّب الناس فيه. ا.هـ.
قال الذهبي في «الميزان» (٦/ ٣٨٩ ـ بتحقيقنا): مخلّد بن عبد الواحد روى عنه شبابة بن سوار عن ابن جدعان وعن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب عن النبي ـ ﷺ ـ بذاك الخبر الطويل الباطل في فضائل السور فما أدري من وضعه إن لم يكن مخلد افتراه... ا.هـ.
وقد تويع مخلّد بن عبد الواحد على هذا الحديث تابعه من هو مثله أو شرٌ منه.
فأخرج العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧) من طريق محمد بن بكار ثنا بزيع بن حسان أبو الخليل البصري ثنا علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة كلاهما عن زر بن حبيش عن أبيّ بن كعب مرفوعاً.
وأسند العقيلي عن ابن المبارك قال: أظن الزنادقة وضعته.
ومن طريق العقيلي أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٣٩).
وقال بزيع: قال الدارقطني: هو متروك.
قلت: وهو آفته. =

وعنه عليه الصلاة والسلام: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس». (٣٤٧)

---

= وللحديث طريق آخر.

أخرجه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١١ ـ بتحقيقنا) من طريق سلام بن سليم الطويل عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبيّ بن كعب به مرفوعاً.

قلت: وسلام بن سليم الطويل، قال البخاري: تركوه، وقال ابن معين: لا يُكتب حديثه، وقال أحمد: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك. ينظر الميزان (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

وهارون بن كثير مجهول. ينظر الميزان (٤/ ٢٨٦).

قال السيوطي في «اللالي» (١/ ٢٢٧): ومن طرقه الباطلة طريق هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبيّ بن كعب أخرجه ابن عديّ في «الكامل» وقال: رواه عن هارون القاسم بن الحكم العرفي، ويوسف بن عطية الكوفي لا البصري وهارون هذا غير معروف ولم يحدّث به عن زيد غيره وهو غير محفوظ عن زيد بن أسلم ا.هـ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبيّ بن كعب وسيأتي آخر الكتاب، ورواه ابن مردويه من وجه آخر عن أبيّ بن كعب، والواحدي في التفسير الأوسط من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ انتهى.

٣٤٧ ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٨) رقم (١١٠٠٢) عن ابن عباس.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٧١): رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف:

أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف. انتهى.